صاحبة الرواية الأكثر مبيعًا على قائمة نيويورك تايمز "في المنزل المجاور"

SHARI LAPENA

شاري لابينا

ضيف غير مرغوب فيه

AN UNWANTED GUEST



مكتبة 1664

رواية | ترجمة: يارا أيمن

صاحبة الرواية الأكثر مبيعًا على قائمة نيويورك تايمز "في المنزل المجاور"

SHARI LAPENA

شاري لابينا



ضيف غير مرغوب فيه

AN UNWANTED GUEST

رواية | ترجمة: يارا أيمن





للنشر و التوزيع

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkatb.com

- العنوان الأصلي: An Unwanted Guest
- العنوان العربي: ضيف غير مرغوب فيه
- طُبِع بواسطة: VIKING An imprint of Penguin Random House LLC

- ترجمة: يارا أيمن
- تحرير: محمد المتيم
- تدقيق لغوي: محمود عاطف
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: مايو/ 2023م
- رقم الإيداع: 2023/2394م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-211-9

ضيف غير مرغوب فيه



إلى أمي

الفصل الأول



الجمعة، الساعة الخامسة إلا ربع مساءً

انعطفت الطريق وازدادت التواءً -على غير المتوقع- كلما اتجهت إلى أعلى وتعمقت أكثر في جبال «كاتسكيل»، كأنك كلما ابتعدت عن الحضارة صارت الطريق مجهولة. اشتدت الظلال وساء الطقس أكثر مما سبق. كان نهر «هدسون» يجري هناك، يظهر للمرء تارة ويختفي تارة أخرى. بدت الغابة التي أحاطت بجانبَيِ الطريق كأنها تُخفي قدرةً عجائبية ما، كأن بمقدورها أن تبتلعك بالكامل. إنها غابة مثل التي تُذكر في القصص الخيالية، كما أضفى عليها الثلج المتساقط بهدوء سحرًا ما ليصير المنظر كالذي يظهر في البطاقات البريدية.

أحكمت جوين ديلاني قبضتيها على عجلة القيادة، وأمعنت النظر من وراء زجاج السيارة الأمامي. كانت تليق أكثر بالقصص الخيالية الكئيبة عن صور البطاقات البريدية. بدأ الضوء يتلاشى من الأفق وسيحل الظلام قريبًا. صارت القيادة أكثر صعوبةً وأكثر إرهاقًا بسبب تساقُط الثلج. ارتطمت ندف الثلج بالزجاج بغزارة لدرجة جعلتها تشعر أنها عالقة في إحدى ألعاب الفيديو الصعبة. صارت الطريق زلقة أكثر فأكثر بالطبع، لذا كانت جوين ممتنةً للعجلات الجيدة التي لديها في سيارتها «الفيات» الصغيرة. أخذ كل شيء

أمامها في التحول إلى ضباب أبيض وكان من الصعب عليها أن تحدد النقطة التي تنتهي بها الطريق ويبدأ منها المصرف. ستكون سعيدة عندما تصلان إلى هناك. بدأت تتمنى لو أنهما اختارتا فندقًا أقل بُعدًا قليلًا من هذا الذي يبعد أميالًا عن أي مكان.

ظلت رايلي شاتر صامتة في المقعد المجاور لجوين. شعرت بهالة من التوتر ساكنة داخل السيارة، وكان من المستحيل ألا تلاحظها. كان مجرد وجودها معها في هذه السيارة الصغيرة يجعل جوين في حالة من القلق. تمنت لو أنها لم تكن قد ارتكبت خطأ بإحضارها إلى هنا.

حدثت جوين نفسها بأن الهدف الأساسي من هذا الهروب الصغير هو جعْل رايلي تنعم بقدر صغير من الاسترخاء وتريح عن عقلها الأمور التي تشغله. عضت جوين على شفتيها وحدقت بإمعان إلى الطريق أمامها. كانت من فتيات المدينة، فهي وُلدت وترعرعت هناك ولم تكن معتادة على القيادة في الريف. تصبح الطريق في الليل مظلمة للغاية هنا بالأعلى وبدأ القلق يساورها الآن لأن الطريق أخذت وقتًا أكثر مما خططت له. لم يكن عليهما التوقف لشرب القهوة في ذلك المكان العتيق الذي بدا لهما صغيرًا ولطيفًا على الطريق.

لم تعلم ما الذي كانت تتوقعه، اقترحت هذه الرحلة في عطلة نهاية الأسبوع لتغير المكان والأجواء من حولهما ولتحظى أيضًا بفرصة لقضاء بعض الوقت مع رايلي دون أن تذكرها أن حياتها في فوضى، ربما كان تفكيرها هذا ساذجًا.

حملت جوين همومًا داخلها لم تكن جديدة، وصارت هي أيضًا تأخذها معها أينما ذهبت، لكنها قررت أن تطرح كل تلك الهموم وراء ظهرها في هذه العطلة على الأقل. كانتا متجهتين إلى فندق فاخر صغير بلا إنترنت، يقع في قلب الريف، ويقدم طعامًا جيدًا كما أنه يطل على الطبيعة النقية فكان هذا كله بالضبط ما هما بحاجة إليه.

***

نظرت رايلي بتوتر عبر زجاج السيارة لترى الغابة المظلمة، وتحاول ألا تتخيل أحدهم يقفز أمام السيارة في أي ثانية ويوقفهما. أحكمت قبضة يديها داخل جيبي سترتها وذكَّرت نفسها أنها لم تعد في أفغانستان الآن. لقد عادت إلى موطنها، عادت إلى ولاية «نيويورك». صارت آمنة وما من شيء سيئ قد يحدث لها هنا.

تغيرت شخصيتها من وراء وظيفتها. اختلفت رايلي كثيرًا بعد رؤية كل ما رأته، لدرجة أنها أصبحت بالكاد تعرف نفسها الآن. نظرت إلى جوين خلسة. كانتا مقربتين في وقت من الأوقات، لكنها لا تعلم الآن لماذا وافقت على القدوم معها إلى هذا الفندق الكائن في الريف البعيد. شاهدت جوين وهي تصب جام تركيزها على الطريق المتعرجة أعلى المنحدر الزلق المتجه إلى الجبال ثم سألتها فجأة: «هل أنتِ بخير؟».

فأجابتها جوين في دهشة: «أنا؟ أجل، أنا بخير. يجدر بنا أن نصل إلى هناك قريبًا».

اعتادت جوين أن تكون طالبة منتظمة وعملية عندما التحقت بكلية الصحافة في جامعة نيويورك مع رايلي التي كانت طموحة وأرادت أن تكون في قلب الأحداث. لم تكن جوين تميل إلى المغامرة، لطالما فضلت الكتب والهدوء. لم تنجح في الحصول على وظيفة لائقة بإحدى الجرائد عندما تخرجت في كلية الصحافة، لكنها سرعان ما استثمرت مهاراتها في منصب جيد بقسم الاتصالات في إحدى الشركات ولا يبدو أنها ندمت على هذا قط. أمَّا رايلي فاتجهت إلى مناطق الحروب ونجحت في الصمود لوقت طويل.

لماذا تفعل هذا؟ لماذا تواصل التفكير في الأمر؟ بدأت تشعر بالانهيار، حاولت أن تُبطئ أنفاسها كما تعلمت لتمنع الأفكار من العودة إلى ذهنها والسيطرة عليه.

***

أوقف ديفيد بايلي سيارته في منطقة وقوف السيارات المجرفة على يمين الفندق ثم ترجل منها وتمطَّى. كانت رحلته بالسيارة من ولاية نيويورك أطول

مما توقَّع بسبب الطقس، يشعر أن عضلاته متيبسة الآن، لتذكره أنه لم يعد شابًّا كما اعتاد أن يكون. وقف للحظة وسط الثلج الكثيف المتساقط ينظر إلى فندق «ميتشل» قبل أن يجلب حقيبته الليلية من المقعد الخلفي في سيارته «المرسيدس».

تكوَّن الفندق من ثلاثة طوابق وكان مزخرف السقف، ذا بنية متناسقة من الطوب الأحمر، وتحيطه الغابة القريبة من كل جانب. أطلت واجهة الفندق الصغير على ما يجب أن يكون حديقة كبيرة نوعًا ما تحت كل هذا الثلج. كانت الأشجار الطويلة دائمة الخضرة والأشجار الناضجة قد فقدت أوراقها لكنها اكتست بعباءة بيضاء من الثلج، ويبدو من مسافة قصيرة أنها تعدت على مساحة المبنى. وقفت شجرة ضخمة وسط الحديقة أمام المدخل وامتدت بفروعها السميكة في كل اتجاه. كان كل شيء مغطى بثلج أبيض نقي يطمس معالمه. بدا المكان هادئًا هنا، يبعث الطمأنينة في النفس حتى إنه بدأ يشعر بارتخاء في كتفيه.

كانت النوافذ مستطيلة كبيرة ومتباعدة بشكل منتظم في كل طابق، وهناك سلالم عريضة تؤدي إلى شرفة خشبية وباب أمامي مزدوج تزينه أغصان الأشجار. كان ضوء النهار لا يزال موجودًا أو بالكاد كان موجودًا، رغم ذلك رأى المصابيح مضاءة على كلا جانبي الباب، وظهر ضوء أصفر هادئ من نوافذ الطابق الأرضي أيضًا ليضفي مظهرًا دافئًا على المبنى يرحب بالنزلاء. وقف ديفيد في مكانه راغبًا في تخفيف ضغوطات اليوم –والأسبوع والأعوام أيضًا– عن كاهله في حين تساقط الثلج بهدوء على شعره ودغدغ شفتيه. شعر وكأنه يسير نحو عصر سابق ألطف، وأكثر براءةً من عصرنا الحالي.

سيحاول ألا يفكر في العمل ليومين كاملين؛ فالجميع مهما كانوا منشغلين، يحتاجون إلى إجازة لإعادة شحن أنفسهم مرة كل فترة، حتى أهم المحامين الجنائيين، أو ربما يحتاج ذلك من يعمل في هذا المنصب على وجه الخصوص. من النادر أن تناسبه أي عُطَل على الإطلاق، فما بالك عطلة نهاية الأسبوع بأكملها، لذا عزم أمره على الاستمتاع بها.

الجمعة، الساعة الخامسة مساءً

نظرت لورين داي نظرة خاطفة إلى إيان بيتون، الرجل الذي بجانبها. قاد إيان سيارته بمهارة في ظروف صعبة نوعًا ما ليجعل الأمر كله يبدو سهلًا. تمتع بابتسامة جذابة وتوجه إليها بتلك الابتسامة الآن فابتسمت له أيضًا. إنه حسن المظهر كذلك، وطويل، ورفيع، لكن ابتسامته هي أول ما جذبها إليه. لقد جعله سحره الهادئ جذابًا للغاية. فتشت لورين في حقيبة يدها عن أحمر شفاهها حتى وجدته -وكانت درجته جيدة من درجات الأحمر التي تضيء وجهها- ووضعته بحذر وهي تنظر أمامها إلى مرآة حاجب الشمس في السيارة. انزلقت السيارة قليلًا فتوقفت عمًّا كانت تفعله، بينما وجَّه إيان السيارة بمهارة لتستقيم في مسارها. صارت الطريق أكثر انحدارًا الآن وازداد ميل السيارة إلى الانحراف وهي تفقد قدرتها على الاحتكاك بالأرض، فقالت لورين لإيان: «الطريق تزداد انزلاقًا».

رد وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «لا داعي للقلق، لا يوجد ما لا أستطيع التعامل معه».

بادلته الابتسامة، وأعجبتها ثقته بنفسه أيضًا.

صاحت لورين فجأة: «مهلًا، ما هذا؟».

ظهر شيء مظلم أمامهما على الجهة اليمنى. كان يومًا غائمًا وصارت الرؤية صعبة مع تساقط الثلج بغزارة، ولكن بدا أن هناك سيارة في المصرف.

حدقت بحرص عبر النافذة وهما يمران بجانب السيارة، بينما بحث إيان عن مكان ما ليوقف فيه سيارتهما، ثم أردفت لورين: «أعتقد أن هناك شخصًا ما في تلك السيارة».

تمتم إيان قائلًا: «لماذا لا يستخدمون ضوء الانتظار؟».

أوقف السيارة على جانب الطريق بحذر حتى لا ينزلق هو على الطريق. خرجت لورين من دفء السيارة لتخطو على عدة سنتيمترات من ثلج لم تطأ فوقه قدم من قبل. دخل الثلج على الفور في حذائها فشعرت بوخز في كاحليها. سمعت إيان يخرج من السيارة أيضًا ويغلق بابها، ثم صاحت إلى السيارة المتوقفة: «أنت!». فتح السائق باب السيارة ببطء.

هبطت لورين من على المنحدر بحذر وظلت تنزلق في طريقها. لم تكن الأرض مستوية وواجهت صعوبة في الحفاظ على توازنها، لكنها وصلت إلى السيارة وأمسكت الباب بيدها اليسرى لتساعد نفسها، ثم حدَّقت إلى من يجلس في المقعد الأمامي وسألت: «هل أنتِ بخير؟».

كانت السائقة امرأة قريبة من عمرها، في الثلاثين تقريبًا. بدت مصدومة قليلًا، لكن الزجاج الأمامي لم يصبه أي كسر وكانت ترتدي حزام الأمان. نظرت لورين بجانب السائقة إلى السيدة التي تجلس في مقعد الراكب. بدا وجهها شاحبًا وتصببت عرقًا. ظلت تحدق أمامها مباشرة كأن لورين لم تكن هنا. يبدو أنها تعرضت لصدمة مروعة.

نظرت السائقة إلى رفيقتها بسرعة ثم عادت بنظرها إلى لورين وقالت بامتنان: «أجل، نحن بخير. لقد انحرفنا عن الطريق منذ دقائق قليلة وكنا نتساءل عمَّا سنفعله بعدها حتى أتيتِ أنتِ لحسن حظنا».

شعرت لورين بإيان واقفًا خلفها ويمعن النظر إلى السيدتين اللتين داخل السيارة من وراء كتفها. ابتسم لهما ابتسامته الساحرة ثم قال: «يبدو أنكما ستحتاجان إلى سيارة لسحبكما».

علقت السائقة: «عظيم».

فسألتها لورين: «إلى أين أنتِ ذاهبة؟».

- إلى فندق ميتشل.

أردف إيان: «جيد، هذه وجهتنا أيضًا، أليس هذا حظًّا جيدًا؟ رغم أنني لا أعتقد أنه يوجد الكثير من الناس هنا. لماذا لا نصحبكما معنا ويمكنكما أن ترتبا الأمور من الفندق ليأتي شخص ويخرج السيارة؟».

ابتسمت السيدة براحة وأومأت له. كان من الواضح أنها سعيدة بإنقاذه لها، ولم تلُمها لورين على ذلك، فيمكنك أن تتجمد إلى الموت بالخارج هنا وأنت بمفردك. لم تستجب السيدة التي معها رغم هذا وبدا أنها في عالمها الخاص. سألت لورين السائقة: «هل معكِ أي حقائب؟».

- أجل، في الخلف.

خرجت السائقة من السيارة وعانت بين الثلوج العميقة حتى وصلت إلى الجزء الخلفي من السيارة. أفاقت رفيقتها من غيبوبتها الآن على ما يبدو، وخرجت من الجانب الآخر. فتحت السائقة حقيبة السيارة عندما ظهرت السيدة الأخرى بجانبها وجلبت كلٌّ منهما حقيبة ليلية. أخذ إيان الحقائب وعرض أن يساعد السيدات الثلاث لصعود هذه الطريق، لكن حتى مع تلك السيارة كانت رحلة صعود صعبة.

قالت السائقة للورين وإيان: «شكرًا جزيلًا لكما، أنا جوين وهذه رايلي».

- أنا لورين وهذا إيان، لندخل إلى السيارة فالطقس بارد للغاية.

نظرت خلسة إلى السيدة التي تدعى رايلي ولم تنطق ببنت شفة. تساءلت ما خطبها، ثمة شيء غريب بشأنها حتمًا.

الفصل الثاني

الجمعة، الساعة الخامسة مساء

تركت بيفرلي سوليفان حقيبتها الليلية لتسقط عند قدميها ثم مسحت بعينيها أرجاء الغرفة. كانت الغرفة مثالية، بدت مثل التي في الكتيب تمامًا. يوجد هنا ترفٌ من طرازٍ قديمٍ ليست معتادةً عليه. تحركت في أنحاء الغرفة وهي تلمس الأشياء. تراكمت الوسائد على السرير العتيق ذي الحجم الكبير. بدت خزانة الملابس المنحوتة رائعة، أمَّا السجاد الشرقي السميك فلا بد أنه يكلف مبلغًا طائلًا. سارت نحو النوافذ المطلة على المنطقة أمام الفندق. أصبح كل شيء جميلًا بصورة لا توصف بفضل تساقط الثلج. دائمًا ما جعلها الثلج المتساقط حديثًا تشعر بالتفاؤل.

ابتعدت عن النوافذ ونظرت نظرة سريعة إلى الحمام الداخلي الذي كان واحة نظيفة من الرخام الأبيض والمناشف البيضاء المنتفشة. تفقدت مظهرها سريعًا في المرآة الدقيقة التي فوق الحوض ثم انصرفت. بدأت تتساءل، عندما جلست على الفراش لتجربه، ما الذي يأخذ كل هذا الوقت من زوجها. لقد ظل هنري عند مكتب الاستقبال ليسأل عن التزلج الريفي، ويعلم الله ما الذي سيسأل عنه أيضًا، بينما صعدت هي إلى الغرفة بمفردها. أصرَّ زوجها على ألا تنتظره رغم أنها كانت على استعداد تام للجلوس على أحد المقاعد

المخملية ذات اللون الأزرق الداكن أو الأرائك الموجودة حول المدفأة الحجرية في الردهة بينما يبدي هو اهتمامه الكبير بالمعدات. لم ترغب في إثارة مشكلة من تصرفه رغم ذلك، وحاولت ألا تشعر بخيبة الأمل. سيستغرق بعض الوقت حتى يبدأ في الشعور بالاسترخاء، ولكن يبدو أنه يبحث عن طرائقَ ليشغل بها عطلتهما الأسبوعية بالأنشطة في حين أن كل ما كانت ترغب هي به هو أن يهدآ ويكونا معًا ببساطة. بدا وكأنه يتجنب البقاء معها، ولا يرغب أن يكون هنا على الإطلاق.

تعلم أن زواجهما في... حالة سيئة. لن تقول إن زواجهما في ورطة تمامًا، لكنه بحاجة إلى جهد. لقد ابتعدا، وبدآ يعتبران وجود بعضهما بعضًا أمرًا مفروغًا منه، وهي مُلامة فيما حدث أيضًا. كيف لزواج عصري أن يصمد أمام كل القوى التي تجتمع لتمزقه إربًا؟ أمام الأُلفة الزائدة، ضيق الحياة المنزلية، دفع الفواتير، وتربية الأطفال، وأمام وظائف الدوام الكامل ووجود الكثير لإنجازه دائمًا. لم تعرف إن كان قضاء عطلة أسبوعية بعيدة في مكان جميل وناءٍ بالريف سيُحدث فرقًا كبيرًا، ولكنها قد تكون بداية، بداية لن يحصلا عليها بالتأكيد إن بقيا في المنزل. كانا بحاجة ماسة إلى فرصة حتى يعيدا التواصل بينهما، وليتذكرا ما أعجبهما في بعضهما بعضًا بعيدًا عن المشاحنات، والمراهقين المتجهمين اللذين يطالبان باهتمامهما ويستنزفان طاقاتهما. تنهدت بيفرلي وشعرت أنها تنهار في داخلها. تمنت ألا يتجادلا كثيرًا بشأن طفليهما. كانت تأمل أن يتمكنا هنا من التحدث عن الأمور دون مقاطعة، ودون هذا التوتر المستمر، المرهق، والأساسي.

تساءلت بقلق مبهم كيف ستستمر العطلة الأسبوعية، وإن كان سيختلف أي شيء بحلول وقت عودتهما إلى المنزل.

***

تباطأ هنري سوليفان قرب مكتب الاستقبال في الردهة على يسار الدرج الكبير. ذكَّرَتْه رائحة الخشب المحترق في المدفأة بأعياد الكريسماس عندما كان صبيًّا. نظر إلى بعض المنشورات اللامعة التي تروج للمطاعم وأماكن الجذب المحلية، رغم أن كلمة «محلية» قد تكون مبالغًا فيها قليلًا، فهم يبعدون كثيرًا عن كل شيء هنا بالأعلى. يبدو للأسف أنه مع كل هذا الثلج

قد يكون من الصعب للغاية أن يذهبا إلى أي مكان على أي حال. لكن الشاب الواقف عند مكتب الاستقبال قال إن كاسحات الثلج ستأتي غدًا وستصبح الطرق بخير. تحسس هنري هاتفه الخلوي في جيب سرواله. لم تكن هناك تغطية للهواتف هنا بالأعلى وهذا شيء لم يكن يتوقعه. لم تذكر بيفرلي ذلك فشعر بقليل من الانزعاج.

لم يكن متأكدًا لماذا وافق على هذه العطلة البعيدة عن المنزل، إلا بدافع الذنب ربما. صار نادمًا على موافقته بالفعل ويريد فقط العودة للمنزل. تخيل للحظة على نحو غير مؤذٍ أنه يعود إلى سيارته ويترك زوجته هنا. كم سيمر من الوقت قبل أن تلاحظ رحيله؟ وما الذي ستفعله؟ ثم قطع هذا الخيال بسرعة.

بدت زوجته حزينة بشكل متزايد في الفترة الأخيرة، ولكنه أخبر نفسه أن هذا ليس بسببه فقط، بل بسبب طفليهما أيضًا، وبسبب وظيفتها وتجاوزها منتصف العمر، ووزنها الزائد. كان هذا بسبب كل شيء، لكن لا يمكن لشخص واحد أن يكون مسؤولًا عن سعادة شخص آخر. هي المسؤولة عن سعادتها ولا يمكنه أن يجعلها سعيدة.

هو ليس شخصًا بغيضًا على نحو مطلق ويعلم أن هذا ليس سهلًا. لقد أحبها يومًا وهي أم طفليه، لكنه ببساطة لم يعد يحبها الآن، وليست لديه أي فكرة عمّا يفعله بشأن هذا الأمر.

***

خبطت دانا هارت قدميها بالأرض أمام عتبة الباب لتزيح الثلج عن حذائها الذي من تصميم علامة «ستيوارت وايتسمان» (Stuart Weitzman) التجارية، ثم نظرت إلى أرجاء ردهة الفندق باستحسان. أول ما لفت انتباهها في المكان هو الدرج الرئيسي الكبير. نُحت عمود الدرج وسياجه بإتقان من خشب داكن مصقول. كانت درجاته واسعة وعليها سجادة سميكة طويلة يعلوها نقشة أزهار داكنة. يمكنها أن ترى بريق القضبان النحاسية التي تثبت السجادة في مكانها. كان أمرًا باهرًا للغاية، ودانا لم تكن تنبهر بسهولة هذه الأيام. جعلها الدرج تفكر في سكارليت أوهارا في «ذهب مع

الريح»[1] (Gone with the Wind)، أو ربما نورما ديزموند في «سانسيت بوليفارد»[2] (Sunset Boulevard). اعتقدت أنه هذا النوع من السلالم الذي ينبغي أن ترتدي له أفضل فستان طويل لديكِ وتستعرضي دخولك عليه وأنتِ تقولين ***أنا جاهزة للتصوير عن قرب***. لم تجلب معها أي فستان سهرة للأسف. قالت لنفسها يا له من أمر مؤسف أن يذهب مثل هذا الدرج الرائع هباءً. كان الشيء التالي الذي لاحظته هو المدفأة الحجرية الكبيرة التي على الجانب الأيسر من الردهة وما حولها من أرائك كثيرة مرتبة ومريحة على ما يبدو، وبجانبها مقاعد للاسترخاء، بعضها مخملي لونه أزرق داكن والآخر من الجلد ولونه بني داكن، وبالقرب منها طاولات صغيرة عليها مصابيح. كانت الجدران مكسوَّة بألواح خشبية داكنة من نصفها إلى الأرض. غطى سجاد فارسي رائع أجزاء من خشب الأرض الداكن فمنح كل شيء شعورًا بالدفء والراحة، بينما بدا باهظ الثمن وهذا ما أحبته بالضبط. تلألأت ثرية بالأعلى، وذكرتها رائحة خشب النار بالأيام السعيدة التي قضتها في كوخ عائلة ماثيو. تنفست بعمق وابتسمت، فهي امرأة سعيدة للغاية. تمت خطبتها مؤخرًا في موعد بعطلة الأسبوع على الرجل الذي ستتزوجه. كل شيء رائع بما في ذلك الفندق الجميل الذي وجده ماثيو لهما.

أوصلها بالسيارة إلى أمام الفندق وذهب ليركن السيارة، وسيأتي إلى هنا بعد دقيقة ومعه حقائبهما. سارت عبر الردهة ومرت أمام المدفأة، ثم وقفت أمام مكتب الاستقبال ذي الطراز القديم الذي على يسار الدرج. تلألأ كل شيء هنا بالطابع الأثري وتأثير ملمع الأثاث الجيد. كان هناك شاب خلف المكتب ورجل آخر أكبر سنًا –من الواضح أنه نزيل– اتكأ على المكتب وأخذ يتصفح الكتيبات. نظر إليها نظرة خاطفة عندما رآها. توقف لثانية وحدَّق إليها ثم ابتسم بعدها وهو محرج ونظر بعيدًا. اعتادت هذا، فهي لها تأثير على الرجال كأنهم لا يصدقون أعينهم لدقيقة عند رؤيتها، وليست بيدها حيلة.

---

(1) رواية ذهب مع الريح من تأليف الكاتبة الأمريكية مارجريت ميتشل وصدرت عام 1936 وبطلتها هي سكارليت أوهارا.

(2) سانسيت بوليفارد هو فيلم أمريكي صدر عام 1950.

نظر إليها الشاب الذي يعمل في الاستقبال لمرتين متتاليتين تقريبًا على نحو غير ملحوظ، لكنه فعل وهي معتادة على هذا أيضًا. توجهت إليه بالحديث وقالت: «أنا دانا هارت، أنا وخطيبي لدينا حجز هنا باسم ماثيو هاتشينسون، أليس كذلك؟».

قال الشاب بهدوء: «أجل، بالطبع».

ثم بحث في السجل. لاحظت أنهم يستخدمون أحد سجلات الفنادق القديمة (يا له من أمر غريب)، وهذا بدلًا من استخدام نظام حاسوبي لتسجيل حجز النزلاء.

وُضِعت على الحائط خلف المكتب صناديق خشبية صغيرة لمفاتيح الغرف. قال لها الشاب: «غرفتكما رقم 201، في الطابق الثاني من الدرج على الجانب الأيمن».

فُتح الباب من خلفها لتدخل دفعة من الهواء البارد. التفتت وراءها فرأت ماثيو يحمل حقيبة في كل يد، وينفض الثلج عن معطفه وشعره الداكن. وقف بجانبها ونفضت الثلج عن كتفيه لأنها تستمتع بتلك التصرفات البسيطة التي تظهر أنه ملكها. قال الشاب الواقف خلف مكتب الاستقبال وهو يبتسم ويعطيهما مفتاحًا نحاسيًّا ثقيلًا: «مرحبًا بكما في فندق ميتشل».

لاحظت الآن كم كان جذابًا قبل أن يتابع بقوله: «يُقدم العشاء في غرفة الطعام من السابعة حتى التاسعة مساءً، ونقدم المشروبات في الردهة قبل وقت العشاء. استمتعا بإقامتكما».

رد خطيبها وهو ينظر إليها: «شكرًا لك، أنا متأكد أننا سنستمتع».

فرفعت له حاجبيها المثاليين، وكانت هذه طريقتها لتخبره أن يُحسن التصرف أمام العامة.

***

حمل ماثيو الحقيبتين مرة أخرى وتبع دانا على الدرج الواسع. لاحظ عدم وجود مصعد؛ كان فندقًا صغيرًا وهو اختاره بعناية، إذ أراد مكانًا هادئًا وحميميًّا ليقضي بعض الوقت مع دانا قبل كل ما يصاحب الزفاف من جنون يود لو يتجنبه بالكامل. تمنى لو كان بإمكانهما الهروب إلى إحدى المناطق

المبهجة في منطقة الكاريبي، ولكن وريث إحدى الثروات الكبيرة في إقليم «نيو إنجلاند» لا يهرب. إقدامه على فعل كهذا سيحطم والدته وجميع عماته وهو ليس مستعدًّا لفعل هذا. كما أنه يعلم أن دانا متحمسة للغاية بشأن كل شيء في الواقع، رغم أنها تصبح أحيانًا غارقة في إجهاد من التخطيط، والمواعيد وملايين التفاصيل التي يتطلبها أي زفاف. لقد كانت عُرضة للنوبات العاطفية مؤخرًا، وهذه الاستراحة ستكون جيدة لهما قبل الدَّفعة الأخيرة لعقد قرانهما في الربيع.

خففت السجادة السميكة من وقع خطوات أقدامهما لدرجة أن المكان كان هادئًا تمامًا تقريبًا في أثناء صعودهما على الدرج إلى الطابق الثاني وسيرهما الخطوات القليلة التي في الممر ليصلا إلى غرفة 201. وجدا لوحة بيضاوية من النحاس على الباب ومحفور عليها الرقم، وقفلًا قديم الطراز به ثقب للمفتاح. فتح القفل، ثم فتح لها الباب، وقال: «من بعدكِ...».

دخلت وابتسمت في استحسان وقالت: «إنها جميلة».

ثم التفتت إليه وهو يغلق الباب خلفه بإحكام. أحاطها بذراعيه وقال: «أنتِ جميلة».

ثم قبَّلها، لكنها دفعته دفعة مرحة في النهاية.

خلعت معطفها كما خلع معطفه هو أيضًا، وعلق المعطفين في خزانة الملابس. تفقدا الغرفة معًا، كان الفراش كبيرًا بالطبع ولاحظ ماثيو أن الأغطية من الطراز الأول. وُضعت شوكولاتة ملفوفة في أغلفة فضية على الوسائد وكان من الواضح أن حوض الاستحمام مخصص لفردين، وهناك دلو داخله شمبانيا على الثلج فوق طاولة صغيرة بجانب الباب ومعها بطاقة ترحيب.

تطل النوافذ على الحديقة الأمامية الرحبة وأشجارها المثقلة بالثلج، وممر السيارات الطويل المنعطف المؤدي إلى الطريق الرئيسية التي امتلأت سريعًا بالثلج الآن. وقفت ست سيارات في الموقف المجاور للحديقة. وقف الحبيبان جنبًا إلى جنب ينظران إلى الخارج ثم قال لها: «هذا جناح شهر العسل، إن كنت لم تخمني هذا بعد».

- ألا يجلب هذا الحظ السيئ، أن تحجز جناح شهر العسل بينما أنت لست في شهر العسل حقًّا؟

- أوه، لا أعتقد ذلك.

شاهدا سيارة تعاني بشجاعة لتتقدم في ممر السيارات، وتصل إلى الموقف ببطء. خرج منها أربعة أشخاص، ثلاث سيدات ورجل. تودد إليها وقال: «ما رأيكِ بغفوة قبل العشاء؟».

***

سقط إيان بيتون على أحد المقاعد التي بجانب المدفأة في الردهة، بينما وقَّعت لورين في سجل النزلاء وحصلت على مفتاح غرفتهما. لم يمانع الحصول على مشروب وتساءل عن مكان البار. كانت غرفة الطعام على اليمين عند نهاية الردهة، وأبواب الغرفة الزجاجية مفتوحة حتى إنه تمكن من رؤية طاولات عليها مفارش من الكتان الأبيض بالداخل.

كان هذا المكان ساحرًا تمامًا. ربما يتألف من الكثير من الغرف الصغيرة والممرات والفجوات الجدارية على ما يبدو؛ إنه ليس كأحد الفنادق الحديثة التقليدية التي تُبنى لتوفير الكفاءة مع أقصى عوائد.

اتجه باهتمامه إلى السيدتين اللتين أنقذاهما. كانت جوين السائقة تحصل على مفتاح غرفتهما، يبدو أنها تتشارك الغرفة مع رفيقتها. شاهدهما تصعدان الدرج معًا، ثم سرح بخياله بعيدًا. اقتربت لورين ومدت يدها إليه ثم سألته: «هل أنت مستعد للصعود؟».

- بالتأكيد.

- يُقدم العشاء من الساعة السابعة إلى الساعة التاسعة في غرفة الطعام، لكن يمكننا الحصول على المشروبات هنا.

- جيد، ما الذي ننتظره؟

- نحن في الطابق الثالث.

نهض وحمل الحقائب ثم تبع لورين وصعدا الدرج. بدا المكان هادئًا للغاية، ربما كان هذا بسبب الثلج أو السجاد السميك، أو الإضاءة الهادئة،

لكن كل شيء بدا مكتومًا وخافتًا. همست لورين وهما يصعدان الدرج المتقن وسألته: «هل لاحظت أي شيء غريب بشأن تلك السيدة التي تُدعى رايلي؟».

قال معترفًا: «بدت مرتبكة للغاية».

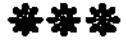
- لم تتفوه بكلمة طوال الوقت. أنا أعني لقد انزلقتا في مصرف فقط ولم يمسسهما ضرر حقيقي.

- ربما تعرضت لحادث سيارة من قبل.

- ربما.

عندما وصلا إلى الطابق الثالث التفتت له وأردفت: «بدت متوترة للغاية، شعرت بإحساس غريب تجاهها».

باغتها إيان بقبلة وقال: «لا تفكري فيها، فكري فِيَّ».



الفصل الثالث

الجمعة، الساعة الخامسة والنصف مساءً

جلست جوين على الفراش الأبعد عن الباب -بعدما حصلتا على غرفة في الطابق الثالث بفراشين كما طلبتا- وشاهدت رايلي بقلق. يمكنها القول إن المرأة التي تُدعى لورين كانت تتساءل عن أمر رايلي.

اتضح لجوين للمرة الأولى أن هذا قد لا يكون ما تحتاجه رايلي الآن. صارت جوين مُصابة بذعر رايلي الهادئ، بدلًا من أن تطمئن رايلي بروح جوين العملية الهادئة. دائمًا ما كانت رايلي الشخصية الأقوى، ربما كان عليها أن تدرك أن رايلي هي من ستؤثر فيها وليس العكس. وجدت جوين نفسها بالفعل تنظر إلى الزوايا المظلمة، وتقفز بسبب الأصوات غير المتوقعة، وتتخيل حدوث أشياء سيئة. ربما يحدث هذا بسبب وجودهما في مكان غريب، وأجواء العالم القديم داخل هذا الفندق فقط. قالت جوين مقترحةً: «ربما يجب أن ننتعش قليلًا وننزل لتناول مشروب قبل العشاء».

أجابت رايلي من دون حماس: «بالتأكيد».

بدت شاحبة، وتدلّى شعرها الأشقر الطويل بشكل هزيل على وجهها. لم يعد بها أي حيوية من التي تمتعت بها سابقًا. كانت جميلة ذات مرة، لكن

الآن من الصعب التفكير فيها بهذه الطريقة. أدركت جوين أن فكرتها كانت مروعة. تمنت لو أن جمالها يعود. نظرت إليها بتوسل وقالت: «أنا أعلم أنك تمرين بفترة صعبة، لكن عليكِ أن تحاولي».

رمقتها رايلي بنظرة انزعاج ربما، استياء أو غضب. شعرت جوين بالقليل من الغضب من جانبها ورأت فجأة أنها ستكون عطلة أسبوعية شاقة إن كان عليها أن تنتبه لكل ما تقول، لكنها ذكَّرت نفسها على الفور أن رايلي واحدة من أفضل صديقاتها وأنها مدينة لها. إنها ترغب في مساعدتها لتقف على قدميها من جديد، تريد استعادة صديقتها الرائعة المفعمة بالحيوية. أدركت أنها تريد الشعور بالغيرة تجاهها ثانيةً كما اعتادت.

قالت جوين: «دعيني أُمشِّط شعرك».

ثم نهضت من فراشها وفتشت في حقيبة يد رايلي بحثًا عن فرشاة شعرها، وجلست بعد ذلك على الفراش خلفها وأخذت تمشط شعرها في لمسات طويلة مهدئة. رأت أن كتفَيْ رايلي بدأتا ترتخيان قليلًا وهي تمشط شعرها ثم قالت لها في النهاية: «خذي، ضعي بعضًا من أحمر الشفاه وأنا سأضع منه أيضًا. وسننزل نأكل شيئًا، ثم يمكننا أن نعود إلى هنا ونقضي ليلة هادئة، ونتحدث كما اعتدنا تمامًا، أو نقرأ، إن كنتِ تريدين».

كانت قد جلبت كتابين معها بالفعل ولا تمانع أن تهرب داخل أحدهما، فحياتها أبعد ما تكون عن الكمال.

***

امتد أحد الممرات أمام مكتب الاستقبال على طول الجانب الغربي من الفندق ليقسم جناح الفندق الغربي إلى غرف أمامية وخلفية. يوجد بار في نهاية الردهة، لكن عندما مد ديفيد بايلي رأسه إلى داخل الغرفة وجدها فارغة. كان البار نفسه على يمين الباب، وبه مجموعة باهرة من زجاجات الكحول، لكن لم يكن هناك أحد خلف البار ليقدم له أي شيء. اكتست الغرفة بألواح من الخشب الداكن الغالي الموجود في الردهة، وأمام البار على الجانب الآخر من الغرفة توجد مدفأة لها رف أنيق وتعلوها لوحة زيتية بها تصوير مظلم وكئيب لرجل يحمل ديكًا برِّيًّا من قدميه. أطلت النوافذ على الحديقة

الأمامية، ووُضعت أمام المدفأة مجموعة من الطاولات الصغيرة والمقاعد الجلدية القديمة والمريحة. إنها غرفة تتسم بطابع رجالي، تساءل إن كان عليه أن يبقى ويتمنى ظهور نادل أمْ يعود إلى الردهة ويحصل على مشروب هناك. كان من الغريب أن تسافر بمفردك. جلس على أحد المقاعد الجلدية بجانب المدفأة، وإن لم تكن هناك نار فيها حتى الآن. انتظر لدقائق قليلة ثم افترض أنه ما من أحد سيأتي، وعاد إلى الردهة مرة أخرى. لم يجد أحدًا هناك أيضًا، إذ اختفى الشاب الذي كان واقفًا خلف مكتب الاستقبال. قرع ديفيد الجرس ذا الطراز القديم الموضوع فوق المكتب. دوَّت الرنة الواضحة بصوت أعلى مما توقع ديفيد ونفر منها قليلًا. أسرع الشاب نفسه الذي كان موجودًا من قبل واتجه نحو المكتب بعدما جاء من الممر الذي وراء المكتب بجانب الدرج. قال وهو يبتسم ابتسامة اعتذار: «أنا آسف للغاية لأني تركتك تنتظر، لدينا نقص بسيط في العمالة بسبب الطقس».

- أتساءل إن كان بإمكاني الحصول على مشروب.

- بالطبع. نحن نقدم المشروبات هنا في الردهة. سأجلب لك عربة البار هنا خلال دقائق.

قال ديفيد بنبرة ودية: «هذا جيد».

أراد فقط أن يحصل على مشروب وهو يجلس على مقعد مريح وينعم بالنار الدافئة ثم يتناول عشاءً جيدًا ويهنأ بنوم عميق وهادئ.

جلس وتساءل من قد ينضم إليه، ثم سرعان ما سمع صوت عجلات وزجاجات. رفع بصره ورأى الشاب يدفع عربة مجهزة جيدًا من البار إلى الردهة. كان عليها مشروبات البار الأساسية بالإضافة إلى خلاط الكوكتيل، دلو من الثلج، العديد من المشروبات الممزوجة وزينة الطعام، والمشروبات الكحولية الجيدة والزجاجات المتنوعة. وُضعت تحتها زجاجات نبيذ، وكذلك دلو شمبانيا مملوء بالثلج تخرج منه زجاجة رقبتها ملفوفة بورق معدني. سأل الشاب: «ماذا ستشرب؟».

اعتقد ديفيد أنه مجرد صبي حقًّا، فقد بدا يافعًا للغاية في الحادي والعشرين من عمره ربما، فسأله ديفيد: «ما اسمك؟».

- برادلي.

مازحه قائلًا: «هل أنت كبير بما يكفي لتقدم الكحول في ولاية نيويورك يا برادلي؟».

ابتسم برادلي ابتسامة عريضة وأجاب: «أنا أكبر مما أبدو عليه، في الثانية والعشرين من عمري».

بادله ديفيد الابتسام وقال: «إذن سآخذ جِن وتونيك[1] من فضلك».

أعد المشروب بمهارة، بينما شاهده ديفيد الذي لاحظ حركة بطرف عينيه فرفع بصره. كان هناك حبيبان شابّان ينزلان الدرج. قال الرجل وهو يتجسَّس على العربة: «أوه، انظري».

ثم ابتسم وفرك يديه معًا ليلفت الانتباه. لم يسع ديفيد إلا أن يلاحظ ابتسامته، فهي ما يجعل هذا الرجل محبوبًا على الفور.

كان طويلًا نحيفًا، شعره بني مجعد ولديه لحية خفيفة. يرتدي ملابسَ عادية، سروالًا جينز وقميصًا بنقوش مربعة، لكن ديفيد شَكَّ أنه قد ينجح في السير بهذا المظهر في أي مكان. شعر ديفيد بسرور لرؤيته، فهو قد يحظى بحديث خفيف يشتت انتباهه. بدت المرأة التي معه جذابة، لكنها لم تكن بمثل الجاذبية الصارخة التي تمتعت بها السيدة التي مرت بجواره على الدرج قبل فترة وجيزة. تساءل للحظة إن كان جميع من هنا معهم رفيق. قال له الرجل: «هل تمانع لو انضممنا إليك؟».

- لا أبدًا.

مد الرجل يده وقال: «أنا إيان».

ثم مدت السيدة التي بجانبه يدها بدورها وقالت: «وأنا لورين».

ليقول إيان بعدها: «سعدت بلقائك يا ديفيد».

فكرت لورين مَلِيًّا ثم نظرت حولها وهي تقول: «يبدو المكان فارغًا قليلًا».

أومأ برادلي وقال: «غرف الفندق ليست محجوزة بالكامل، لدينا اثنتا عشرة غرفة للضيوف، لكن ست غرف فقط مشغولة خلال عطلة هذا الأسبوع. أُلغيت بعض الحجوزات بسبب الثلج، ولم يأتِ بعض من موظفينا مثل النادل،

---

(1) شراب كحولي مخلوط بمياه غازية.

والعاملة المسؤولة عن خدمة تنظيف الغرف، لكنني هنا وكل شيء على ما يرام».

شبَّك يديه معًا وأضاف بتلقائية: «أعلم القليل عن مزج المشروبات؛ كان النادل يعلمني».

قال إيان له: «ممتاز، هل يمكنك أن تحضر لي ويسكي مع صودا؟».

- بالطبع.

لتردف لورين: «أنا سآخذ مانهاتن[1]».

طرح عليه إيان سؤالًا آخر: «هل وصل الطاهي على خير؟ لأنني أتضور جوعًا».

رفع برادلي حاجبه وأردف: «لا تقلق، أبي هو الطاهي. إنه فندق العائلة ونحن نعيش هنا في شقة عند نهاية الردهة بعد البار».

أشار برأسه تجاه الردهة وتابع: «أنا وهو سنتدبر الأمر جيدًا حتى تُخلى الطرق، إلا أن العشاء سيكون أقرب إلى المائدة المفتوحة الليلة».

هبت الرياح بقوة لتصفع النافذة بغضب. التفت النزلاء نحو الصوت بشكل عفوي فقال برادلي: «يصلنا قدر جيد من العواصف هنا بالأعلى».

لاحظ ديفيد الآن ظهور رجل أكبر سِنًّا في الردهة، وبالحكم على المريلة التي يرتديها وأنه جاء من المطبخ الذي يجب أن يكون خلف غرفة الطعام؛ فلا بد أنه والد برادلي.

بدأ الرجل حديثه قائلًا: «مرحبًا بكم، أنا جيمس هاروود، مالك الفندق والطاهي».

ثم أضاف: «ولا تقلقوا، أعدكم أننا سنعتني بكم جيدًا مهما كان الطقس».

قيَّمه ديفيد جيمس، بدا أنه شخص واثق من نفسه، ومتأكدٌ من قدرته على الوفاء بوعده. من الواضح أنه كان ناجحًا للغاية في هذا الفندق، وأنه فخور بمؤسسته، كما يبدو. تحدث معهم للحظة ثم عاد إلى مطبخه.

---

(1) خليط من المشروبات الكحولية.

استقر ديفيد مرة أخرى على مقعده، وتطلع إلى عطلة نهاية الأسبوع من جديد.

***

شاهدت لورين إيان وهو يثير إعجاب الرجل الجالس قرب المدفأة. كان قادرًا على الانسجام مع أي أحد، واكتشف بالفعل أن ديفيد محامي دفاع جنائي من مدينة نيويورك. يحاول إيان الآن استدراجه حول بعض قضاياه.

سأله إيان بفضول: «وما أكثر قضية مثيرة للاهتمام عملت عليها؟».

أجاب المحامي بابتسامة مراوغة قليلًا: «كل القضايا مثيرة للاهتمام».

سألته لورين: «هل هناك أي قضية قد نكون قرأنا عنها في الصحف؟».

- ربما.

شعرت في هذه اللحظة أن هناك أحدًا ينزل الدرج، فألقت نظرة سريعة إلى أعلى من جانبها. رأت أنهما كانتا جوين ورايلي ولاحظت أن المحامي شاهدهما وهما تنزلان. وصلت السيدتان إليهم وجلستا معًا على إحدى الأرائك المقابلة للنار. ابتسمت لهم جوين ابتسامة مترددة، بينما لم تنظر رايلي إلى أي أحد في الوقت الذي جاء فيه برادلي بالمشروبات ليشتت الانتباه على نحو مفيد. طلب كل منهما كأسًا من الميرلوت ثم عمَّ الصمت.

ظنت لورين أن جوين بدت مختلفة تمامًا من دون قبعة التزلج وسترة الشتاء المنتفخة. كانت ضئيلة ونحيلة وتناقض شعرها الأسود اللامع تناقضًا صارخًا مع بشرتها البيضاء الكريمية. أمَّا رايلي فكانت أطول، وشعرها الأشقر ينسدل بهدوء على كتفيها. بدت سقيمة بجانب جوين.

لم يدع إيان المحامي ديفيد وشأنه، بل سأله: «هل دافعت عن أي قتلة؟».

ظهرت ابتسامة على وجه المحامي أخيرًا بسبب حماس إيان. هز المشروب الذي في كأسه بشكل دائري ثم قال: «أجل، لقد فعلت، كثيرًا».

- هيا أخبرنا!

تدخلت لورين وقالت لديفيد: «لا تهتم لأمره، أعتقد أنه يشاهد الكثير من برامج الجريمة».

- الأمر ليس دائمًا كما يبدو على التلفاز.

فسألته لورين بعدما لاحظت فمه المائل إلى أسفل: «ما الذي تعنيه؟».

هزَّ كتفيه وقال: «في التلفاز تتحقق العدالة عادةً، وهذا لا ينجح دائمًا في الحياة الحقيقية».

تساءل إيان: «أتعني أنك -كمحامي دفاع- بارع للغاية في عملك؟».

ضحك الجميع ثم أصبح بإمكان لورين أن تسمع السيدتين تتمتمان الآن، لكنها لم تستطع أن تسمع تمامًا ما كانتا تقولانه لأنهما أبقيتا صوتيهما منخفضين.

قال المحامي: «أنا أفعل كل ما في وسعي».

سألته لورين: «وكيف تفعل هذا؟ كيف توفق بين ما تفعله وبين ضميرك وأنت تدافع عن شخص تعلم أنه قد يكون متهمًا بارتكاب شيء فظيع؟».

ثم أضافت بسرعة: «أنا آسفة، لم أقصد أن أحكم عليك».

***

خفض ديفيد بايلي بصره نحو كأسه الفارغة تقريبًا، وفكر كيف يجيب. طُرح عليه هذا السؤال مرات عديدة. لقد كان ناجحًا للغاية كمحامي دفاع، أمَّا كإنسان فهو لم يكن متأكدًا من نجاحه. اقترح عليه زملاؤه في الشركة برفق أن يأخذ إجازة أو يسافر، ولكنه لم يملك أحدًا يسافر معه ولم يعد لديه زوجة. رغم أن السفر حول العالم قد يشتته لبعض الوقت، فإنه لن يصلح الفراغ الذي في روحه. قضاء الجزء الأكبر من حياته المهنية بنجاح في الدفاع عن القتلة كانت له ضريبته بالتأكيد، لكنه لديه إجابة عن سؤال لورين. علم ما الذي عليه قوله، حتى وإن كان لا يمثل بالضرورة ما يؤمن به فقال: «لدي عمل لأقوم به بصفتي محامي دفاع. الجميع بريء حتى تثبت إدانته بموجب نظامنا القانوني. وظيفتي هي تمثيل أي متهم على أفضل وجه».

أضاف بعدها قائلًا: «إن كان بإمكان المحامين رفض تمثيل أحد ما ببساطة بسبب حساسيتهم أو ضميرهم...».

ظلت لورين تصغي له باهتمام شديد فرفع كتفيه وقال: «حسنًا، من دون محامي الدفاع لن يعمل النظام».

ابتلع قدرًا كبيرًا من مشروبه. بدا كل شيء جيدًا للغاية فأضاف: «عليكِ أن تنظري إلى الصورة الأكبر».

لم يخبرهم كيف يمكن لهذا الأمر أن يكون صعبًا.

أدرك الآن أن السيدتين الجالستين على الأريكة على بُعد قليل منهم كانتا تشاهدانه وتصغيان إليه. شعر أن السيدة ذات الشعر الداكن جذابة بصورة هادئة. نظرت إليه بعينين ينبعث منهما الذكاء والتقييم. وَدَّ أن يتحدث معها، ربما سيتضح أن هذه العطلة الأسبوعية مصدر لتشتيت الانتباه بعد كل شيء.

***

نظرت جوين إلى المحامي وهو يجلس بجانب النار. كان أكبر منها سنًّا، ربما في الأربعين من عمره أو ما شابه، إذ بدأ شعره القصير الداكن بالتحول إلى اللون الرمادي عند صدغيه. امتلك وجهًا جيدًا -جذابًا وطيبًا- وابتسامة حزينة نوعًا ما لكنها راقتها. أعجبتها نبرة صوته وطابعه، وأنه يواصل الحديث من دون جهد، ربما بفضل ما قضاه من سنوات من التحدث في المحكمة. تمتَّعَ بثقة وراحة وهو يتحدث عن نفسه، وهو أمر وجدته جذابًا فيه. كانت شابة عصرية وتعتبر نفسها مؤيدة للنسوية، ولكنها لم تكن واثقة من نفسها قط على وجه التحديد، وهي صفة تعجب بها في الآخرين، بل تحسدهم عليها حتى. أرادت أن تكون قوية ومستقلة مثل رايلي. حسنًا، مثلما اعتادت أن تكون رايلي. نظرت إلى صديقتها نظرة خاطفة، لكن لترى فقط إلى أين أوصلتها تلك الصفات.

كانت رايلي بجانبها تتجرع أول كأس نبيذ لها كأنها تشرب ماءً في يوم حار، أو كأنها تشرب كؤوسًا صغيرة من الكحول مع الشباب. دائمًا ما كانت شاربة كحول بارعة. لم تلمس جوين كأسها تقريبًا، لكنها أخذت جرعة كبيرة بعدها، بينما بدا أن رايلي خرجت من حالة التصلب النصفي إلى حالة حركة.

توجهت إلى الشاب الذي معه عربة البار وسألته: «هل يمكن أن آخذ كأسًا أخرى؟».

- بالتأكيد.

سكب لها كأسًا أخرى فشكرته، ثم تجرعتها كلها مباشرة. صار الجميع صامتين الآن وهم يشاهدونها، وأصبحت جوين قلقة ومحرجة. لم ترغب أن تجذب رايلي الانتباه لنفسها ولم تردها أن تثمل أيضًا، فهي لا تعلم إطلاقًا ما الذي ستفعله وكيف ستصبح. اعتادت رايلي أن تكون دائمًا مرحة وهي ثملة، إنها فتاة تحب الحفلات، لكن جوين لا تعلم الآن ما الذي عليها أن تتوقعه منها. لقد اختلفت تمامًا منذ عودتها من أفغانستان هذه المرة. تصير منعزلة أحيانًا وتحدق إلى الفراغ فقط، وأحيانًا أخرى تصبح عصبية وعنيفة قليلًا. كانت مظاهر توترها العرضية –وتململها والطريقة التي تتحرك بها عيناها بسرعة دائمًا في كل اتجاه- قد بدأت تثير أعصاب جوين بالفعل. التقت عيناها بعيني المحامي من دون قصد، فأشاحت بنظرها بعيدًا عنه بسرعة.

ندمت بالفعل على اقتراح قضاء هذه العطلة في مكان بعيد. تقف سيارتها في مصرف يبعد أميالًا عن هنا وأبلغتها شركة قطر السيارات أنهم لن يستطيعوا إحضار السيارة إلى الفندق قبل صباح الغد وبهذا الوقت ستكون السيارة في الغالب مدفونة للغاية لدرجة أنهم لن يتمكنوا من إيجادها. مالت أكثر نحو رايلي وهمست لها: «ربما ينبغي لكِ أن تتمهلي قليلًا».

***

الفصل الرابع

تسللت دانا من أسفل الأغطية، ثم صفعت يد ماثيو بعيدًا وهو يحاول الإمساك بها. ابتسمت له وقالت: «ينبغي أن نذهب إلى الأسفل، ألست جائعًا؟».

أجاب ماثيو ببهجة وهو ينهض من الفراش: «أصبحت الآن... لأنكِ ذكرتِ الأمر».

ارتدت بسرعة فستانًا بسيطًا لكن أنيقًا بلا أكمام. كانت تتألق في أي شيء ترتديه، فالجينات كانت كريمة معها وهي الآن لديها المال الكافي لتستفيد الاستفادة القصوى مما حصلت عليه من جمال.

ماثيو رجل دافئ وكريم، وهي تحبه كثيرًا، لكن وجود المال لا يضر بالطبع. فكرت كثيرًا كم هي محظوظة وكم من المؤسف حتمًا لمعظم السيدات أن يتزوجن وينجبن وفقًا لميزانية.

أدركت جيدًا أنها وماثيو ينعمان بحياة ساحرة، وأنها لن تكون نادمة عليها، لكنها لن تتباهى بها أمام أحد أيضًا، فهي تدرك ذلك الشعور عندما ترغب -بشدة- في أشياء لا يمكنها الحصول عليها. يبدوان لأي أحد لا يعرف ماثيو على أنهما زوجان ناجحان غنيان فحسب، لكن ماثيو أتى من عائلة ثرية، فاحشة الثراء.

سألها وهي تضع قرطها الثاني: «جاهزة؟».

جلست على طاولة الزينة ونظرت إليه في المرآة وهو يقف خلفها. كان الأمر شاعريًّا للغاية فسألته: «لماذا لا تشتري السيدات طاولات زينة كهذه هذه الأيام؟».

قال وهو ينظر إليها في المرآة ويلمس برفق خصلة من شعرها الطويل: «لا أعرف. ينبغي لهن شراؤها».

- بعد العشاء يمكننا أن نجلس أمام النار هنا ونشرب الشمبانيا التي تركوها لنا.

فكرت كم سيكون الأمر جميلًا وهما بمفردهما، هنا، في تلك الغرفة المثالية، بجانب ضوء النار بينما الثلج ما زال يتساقط ليسكت صوت العالم الخارجي. كم سيشعران أنهما بعيدان عن حياتهما اليومية.

***

أغلق ماثيو باب الغرفة خلفهما ووضع المفتاح في جيبه. رأى تجمعًا صغيرًا للنزلاء عندما اقتربا من بسطة الدرج ورأيا الردهة. كان الشاب الذي وقف عند مكتب الاستقبال من قبل يمزج المشروبات ويتحدث بارتياح مع حفنة من الناس الجالسين بالقرب من المدفأة. وصلا إلى نهاية الدرج واقتربا من المجموعة، فقال الشاب: «البار مغلق هذا المساء، وينقصنا نادل لكننا نتدبر أمرنا. أرجو أن يكون لا بأس بذلك».

أكد له ماثيو وهو يبتسم ويضع يده على ظهر دانا: «لا مشكلة على الإطلاق».

بدا كأنه ترتيب مريح للغاية، فجلسا على أريكة أمام الشاب والفتاة القريبين من سنهما. كان هناك رجل يكبرهما سِنًّا قليلًا ويبدو أنه بمفرده وسيدتان تتشاركان أريكة أمام النار.

ابتسم الشاب بتقدير لدانا وسألها: «ماذا ستطلبين؟».

- فودكا مارتيني من فضلك.

وقال ماثيو: «وأنا حضِّر لي شراب سكوتش مثلَّجًا، شكرًا لك».

أردف الشاب: «أنا برادلي».

ليقول الرجل الذي بمفرده: «أنا ديفيد».

أضاف الرجل الذي يجلس أمامه: «إنه محامي دفاع، أنا إيان وهذه لورين».

ابتسمت له لورين، ثم قال ماثيو: «أنا أُدعَى ماثيو وهذه خطيبتي دانا».

مال إيان وأشار نحو السيدتين الجالستين على الأريكة وقال: «وهما جوين ورايلي».

أومأت جوين وابتسمت برزانة بينما نظرت إليهما رايلي وابتسمت لهما ابتسامة قصيرة للغاية قبل أن تشيح بوجهها وتحدِّق إلى النار ليبتسم إيان مضيفًا: «لقد وجدناهما عالقتين في مصرف ليس ببعيد عن هنا».

اعتقد ماثيو أن إيان يبدو ودودًا ومن السهل التحدث إليه والإعجاب به. ذكرت جوين: «نحن محظوظتان لأنهما مَرَّا بنا، وإلا كنا سنظل هناك في الخارج على الأغلب، متجمدتين حتى الموت».

هزت الرياح النوافذ كأنها تؤكد على كلامها قبل أن تتابع: «سيكون عليَّ أن أجلب شاحنة قطر سيارات لتخرج سيارتي من مكانها في الصباح. لم يتمكنوا من القدوم الليلة فمن الواضح أن الطرق بحالة سيئة للغاية».

علق ماثيو: «نحن محظوظون لأننا وصلنا إلى هنا في الوقت الذي وصلنا فيه، وإلا ربما لم نكن لنصل قط. أعتقد أن العاصفة أسوأ مما كُنَّا نتوقع».

رد عليه برادلي: «أنا أفهمك، أحيانًا أتعجب من مذيعي حالة الطقس. يقول والدي إن النظر عبر النافذة أكثر فائدة. لقد شغَّل الراديو في المطبخ ويقولون إن الطريق الرئيسية مغلقة وإن الطرق الجانبية لا يمكن العبور منها إلى حد كبير. لم يتمكن بعض النزلاء من الوصول إلى هنا، لكن لأصدقك القول، هذا شيء جيد فنحن لدينا نقص في الأيدي العاملة بسبب العاصفة».

علقت جوين لتقول: «أوه، يا إلهي».

فأردف برادلي في ثقة مفرطة: «لا تقلقي، نحن يمكننا الاعتناء بكم تمامًا».

اعتقد ماثيو أن برادلي شاب حسن المظهر وواثق للغاية من نفسه لدرجة تصل إلى الغرور تقريبًا.

قالت لورين: «أتمنى ألا ينقطع التيار الكهربائي».

أكد لها برادلي قائلًا: «إن حدث وانقطع فمعظم الغرف بها مدافئ ومخزن الحطب مجهز جيدًا بالخشب، كما أن لدينا بعض المصابيح الزيتية إن احتجناها».

علق إيان: «هذا يبدو لطيفًا نوعًا ما حقًّا».

لمح ماثيو بعض الحركة بطرف عينيه فرفع بصره. هناك زوجان آخران ينزلان الدرج. بدا أنهما أكبر سِنًّا منه هو ودانا، ربما في أواخر الأربعينيات من العمر، كما بدا أن الرجل يشعر بالضيق بسبب شيء ما، والسيدة التي بجانبه بدت كأنها تحاول أن تحسِّن مزاجه قدر استطاعتها.

انضم الرجل إليهم وقال فورًا لبرادلي: «يمكنني أن آخذ سكوتش مع صودا».

أخذ المشروب من برادلي عندما قدمه له ووقف بجانب المدفأة تاركًا زوجته بمفردها عند عربة البار، فسألها برادلي: «ما الذي تودين أخذه يا سيدتي؟».

أجابت بأدب: «سآخذ جِن وتونيك من فضلك».

تحركت جوين من مكانها قليلًا وربَّتت على المكان الفارغ على الأريكة بجانبها، وهي تقول: «تعالي واجلسي».

نظرت السيدة إليها بامتنان وانضمت إليها لتغوص بين الوسائد. عرَّف إيان الزوجين على المجموعة ثم نظر تحديدًا إلى الرجل الواقف أمام المدفأة فقال: «أنا هنري وهذه زوجتي بيفرلي».

تمتمت زوجته للجميع: «سررت بمقابلتكم».

قالت لها لورين: «لقد كُنَّا نتحدث عن العاصفة للتو وكان برادلي يخبرنا أن الثلوج حاصرتنا ويطمئننا أننا ليس لدينا ما يدعو للقلق إن انقطعت الكهرباء».

تذمر هنري: «لا يوجد تغطية هاتفية هنا بالأعلى، ولا يوجد إنترنت. الأمر أشبه بأن تُدفن حيًّا».

عَمَّ صمت مخيف بسبب ما قاله هنري، ثم قال برادلي بعدما احمرَّ وجهه قليلًا من التوبيخ: «لم تكن لدينا تغطية هاتفية قط ولا إنترنت، وهذا في كتيِّبنا. يأتي الكثير من النزلاء إلى هنا بالأعلى ليهربوا من كل هذا».

لاحظ ماثيو النظرة اللاذعة التي وجَّهها هنري لزوجته كأن عدم وجود إنترنت كان خطأها هي. ربما كان هذا سبب انزعاجه الشديد.

قالت بيفرلي بشجاعة: «المنظر الطبيعي جميل رغم ذلك، وأرى أن هناك الكثير من الكتب هنا».

هذا حقيقي، لاحظ ماثيو مكتبات ملأى بمختلف أنواع الكتب في أرجاء الفندق. تطوعت لورين وقالت: «لقد وجدت رواية قديمة لأجاثا كريستي على المنضدة التي بجانب فراشي».

قال برادلي وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «إنه أنا، أنا من وضعت الكتب في جميع الغرف فهي ألطف بكثير من وضع الشوكولاتة على الوسائد، ألا تعتقدون ذلك؟ رغم أننا نضع شوكولاتة أيضًا بالطبع».

لتقول لورين: «أعتقد أنه أمر مبتكر».

- في الواقع لدينا مكتبة ضخمة نوعًا ما، يمكنني أن أجد لكِ كتابًا آخر إن أردتِ. أنا على دراية جيدة بمحتويات المكتبة، فقد قرأت معظم الكتب. يحب نزلاؤنا القراءة في المكتبة بالطبع، لكنهم في الصيف يقرؤون على الأرجوحة الشبكية أو بجانب حمام السباحة، أو داخل مقصورة الحديقة.

قال ماثيو وهو يبتسم لدانا: «علينا أن نعود إلى هنا في فصل الصيف، بعد زواجنا».

وافقه برادلي: «عليكما العودة، فالمكان هنا جميل في الصيف، لكنه على نفس القدر من الجمال في الشتاء. يمكنني أن أشعل المدفأة في المكتبة بعد العشاء إن أراد أي أحد الجلوس هناك».

قالت لورين: «نرغب في رؤية منزل الجليد».

فسألت بيفرلي: «وما هو منزل الجليد بالضبط؟».

ابتسم برادلي وأجابها: «إنه مبنى إضافي صغير من الجليد والثلج بالكامل. لقد حولناه إلى بار، وكل شيء منحوت من الجليد: البار، والأرفف، وحتى المقاعد، وهناك بعض المنحوتات الرائعة. الأشياء الوحيدة هناك التي لم تُصنع من الجليد هي الزجاجات والكؤوس وأدوات البار. إنه رائع للغاية، لم أحظَ بفرصة لأخلي الطريق إليه من الثلج حتى الآن، لكني سأُخرج منفاخ الثلج وستكون الطريق مفتوحة غدًا، أعدكم بذلك».

قالت جوين: «يبدو هذا باردًا».

اعترف برادلي قائلًا: «ستحتاجين إلى سترة».

***

تغيرت الأجواء في الغرفة قليلًا منذ وصول دانا وماثيو. لم يسع لورين سوى أن تلاحظ كيف تصرف الرجال الذين في الغرفة عندما انضمت دانا إليهم. حدَّق برادلي إليها وهو يقدم لها المشروب، فالرجال الكبار سِنًّا أفضل في إخفاء مشاعرهم، ومع ذلك من المستحيل تجاهل أن جمال دانا الأخَّاذ قد أثر في الجميع. كان الأمر كأنهم جميعًا أولوا اهتمامهم إليها فجأة، حتى إيان. ركلته ركلة صغيرة الآن، وهي غاضبة، فعاد بانتباهه إليها.

علمت لورين أنها امرأة جذابة، ولم تشك قط في أن إيان يراها هكذا، ولكن دانا كانت من طبقة مختلفة تمامًا. لا يتعلق الأمر بجمالها فقط الذي يصعب تجاهله، بل بسحرها ودرايتها بجمالها. جعلت كل امرأة في الغرفة تشعر أنها امرأة من الدرجة الثانية دون محاولة منها حتى. لاحظت لورين أن هناك شيئًا يتعلق بالسيدات الجميلات للغاية، يجعلهن يعتقدن أنهن يستحققن أي شيء يُرِدْنه.

وجدت لورين نفسها تحدِّق إلى دانا. نظرت دانا إليها مباشرةً فجأةً، كأنها شعرت بعيني لورين الواقعتين عليها. لم تختفِ الابتسامة من على وجهها الجميل وهي تثبت نظرها على لورين.

ذكَّرت دانا لورين بشخص ما، لكنها لم تستطع تذكر من، ربما ذكرتها فقط بكل تلك السيدات اللاتي يظهرن على شاشات السينما والمجلات، اللاتي

يذكرن باقي السيدات بعيوبهن. أشاحت لورين بنظرها أولًا، ووقعت عيناها على جوين ورايلي وهما تشاهدان دانا أيضًا.

الجمعة، الساعة السابعة إلا الربع مساءً

عندما خرج جيمس من مطبخه ودخل إلى الردهة للاطمئنان على النزلاء، رأى أن ساعة الكوكتيل كانت في أوجها. أخذ النزلاء يتحدثون مع بعضهم، وبدا كل شيء مبهجًا تمامًا. كانوا يشربون لفترة بالفعل، هناك شيء ما يتعلق بمحاصرة الثلج للأماكن يجعل الناس تجتمع معًا.

لَمَحَهُ ابنه وهو يدلف إلى الردهة. كان برادلي يحمل زجاجة محكمة من الشمبانيا -فيوف كليكوت- من عنقها بتساهل. إنه شاب لافت للنظر، والآن تسقط خصلة من شعره إلى الأمام على جبهته لتعطيه سحرًا أنيقًا معينًا. كان طويلًا نحيفًا رياضيًّا ويبدو مرتاحًا تمامًا في سرواله الأسود الضيق وقمصيه الأبيض المجعد. ارتدى الملابس جيدًا كما أنه جيد للغاية في التعامل مع النزلاء. تمتع بثقة كبيرة، وكان اجتماعيًّا للغاية مثل والدته. شعر جيمس براحة أكبر وهو خلف الكواليس في مطبخه يرتدي مريلته أو يراجع حساباته. ما زال لديه بعض المخاوف بشأن برادلي. يقلق عليه من أن يتجاوز حدوده لأنه ما زال شابًّا ومندفعًا. عليه أن يتذكر دائمًا أنه خادم وليس نزيل. هناك حدود يجب أن يراعِيَها، وبرادلي لم يكن دائمًا جيدًا للغاية في مراعاة الحدود.

جميع النساء يشربن الشمبانيا الآن من كؤوس الكوبيه العريضة قديمة الطراز. يطلب نزيل صعب الإرضاء في بعض الأحيان كأسًا طويلة ضيقة، لكن معظمهم يستمتعون بشعور العشرينيات مع الكؤوس الكوبيه، فجيمس نفسه يحبها وهي تتماشى جيدًا مع فندقه.

عرَّف برادلي الجميع على والده، وصار بإمكان جيمس الربط بين الأسماء والوجوه الآن. قالت لورين وهي ترفع كأسها: «لقد انتقلنا إلى شرب الشمبانيا».

وافقها جيمس: «هذا اختيار ممتاز».

أعلنت دانا التي كانت شابة جميلة بشكل لافت للنظر وترتدي خاتم خطوبة بماسة كبيرة في إصبعها: «ما دام الثلج يحاصرنا هنا، فقد قررنا أن نستفيد من الأمر استفادة قصوى».

قال هنري وهو يقف أمام المدفأة ويحمل مشروبه عاليًا: «السيدات يحتفلن، لكن الرجال يشربون فحسب».

سأل إيان برادلي: «هل قابلنا الجميع الآن يا برادلي؟ أليس لديك أي نزلاء آخرين مقيمين الليلة في الفندق؟».

- لا، لا يوجد أحد آخر، لكن وصلت سيدة هذا الصباح ولا أعتقد أننا سنقابلها كثيرًا فقد قالت إنها تؤلف كتابًا وترغب بالبقاء في هدوء.

سألته دانا: «كتاب؟ أي نوع من الكتب؟».

- ليس لدي أدنى فكرة فهي لم تخبرني.

فسألته جوين: «وما اسمها؟».

- كانديس وايت، هل تعرفونها؟

هز جميع من في الغرفة رؤوسهم، فأردف برادلي: «على أي حال، هذا كل شيء، ولن يأتي أي أحد آخر، ليس في طقس كهذا».

الفصل الخامس

جلست كانديس وايت على طاولة الكتابة الأثرية أمام نافذة غرفتها ونظرت إلى المنظر الطبيعي الشتوي بالخارج وهي ممتنة لوصولها هنا في وقت مبكر قبل هطول الثلج. استطاعت أن تقضي يومًا جيدًا من العمل. كانت قد قادت سيارتها من مدينة نيويورك إلى هنا في الصباح الباكر وهي في حاجة شديدة إلى الهروب. صارت كتلة من الاستياء والحساسية هذه الأيام. ليس الأمر كأن يكون لديها أسرتها التي تحتاجها، وزوجٌ بمظهر رَثٍّ وأطفالٌ صغار أيديهم دبقة ويعشقونها. أعادت النظر في خيالها ووجدت أنه إن كان لديها أبناء، قد يكونون على الأغلب في سن المراهقة الآن وربما لن يحبوها كثيرًا. تتخيل أحيانًا بالفعل كيف يكون شكل أبنائها في أعمار مختلفة وفي ظروف مختلفة لو كانت رُزقت بأبناء، ولو كان حالفها الحظ في الحب. لكن لا، لم يحالفها الحظ في الحب، ولم تكن النهاية السعيدة من نصيبها. كان لها نصيب الأسد من رعاية أمها الأرملة ذات الصحة المتدهورة، بما أنها كانت الأخت الوحيدة التي لم تتزوج بين ثلاث أخوات لأن أختيها، الأنانيتين نوعًا ما، كل منهما مشغولة للغاية بعائلتها المتطلبة التي تحبها.

شعرت كانديس أنها خُدعت مرتين. أنكرت السعادة التي بدا أن أختيها اعتبرتاها أمرًا مفروغًا منه، وصارت مثقلة بواجب رعاية والدتها المسنة وهو عمل غير مجز، وطاحن، ومحبط. الأمر ليس أنها لا تحب والدتها، لكنه

أمر... صعب ومحزن للغاية بسبب اتِّكال والدتها عليها واحتياجاتها الجسدية المحرجة، وحقيقة أن والدتها لا تتعرَّفها حتى معظم الوقت. استنزف هذا إبداعها بالكامل وصعَّب عليها عملها، ولهذا كان من المهم للغاية أن تقضي هذا الوقت بعيدًا لتنهي كتابها.

تتدخل أختاها فقط عندما تسافر خارج المدينة في مهمة، وهذا نادرًا ما يحدث في الآونة الأخيرة. أصبحتا متساهلتين ومعتمدتين عليها طوال الوقت، وصارت زياراتهما لوالدتهما أقل وأقل. كانت عائلتاهما أكثر أهمية **وكانديس ليست لديها عائلة ويمكنها القيام بذلك.** وجدت نفسها تتفوه بتلك الكلمات بهدوء وسخرية وتلقائية بينما اعتلى وجهها تعبير ساخر.

حسنًا، إن كان هذا الكتاب جيدًا كما تعتقد أنه سيكون -وكما يقول وكيل أعمالها- فسيتعين على الجميع أن يصححوا طريقة تفكيرهم ويجب أن تتغير ديناميكية الأسرة. انتقلت ببصرها من دوامات الظلام خارج النافذة إلى شاشة حاسوبها المحمول.

تركت نفسها تنحرف عن مسارها في الكتابة؛ ينبغي لها أن تكتب صفحة أخرى قبل أن تنزل لتناول العشاء. تفقدت ساعتها وأدركت أن ساعة الكوكتيل قد فاتتها. إنه لأمر محزن أن يفوت كاتب ساعة الكوكتيل. عادت لتنظر إلى شاشة الحاسوب أمامها وندمت على آخر فقرة كتبتها فكان عليها أن تحذفها لذا حددتها ونقرت على زر الحذف.

خلعت كانديس نظارة القراءة الخاصة بها وفركت عينيها. قد تكون بحاجة إلى استراحة؛ ستواصل العمل بعد العشاء وسيكون هناك نبيذ مع العشاء.

قالت لنفسها مرة أخرى إنه توجَّب عليها أن تبتعد عن والدتها لكي تنتهي من هذه المسودة. حاولت ألا تشعر بالذنب بسبب هذا الأمر. ينبغي لها أن تكتب آخر عشرة آلاف كلمة، لكن ما زال عليها أن تأكل.

علقت الكثير من الآمال على هذا الكتاب، فهو أول شيء خاص بها تكتبه منذ وقت طويل. عاشت كانديس على دخل زهيد لعقدين، تقريبًا عملت فيهما مؤلفة كتب غير روائية، ولكنها عملت كاتبة مجهولة لتؤلف كتب الآخرين، وحدث هذا بشكل متزايد في الآونة الأخيرة –عملت في كتابة كل شيء من كتب الاعتماد على الذات إلى كتب إدارة الأعمال- إلا أن معظم هؤلاء العباقرة ليسوا

ناجحين بشكل خاص، لذلك لم تعتقد قط أن معرفتهم تستحق الورقة التي طُبعت عليها. لكنها لا تهتم ما داموا يدفعون لها المال. جنيت مالًا جيدًا عندما بدأت العمل. استطاعت أن تحظى بوقتها الخاص وتقابل بعض الأشخاص المثيرين للاهتمام. تمكنت من السفر –دون أن تدفع تكاليف السفر- عندما كانت أصغر سِنًّا، كانت هذه ميزة قيمة، أمَّا الآن فهي تريد أن تسافر أقل مما مضى وتجني مالًا أكثر بكثير.

تمنت أن هذا الكتاب –الخاص بها- يحقق لها ثروة. أغلقت حاسوبها المحمول ثم نهضت كانديس ونظرت إلى نفسها بانتقاد في مرآة طولية، وقررت أنها لا يمكنها حقًّا أن تنزل مرتدية سروال اليوجا. ارتدت تنورة لائقة وجوارب، ثم وضعت وشاحًا حريريًّا حول عنقها. مشطت شعرها في تسريحة ذيل حصان جديدة ومهذبة، ووضعت أحمر شفاه جديدًا ثم اتجهت إلى الأسفل.

***

الجمعة، السابعة مساء

تحرك الجميع إلى غرفة الطعام في وقت العشاء. كانت الوجبة مُعدَّة كمائدة مفتوحة إذ وضعت طاولة طويلة بجانب أحد الجدران وكانت مملوءة بأطباق تقديم كبيرة فضية اللون، وصحون من السلطة، وسلال من مختلف أنواع الخبز والفطائر. زودت الثريَّا اللامعة المكان بضوء ناعم. كانت الطاولات مغطاة بمفارش من الكتان الأبيض وموزعة في غرفة الطعام، بعضها مُعَدٌّ لفردين وبعضها مُعد لأربعة أفراد. سرعان ما ظهر صوت قعقعة طفيفة من احتكاك أدوات المائدة الفضية مع الصحون الفاخرة عندما جمع النزلاء الأطباق ليضعوا الطعام لأنفسهم.

ملأ ديفيد بايلي طبقه ببطء وتباطأ مستمتعًا أمام اللحم المشوي والفجل الحار ومختلف الأطباق الجانبية الحارة –اختار بطاطس مخبوزة بصلصة الكريمة وهليون- وتساءل أين ينبغي أن يجلس. افترض أنه يستطيع الجلوس

مع أي أحد إلا الاثنين المخطوبين اللذين رغبا في أن يكونا بمفردهما على ما يبدو، فاختارا طاولة لفردين عند الزاوية. ظهرت سيدة لم يكن قد رآها من قبل في مثل عمره –لذا لا بد أنها المؤلفة– وأخذت طاولة لفردين. افترض أن بإمكانه الانضمام إليها، لكنها بدت ممانعة نوعًا ما، إذ نظرت بتركيز إلى إحدى المجلات على طاولاتها وهي تتناول طعامها. لم تُلقِ التحية على أي أحد عندما دلفت إلى غرفة الطعام. أراد بشدة أن ينضم إلى السيدة ذات الشعر الداكن التي تُدعى جوين وصديقتها المتوترة نسبيًّا. كانت جوين ورايلي قد ملأتا أطباقهما بالفعل وجلستا على طاولة لأربعة أفراد. سار نحوهما وسألهما بأدب: «هل يمكنني الانضمام إليكما؟».

نظرتا إليه باندهاش. قيَّمه زوجان من الأعين المتوترة. خمَّن ديفيد أن عيني رايلي زجاجيتان من الإفراط في الشرب بسرعة كبيرة. لاحظ أن جوين أجمل حتى عن قرب، كان وجهها شاحبًا ورقيقًا ولديها شعر داكن جميل. تمتعت بملامح هادئة وليست حادة، امتلكت نوعًا من وجوه تخيل أنه يمكنه النظر إليه لوقت طويل. كان متفاجئًا من نفسه لأنه يفكر بهذه الطريقة فهو قد قابلها للتو. تمنى فجأة لو كانت بمفردها مثله في هذه العطلة الأسبوعية حتى يستطيعا التعرف إلى بعضهما. كان الأمر محرجًا إلى حد ما في الواقع، بخاصة وأن صديقتها رايلي، بدت وكأنها لا تفضل وجود رفقة.

رأى جوين تنظر نظرة خاطفة إلى رايلي التي رفعت كتفيها دون أن تقول نعم أو لا. لم يكن هذا تصرفًا فظًّا للغاية، لكنه لم يكن ترحيبيًّا أيضًا. توجهت جوين إليه وقالت له: «أجل، بالطبع. تفضل بالجلوس».

جلس بجانب رايلي ليكون أمام جوين ويستطيع النظر إليها، ثم سألته: «هل أنت هنا بمفردك؟».

احمرَّ وجهها قليلًا. سَحَرَهُ اللون الذي ظهر على وجنتيها وأجاب: «أجل، أنا هنا بمفردي. جئت إلى هنا لأبتعد وأفكر في بعض الأشياء».

لم يكن واثقًا لماذا يخبرها بذلك، لكنها قالت بأدب: «فهمت».

شعر بالانزعاج وهو يتحدث عن نفسه، لكنه لم يرغب في أن يبدُوَ متطفلًا للغاية أيضًا إن سألها عن نفسها. أدرك أن هذا لا يترك أمامه الكثير ليتحدث عنه ثم قالت عندما أوشك الصمت أن يصبح محرجًا: «أنت محامي دفاع؟».

- أجل.

من الغريب أنه لم يستطع التفكير في أي شيء آخر ليقوله. وجد لسانه معقودًا. لم يكن هكذا في العادة، لكنه كان يشعر بعداء خفي بالكاد يفوح من صديقتها، وهذا أمر مقلق.

قالت جوين بيسالة: «لا بد أن هذا مثير وصعب، رغم أنه أمر مرهق في الغالب أيضًا».

اتفق معها بقوله: «أجل».

لم يعلُ إلا صوت أدوات المائدة على الصحون للحظة وهم يتناولون اللحم المشوي على العشاء. وجد ديفيد نفسه يلاحظ وميض ضوء الشمعة المنعكس على زجاج النوافذ فتوجه إليها بسؤال أخيرًا: «ما الذي جلبكما إلى هنا في هذه العطلة الأسبوعية؟».

قد تصعد صديقتها إلى أعلى ويتمكنان من الجلوس أمام نار المدفأة ويتحدثان، هذا ما كان يود حدوثه. نظرت جوين إلى رايلي بسرعة ثم قالت: «أردنا فقط أن نبتعد قليلًا ونقضي عطلة للفتيات».

- أوه.

ليس هناك الكثير ليقوله تعليقًا على ذلك. لا يستطيع التطفل على عطلة فتيات. عادت جوين لتقول: «أنا ورايلي كُنَّا في كلية الصحافة معًا، وهي تعمل في صحيفة «نيويورك تايمز» (New YorkTimes)».

نظر بقلق إلى رايلي وشعر بالفزع سرًّا، حتى اعترفت له جوين: «لكني لم أعمل صحفية قط حقًّا».

قال ديفيد وعقله يشرد بعيدًا عن المحادثة: «أحقًّا هذا؟ وماذا عملتِ إذن؟».

- أعمل في العلاقات العامة لصالح شركة صغيرة في مدينة نيويورك.

- وهل تستمتعين بعملك؟

طرح هذا السؤال لكنه كان يفكر في استراتيجية للانسحاب وهي تقول: «يمكن أن يكون مشوقًا في أغلب الأحيان، لكن قد يكون طاحنًا أيضًا. إنها وظيفة مثل الكثير من الوظائف، تبدو أكثر تشويقًا مما هي عليه».

تحدثا لبعض الوقت عن أشياء لا تُذكر، وعندما كانوا على وشك احتساء القهوة مع التحلية -التي كانت كعكة فاكهة إنجليزية وكعك الشوكولاتة موضوعة على طاولة المائدة المفتوحة الطويلة- تلعثمت رايلي في حديثها قليلًا بعدما التفتت ونظرت إليه مباشرةً لتقول: «لقد كنت أحاول تذكرك، هلا أخبرتني ما هو اسمك مرة أخرى؟».

نظر إليها رافضًا أن يهرب من نظرتها المباشرة فانتظر وقال لها: «ديفيد بايلي».

عملت صحفية بعد كل شيء، والصحفيون لا يندمون على شيء. لقد علم أن عطلته الأسبوعية على وشك أن تُفسد عليه.

***

عانت بيفرلي سوليفان وهي تتناول وجبتها. تساءلت كيف يمكنهما ألا يجدا شيئًا للتحدث بشأنه بعد مرور عشرين عامًا على زواجهما. يبدو أنه من دون طفليهما في المكان ليقاطعاهما ويشتتا انتباههما لا يوجد إلا القليل من الحديث ليتبادلاه. لم يعتادا أن يكونا هكذا؛ اعتادا أن يكونا رائعين معًا. تناول الطعام مع طفليهما لكل تلك السنوات جعلهما يفقدان قدرتهما على الحديث. فكرت بندم أنه انبغى لهما أن يعينا المزيد من جليسات الأطفال حتى يذهبا لتناول الطعام في المطاعم أكثر من ذلك، كما ينصح الخبراء دائمًا.

جلست لسوء الحظ في وضع يجعلها تنظر مباشرةً إلى الشابين المخطوبين الجذابين للغاية وهما جالسان بمفردهما عند الزاوية. فعلا كل الأشياء التي يفعلها الواقعون في الحب: نظرا إلى عيني بعضهما بعضًا، ابتسما بصورة مفرطة، لامسا بعضهما بعضًا كلما استطاعا، وضحكا بين الحين والآخر.

قالت لنفسها إنهما يافِعان للغاية ولا يعلمان شيئًا.

ظنت أنه من الجيد أن النزلاء الجالسين على الطاولات الأخرى منهمكون للغاية في الحديث مع بعضهم، ولم يلاحظ أحد على ما يبدو أنها وزوجها بالكاد تحدثا إلى بعضهما.

يبدو أنه لا يزال منزعجًا من عدم وجود أي إنترنت، إلا إذا كان منزعجًا بالفعل من شيء آخر. لا يمكنها أن تعلم ما قد يكون هذا الشيء، فالفندق

جميل وقد وافق على القدوم معها. ربما يشعر بالضغط والذنب لأنه لم يمكث في المنزل ويتابع عمله. نادته في النهاية لتلفت انتباهه وعندما التفت لها سألته بهدوء: «هل هناك خطب ما؟».

قال وهو يأخذ قطعة أخرى من اللحم المشوي الممتاز بشوكته: «ماذا؟ لا».

حرصت على ألا تبدو عدائية وهي تقول برفق: «أنت لم تتكلم معي تقريبًا منذ أن وصلنا إلى هنا».

كانت متفاجئة قليلًا في الحقيقة، فَهُما في المنزل لم يملكا إلا القليل من الوقت ليقضياه معًا، لكنهما لم يتعمدا تجاهل بعضهما بعضًا، بل كانا مشغولين للغاية فقط. ثمة شيء مختلف وهي لا تعرف ما هو.

أجاب بشيء من الدفاع: «يشغل ذهني الكثير من الأشياء».

- هل ترغب في إخباري بشأنها؟

نظر إليها كأنه يفكر فيما سيخبرها به. جعلها هذا تشعر بالقلق، ربما هناك مشكلة ما لا تعلم بشأنها لكنه قال: «إنه فقط العمل، لكني لا أفضل التحدث عن العمل في هذه العطلة».

وافقته قائلة: «حسنًا».

أخذت رشفة أخرى من النبيذ وابتسمت له ابتسامة بسيطة ثم أردفت: «لقد جئنا هنا لنسترخي ونستمتع بكل شيء».

حاولت أن تضع شعورها بالقلق جانبًا؛ فهي لديها مفاجأة لطيفة في انتظاره وستبعد ذهنه عمًّا يزعجه.

الفصل السادس



شاهدت لورين النزلاء الجالسين على الطاولات الأخرى باهتمام. دائمًا ما كانت تشعر بالفضول تجاه الناس فتراقبهم وتحاول أن تكتشف ما الذي يجعلهم يتصرفون على هذا النحو، تدرس ما الذي يفعلونه. لماذا تلك المرأة التي تُدعى رايلي الجالسة على الطاولة مع جوين وديفيد تبدو في حالة توتر شديدة على سبيل المثال؟ لقد ظلت تمسح الغرفة بعينيها كأنها تتوقع أن يسرق أحد عشاءها.

أخرج إيان قدمه من حذائه، ولمس ساقها أسفل الطاولة بإصبع قدمه من وراء الجورب. عاد انتباهها إلى الرجل الجالس أمامها وسألته بخجل: «هل تغازلني؟».

كان جذابًا للغاية، ولكنها لم تستطع قط أن تَصُبَّ انتباهها على شيء واحد فقط لفترة طويلة فعقلها السريع ينطلق في أرجاء المكان. لحسن الحظ، لم يبالِ إيان على ما يبدو إذ كان مهتمًّا بالنزلاء مثلها تمامًا تقريبًا. سألته لورين بصوت هادئ: «ما خطب رايلي هذه؟».

أجابها إيان بصوت هامس: «لا أعلم، تبدو وكأنها هربت من مركز إعادة تأهيل أو ما شابه».

حولت لورين انتباهها الآن إلى المحامي الذي كان يتحدث مع جوين. كانت تراقب لغة جسده طوال فترة تناوله وجبة العشاء. لقد تغير شيء ما، عاد في جلسته للوراء وصار يجلس بتصلب الآن كأن هناك من قال شيئًا لا يروقه. كان يميل بجسده إلى الأمام نحو جوين الجميلة ويبتسم لها، ويميل برأسه جانبًا كأنه طائر يبحث عن زوجة له قبل قليل فحسب. ربما أخبرته رايلي فقط أن يغرب عن وجهها.

تركت نظراتها تسافر إلى الزاوية حيث يتناول الشابان المخطوبان العشاء. ضيَّقت عينيها وهي تنظر. لقد شعرت في الحال بالنفور من دانا وهم يشربون الكوكتيل في الردهة، ربما كان هذا بسبب جمالها المخيف ببساطة، ربما بسبب الطريقة التي لوَّحت بها بخاتمها الماسي على نحو لافت للانتباه. لم تتباهَ به أمام أحد بالضبط وتقول «هذا خاتم خطوبتي، أليس رائعًا؟»، لكنها ظلت تحرك يدها التي وضعت عليها طلاء أظفار ممتازًا في الأرجاء باستمرار كأنها تتوسل إلى الناس لكي تلاحظ فحسب. تلألأت الماسة الكبيرة وهي ترتب شعرها بيدها، وأيضًا وهي تلتقط كأس الشامبانيا. لمعت عيناها وهي تنظر إلى خطيبها. كان كل شيء يتعلق بها لامعًا ومشرقًا. قالت لورين لنفسها إن دانا لديها حياة مشرقة ولامعة ثم وجهت انتباهها إلى خطيب دانا.

ما رأيها به؟ اعتقدت أنه شخص يجمع كل الأشياء المشرقة واللامعة.

انتقلت ببصرها إلى المرأة التي لا بد وأنها كانديس وايت. تناولت الطعام بمفردها على طاولة لشخصين بينما تظاهرت بقراءة مجلة، لكنها كانت تحدِّق حقًّا إلى ديفيد، المحامي الذي جلس في وضع لا يجعله يدرك الأمر. تساءلت لورين لماذا تحدِّق كانديس إلى ديفيد. قد تكون رأته جذَّابًا، إنه جذاب بالتأكيد ويمكن للجميع أن يرى هذا. قالت لورين لنفسها (حسنًا)، وتمنت لها التوفيق فمن الواضح أنه مهتم بجوين الأكثر شبابًا وجاذبية.

نقلت كانديس انتباهها بعيدًا عن ديفيد الآن وصارت تحدِّق بشدة إلى دانا وماثيو. إنهما ثنائي حسن المظهر، لكن شيئًا ما ظهر جليًّا على وجهها، كأنها رأت دانا من قبل في مكان ما، أو ربما كان ماثيو هو من رأته من قبل.. فلورين لا يمكنها التأكد من هذا. لكن يبدو كما لو أن اهتمامها انقسم الآن بالتساوي بين الثنائي الشاب اللامع والمحامي المتحفظ.

بدت الكاتبة نفسها صارمة نوعًا ما. سحبت شعرها الداكن بشدة في ذيل حصان بعيدًا عن وجهها. تمتعت بعظام قوية وارتدت تنورة وسترة عملية ونظارات عملية أيضًا. جعلها مظهرها تبدو كممرضة مختصة. الشيء الوحيد المزدهر الذي ارتدته كان وشاحًا جميلًا حول عنقها. لم تكن غير جذابة، لكنها كبيرة في السن، في الأربعين تقريبًا. تساءلت لورين بلا جدوى عن الكتاب الذي كانت تؤلفه. اعتقدت لورين أن المكان ممتع للغاية هنا، في غرفة الطعام الساحرة هذه مع الأضواء الخافتة وعواء الرياح في الخارج، وضربها للنوافذ كأن هناك شيئًا يريد الدخول.

***

أخذت دانا رشفة أخرى من النبيذ الممتاز وابتعدت بنظرها عن ماثيو للحظة لتنظر إلى أرجاء غرفة الطعام. كم يمكن للحياة أن تكون مفاجئة.

كانت تفكر كم هذا العالم صغير فقط عندما دوَّى صوت انهيار عالٍ ومنذر بالشؤم. قفزت دانا قليلًا في مكانها. لاحظت أن الجميع رفعوا أعينهم عن وجباتهم بفزع. ابتسم برادلي وهو يستبدل الأطباق التي على المائدة المفتوحة وقال: «لا تقلقوا، هذا صوت الثلج ينزلق من فوق السطح فقط».

ضحكت دانا بصوت عالٍ للغاية قليلًا وقالت: «يا إلهي، بدا الأمر كأن هناك شخصًا سقط من فوق السطح!».

وافقها برادلي بقوله: «أليس كذلك؟».

***

كان للكحول الفضل في قدرة رايلي على جمع شتات نفسها. تعلم أنها جعلت من نفسها أضحوكة قليلًا في الردهة وهي تتجرع النبيذ والشمبانيا مثل أحد البحارين، لكنها صحفية؛ يمكنها تحمل تأثير الخمور. كانت تعالج نفسها أكثر مما قد تهتم بالاعتراف بتلك السنوات القليلة الماضية، منذ أن بدأت الذهاب إلى الأجزاء القبيحة والخطِرَة من العالم.

لم تستمتع بوجبتها، لم تحب الطريقة التي أقحم بها المحامي نفسه ليأخذ مكانًا على طاولة الطعام. كان مهتمًّا بجوين بوضوح وهذا أزعجها. دائمًا ما

اعتادت رايلي أن تكون من يهتم بها الرجال وليست جوين. كانت رايلي الفتاة الجذابة التي يلاحظها الرجال ويلاحقونها، لكن ليس الليلة، وليس بعد الآن. ربما جعلها هذا الأمر، أكثر من أي شيء آخر، تدرك فقط كم تغيرت.

لكن لم تكن الغيرة هي ما جعلتها حذرة من المحامي، بل هنالك خطب بشأنه. سبحت بعض الذكريات في الجزء الخلفي من رأسها لتحفز أفكارها، لكنها لا تستطيع معرفة الأمر. بدا اسمه مألوفًا لها؛ شعرت أن الأمر يتعلق بفضيحة ما. تمنت لو كان يوجد اتصال بالإنترنت هنا؛ كانت ستستطيع البحث عنه في جوجل.

رغم ما شعرت به جوين من إطراء واضح بسبب اهتمامه، فإن رايلي قتلت حماس رومانسيتهما البسيطة عندما سألته بجفاء عن اسمه. بالحكم على الطريقة التي هدأ بها عندما اكتشف أنها صحفية، تأكدت تمامًا أنها في طريقها لاكتشاف شيء ما. لقد تخطى بعدها التحلية واستأذن قائلًا إنه سيذهب إلى المكتبة، لتظل جوين هادئة منذ أن رحل.

شعرت بالأسف لأن جوين كان عليها أن تُحبط بهذا الشكل، لكن رايلي دائمًا ما كانت تحميها منذ أن كانتا رفيقتين في السكن. من المفترض أن جوين هي من ستساعد رايلي في هذه العطلة الأسبوعية، لكن رايلي تسللت إلى دورها القديم مرة أخرى. إنه لشعور جيد بخاصةٍ لفتاة تجد صعوبة في تجاوز أبسط جوانب يومها. قالت رايلي: «هل لنا أن نصعد؟ أنا متعبة للغاية».

ترددت جوين ثم قالت: «أنا لست متعبة لهذه الدرجة».

أضافت وهي تتجنب النظر إليها: «أعتقد أنني قد أمُرُّ بالمكتبة وأجلب كتابًا».

انزعجت رايلي وقالت ببرود: «اعتقدت أنك أحضرت معك كتابًا، أليس كذلك؟».

كلتاهما علمت أن هذا صحيح، وكلتاهما علمت أيضًا أن هذا يتعلق باختيار جوين للصعود مع رايلي أو قضاء المزيد من الوقت مع المحامي الجذاب. أرادت رايلي أن تختارها جوين، وتساءلت أي نوع من الصديقات هي، صديقة تحمي صديقتها أم صديقة تحتاج صديقتها؟

سألتها جوين: «هل يزعجكِ أن تصعدي أنتِ بمفردك؟ أنا لن أتأخر هناك».

أجابت رايلي باقتضاب: «أوه، لا تقلقي بشأني، سأكون على ما يرام».

الجمعة، الساعة الثامنة وخمس وعشرون دقيقة مساءً

وجد ديفيد نفسه بمفرده في المكتبة، وهي غرفة كبيرة في ركن خلفي من الفندق على يسار الدرج الكبير بعد غرفة المعيشة. بدت الغرفة وكأنها خرجت من إحدى روايات العصر الفيكتوري، مزيجًا بين مكتبة وغرفة تدخين رجالية مثل البار الذي عند بداية الفندق، فهو مكان أنيق نوعًا ما. كانت هناك مدفأة كبيرة أمام الجدار الغربي وعُلقت فوقها بندقية صيد أثرية، يعلوها رأس أيل به قرون تفرعت بشكل باهر، ونظر الأيل إليه في الأسفل بعينين لامعتين. وُضعت سجادة فارسية بالية على الأرض الخشبية الصلبة وأريكة في الزاوية اليمنى من المدفأة وزوجان من المقاعد أمامها. بدا أن الأبواب الفرنسية تطل على شرفة، ولكن من الصعب الجزم إذ كان الظلام حالكًا بالخارج. وجد في أقرب زاوية من الباب طاولة كتابة كبيرة ونالت إعجابه قليلًا، لكن ما أعجبه أكثر من أي شيء آخر كانت أرفف الكتب المصنوعة بطريقة جميلة. لمسها ديفيد وأعجب بالبراعة التي صُنِعَتْ بها. تكدست الأرفف بكتب من كل نوع – من الكتب القديمة والمجموعات المجلدة إلى الكتب ذات أغلفة الورق المقوى وكتب الجيب البالية. كانت كلها في غاية التنظيم مع أطباق نحاسية صغيرة مكتوب عليها: «خيال»، «غموض»، «قصص واقعية»، «تاريخ»، «سيرة ذاتية». فكر في برادلي وشكَّ أن هذا مِن صُنع يديه. سحب كتابًا يبدو أنه مثير للاهتمام من أحد الأرفف السفلية –ووجده واحدًا من كتب طاولة القهوة[1] حقًّا- كان مملوءًا بصور عن بعثة شاكلتون[2] الفاشلة. بدا الكتاب مناسبًا على نحو غريب مع هذه الغرفة. كان هناك ضوء خافت فوقه، لكن ديفيد أضاء وقتها أحد المصابيح الموجودة على طاولة جانبية وجلس في مقعد عميق

---

(1) كتاب أدبي له قيمة كبيرة، ولكنه سهل القراءة والفهم.

(2) السير هنري أرنست شاكلتون هو مستكشف بريطاني قاد ثلاث بعثات بريطانية إلى القطب الجنوبي.

من الجلد بذراعين. ما الذي قد يكون ألطف من الجلوس بجانب النار في هذه الغرفة الجميلة والقراءة عن صراعات طاقم سفينة إنديورانس المشؤوم في القطب الجنوبي؟ لكن النار لم تكن مشتعلة بعدُ وكانت الغرفة باردة قليلًا.

فكر بندم في جوين. يا له من أمر مؤسف أن تكون صديقتها صحفية لعينة تعمل لصالح «نيويورك تايمز». سيظل بعيدًا عنهما لبقية العطلة فهو ليس بحاجة إلى أي أحد ينبش في ماضيه.

صار مستغرقًا في قراءة كتابه حتى قاطعه صوت امرأة يتساءل: «هل هذا أنت يا ديفيد؟».

كانت جوين، ورغم قراره السابق فإن قلبه نَبَضَ بسرعة وقال: «أجل». نظر إليها وهي واقفة عند الباب ورأى أنها بمفردها وهي تقول: «تذكرت قولك إنك ستذهب إلى المكتبة».

تبادر إلى ذهنه كم هي جميلة وهو ينهض عن مقعده. قالت وهي تنظر في أرجاء الغرفة: «إنها مثالية».

وافقها بقوله: «أجل، أليس كذلك؟».

علم بطريقة ما أنها ستقدِّر المكان أيضًا. قال وهو يفكر: «أتساءل أين بقية النزلاء».

شعر كأنه مراهقٌ محرجٌ في حين علقت جوين بخجل: «شعرت رايلي بالتعب وصعدت لتنام، أعتقد أن بعض النزلاء الآخرين قد يكونون في غرفة الطعام الآن يحتسون كأسًا من الشراب قبل النوم».

- يمكن أن أطلب من برادلي إشعال النار هنا.

أومأت له، لكنه لم يستطع الابتعاد عنها ليجد برادلي الآن. أخذا يطلعان معًا على الأرفف. استمتع بالوقوف إلى جانبها بينما احتدمت العاصفة في الخارج. نظر كلاهما إلى الأبواب الفرنسية بعدما هبت الرياح بصوت عالٍ في إحدى المرات على وجه الخصوص ثم سألته: «هل تعتقد أن الطقس سيسوء؟».

قال لنفسه (أنا لا أهتم إن ساء الطقس)، لكنه لم يقل هذا بصوت عالٍ. لن يرغب في شيء أفضل من أن يصير عالقًا هنا معها، لكنه قال:

- لا أعلم.

تساءلت بصوت عالٍ وهو يقف إلى جوارها: «ماذا عليَّ أن أختار؟».

أشار إلى الكتاب الكبير الذي اختاره سابقًا وظل مفتوحًا على طاولة القهوة حيث تركه، ثم قال: «أنا أقرأ عن بعثة مأسوية إلى القطب الجنوبي».

- يتناسب مع الليلة تمامًا!

تجولت بجانب الأرفف وهي تشير بسبابتها بطول الرف. يبدو أن هناك ما لفت نظرها فسحبت مجلدًا من مكانه وأردفت: «أوه، لقد سمعت عن هذا المجلد، كنت أنوي قراءته».

قرأ ديفيد عنوان الكتب «شكوك السيد ويتشر أو جريمة قتل في رود هيل هاوس» (Mr. Witcher's suspicions or murder at Road Hill House) لتقول بعدها: «أنا أحب ألغاز جرائم القتل الجيدة، ألا تحبها أيضًا؟».

الفصل السابع

الجمعة، الساعة الثامنة وخمسون دقيقة مساءً

رافق إيان لورين بعد العشاء –وهما مخموران قليلًا- ليصعدا الدرج معًا. لم يطِق الانتظار حتى يصبحا بمفردهما. كانت غرفتهما في الطابق الثالث بنهاية الممر. أمسكت لورين المفتاح بصعوبة عندما وصلا إلى هناك، بينما لاحظ إيان بتكاسل بابًا آخر قريبًا من بابهما. شك أنه قد يؤدي إلى درج آخر يؤدي بدوره إلى مكان خلف المبنى وافترض أنه ينتهي عند مكان قريب من المطبخ. قد يكون درج الخدم فهم لا يستخدمون الدرج الرئيسي أبدًا مما يجعل الردهة تبدو بهذا المظهر الباهر.

وضع يده على الباب ودفعه ليفتحه. حدَّق أسفل الدرج الخشبي الضيق نوعًا ما الذي يلتف ليؤدي إلى أسفل في مكان مغبر وإضاءته خافتة. سألته لورين: «ما الذي تفعله؟».

- أنا أنظر فقط.

- ما الذي تفكر فيه بعقلك القذر يا إيان؟

كانت هي ما يفكر فيه بعقله القذر. أمسَك يدها وسحبها نحوه وقال وهو يتودد إليها: «تعالي معي يا حبيبتي».

بدأ يقترب ببطء وأردف: «هيا، لن يرانا أحد».

ثم قاومته بهدوء وهو يسحبها أسفل الدرج.

***

عاد هنري وبيفرلي إلى غرفتهما في الطابق الثاني بعد العشاء ثم قال هنري: «أعتقد أنني سأقرأ قليلًا قبل النوم».

- وأنا سآخذ حمامًا.

تسللت إلى الحمام الرخامي وأخذت معها ملابس النوم الجديدة المثيرة باهظة الثمن التي جلبتها معها استعدادًا لهذه العطلة. لم يلاحظ هنري ما كانت تخطط له فقد كان ينظر إلى الكتاب بالفعل.

لقد مر وقت طويل على آخر مرة قضيا فيها وقتًا خاصًا كزوجين. لقد عانى هذا الجانب من زواجهما لوجود مراهقين في غرفتي النوم المجاورتين ولأنهما يُصبحان متعبين وسريعي الغضب للغاية بنهاية اليوم. تجد الوقت يمضي بسرعة فقط من أمامك، لكنها ستبذل جهدًا. علَّقت خلف الباب قميص النوم الحريري الجديد الذي كان بلون الشمبانيا ومُزينًا بدانتيل عاجي اللون. أُعجبت به للحظة في أثناء امتلاء حوض الاستحمام بالماء. لم يره هنري بعد، ستكون مفاجأة له. مضى الكثير من الوقت منذ آخر مرة ارتدت فيها قميص نوم مناسبًا. أحرجت عندما فكرت في المنامات البالية التي ترتديها عادة يومًا بعد يوم. سيجعلها قميص النوم الحريري تشعر بالجاذبية مرة أخرى. أضافت الفقاعات إلى الماء وهي تدخل إلى حوض الاستحمام وغرقت أسفل الفقاعات وهي عازمة على أن تكون هذه العطلة أول شيء في بداية جديدة بينها وبين هنري. ربما سيخلدان إلى النوم في وقت متأخر ويتناولان الإفطار في الفراش مثلما اعتادا منذ وقت طويل.

خرجت من حوض الاستحمام بعدها بوقت قصير وهي تشعر بالتألق في القميص الحريري ولون الشمبانيا ورائحة الورد، كما كانت بشرتها ناعمة وهي تقترب من الفراش. نظرت إلى هنري الجالس على الفراش مع كتابه، وعندما رفع رأسه عن الصفحة ابتسمت له بدلال، رغم أنها شعرت بالخجل فجأة. كم هذا سخيف. لكنه لم يستجِب بالطريقة التي توقعتها. بدا كأنه

يشعر بالجزع أكثر من أي شيء آخر. لم ينظر إليها بالتأكيد كأنه سعيد، أو كأنه يراها جذابة.

كانت صدمة لها.

استعاد تركيزه بسرعة وقال: «أنا آسف يا عزيزتي. أنا فقط... متعب للغاية».

شعرت كأنها تلقت صفعة، حتى لو كانت تسمع نفس الكلمات التي قالتها له يومًا. شعرت بوجهها يسخن وبدأت الدموع تحرق عينيها. تألمت لدرجة أنها لم تستطع التفكير في أي شيء لتقوله، ربما أساءت تقدير الأمور للغاية. قالت وهي تقاوم الدموع: «اعتقدتُ أننا جئنا هنا لنكون معًا، أنت لا تبدو مهتمًا».

أخرج زفيرًا عميقًا وترك كتابه ثم قال بهدوء: «ربما فات الأوان».

فات الأوان؟ لا يمكن أنه يعني ذلك. لا يمكنه. بدأت تبكي الآن من دون أن تكترث لشيء. شعرت بالألم والخوف والإحراج وهي تقف هناك في قميصها الشفاف الذي لا يخفي شيئًا وهذا كان الهدف، ولكنها تتمنى الآن لو أنها لم تشترِ هذا الشيء اللعين، ولم تدلف إلى متجر ملابس النوم الفاخر هذا قبل عدة أسابيع وهي تحمر خجلًا وتشعر بالأمل. تمنت فجأة لو أنهما لم يأتيا إلى هذا المكان اللعين، وأن هذه الفكرة لم تخطر على بالها قط. لم ترد أن ترى زواجها ينهار بالكامل. كان ينبغي لها أن تترك الأمور على حالها، ربما كان بإمكانهما الاستمرار في تجاهل بعضهما بعضًا بطريقة ودية، والاستمرار في انشغالهما الكبير لدرجة تمنعهما من تفقد حياتهما وعلاقتهما، ليركزا على الطفلين اللذين لا يزالان بحاجة ماسة إليهما. لم تكن متأكدة من رغبتها حقًا في وضع كل منهما -وعلاقتهما- تحت المجهر. هل تريد حقًا أن تثير كل تلك المشكلات؟ أصبحت خائفة فجأة مما قد يقوله بعدها. خائفة من أن تصبح بمفردها، ومن أن يهجرها. كانت لديها وظيفة، ولكنها لا تشعر بالاستقلال المادي إلى هذا الحد. سيدمر الطلاق كُلًّا منهما من الناحية المادية وهما يعلمان ذلك. فكرت في خوف أنه إن كان يريد الرحيل فلا بد أنه تعيس للغاية.

ربما فات الأوان. شعرت أنها حمقاء لأنها لم تتوقع حدوث هذا، لأنها لم تعلم ما الذي كان يفكر فيه. وقفت هناك وكل تلك الأفكار تدور في

عقلها بسرعة كلمح البصر، وهي مرتدية قميصها الغالي المكشوف لتظهر القشعريرة على جسدها. صارت تشعر بالإحراج أمام زوجها، طوت ذراعيها أمام جسدها الذي كان واضحًا من وراء قميص النوم على نحو لم يبدُ ملائمًا الآن. ربما قد طوى صفحتها في حياته. انطلقت بها أفكارها مثل قطار سريع يتجه إلى الهاوية. رغبت بشدة في أخذ رداء الحمام السميك الوبري لتغطي نفسها، لكنها كانت مصدومة لدرجة تمنعها من الحركة. غرقت في الفراش وأخذت نفسًا عميقًا متحشرجًا ثم قالت: «ما الذي تعنيه؟».

تنهد وقال بنبرة تبدو نادمة: «لم نكن سعداء لفترة طويلة يا بيفرلي».

لم تعرف كيف ترد على هذا، بالطبع لم يكونا سعيدين. أصدقاؤها – وما لديهم من رهونات عقارية ضخمة، ووظائف مرهقة، ومشكلات أبنائهم المرهقين، وآبائهم المسنين- ليسوا سعداء أيضًا. هذا مستحيل في تلك المرحلة من حياتهم ومع كل تلك المتطلبات والضغوطات التي يواجهونها. اعتقدت ببساطة أنه يتصرف بصبيانية ونظرت إليه في دهشة. ربما يعاني شيئًا كأزمة منتصف العمر مثل طفل مدلل يريد أن يكون سعيدًا طوال الوقت ولا يفهم أنه لا يمكنك أن تظل سعيدًا دائمًا، لأن الحياة لا تسير بهذه الطريقة. لا يمكن أن يكون هنري أحد أولئك الرجال الذين يدركون يومًا ما أنهم تعساء ويقررون الإلقاء بكل شيء خلف ظهورهم وفعل ما يرغبون به. بالطبع لا، **هي** لا يمكنها أن تتخلى عن كل شيء وتفعل ما تريده لكي تصبح سعيدة فالنساء لا يجعلن أنفسهن حمقاوات بهذه الطريقة. المجتمع لن يسمح لهن بهذا، لكن الرجال يفعلون ذلك طوال الوقت. شعرت بالمرارة تزداد في قلبها، ليس تجاهه فقط، بل تجاه العالم. شعرت أنها عاجزة للغاية، أكثر عجزًا من زوجها. لم تكن لديها الأنانية، أو حتى الوقت، لتسأل نفسها ما الذي سيجعلها سعيدة.

جلست تنظر إليه وتفكر في مدى اقترابها من فقدان كل شيء. لكن ربما الأوان لم يفت. إن قال فقط إنه تحدث بتسرع شديد، وإنه بالطبع يحبها ويريد إنجاح الأمور، وإن العقبات تجمَّعت أمامهما، وهو يعلم أن الأمور كانت صعبة على كليهما، وإن عليهما مساعدة بعضهما بطريقة ما، ويحاولان جاهدين ليصبحا سعيدين معًا. كانت متأكدة أنهما وقتها سيتمكنان من حب بعضهما

مرة ثانية. لم تكن مستعدة للاستسلام، ليس بعد. انتظرت... لكنه لم يقل هذا لتقول هي في النهاية: «ما الذي تعنيه بأنك لم تكن سعيدًا؟».

بدت محافظة للغاية على رباطة جأشها، لكنها أرادت أن تضربه كما لو كان طفلًا عبوسًا فهكذا كانت تراه الآن، تراه طفلًا أنانيًّا. تمنت لو كان يمكنها أن تقوِّمه بالطريقة التي اعتادت أن تقوِّم طفليها بها قبل أن يصبحا مراهقين عنيدين لا يمكن السيطرة عليهما. ظل صامتًا فأضافت: «وما الذي يجعلك تعتقد أنك أحق بالسعادة من أي شخص آخر... مني، على سبيل المثال، أو من تيدي أو كيت؟».

***

نظر هنري إلى زوجته بِكُرهٍ خفي. كَرِهها عندما تصبح هكذا متكبرة ومغرورة. يا لها من ضحية، ليس لديها أي فكرة كم كان من الصعب العيش معها. ما مدى التعاسة التي يجب أن تكون عليها الحياة؟ إنها امرأة بائسة دائمة الشكوى. هكذا بدت له على الأقل. أعتقد الآن، بندم نوعًا ما، أنه ربما ليس منصفًا. كان جسدها مكشوفًا للغاية في قميص النوم القصير الجديد هذا لدرجة أنه شعر بشفقة مفاجئة تجاهها، ولكنه ما زال عاجزًا عن مد يد العون لمواساتها.

تساءل كيف يرى الآخرون زوجته. ما رأي تيدي وكيت في والدتهما؟ لم يعلم حقًّا، فهما يشتكيان من إزعاجها لهما كثيرًا، ولكن من الواضح أنها تحبهما. إنها أم جيدة وهو يعلم ذلك. لا يعرف ما الذي يشعر به ابنه وابنته تجاه أي منهما ولا يعلم ما الذي يشعر به المراهقون على الإطلاق. إنه يحب طفليه، لكنه لم يعد يحب والدتهما وهو ما جعل الأمر صعبًا للغاية. لا يريد أن يؤذيهما أو يضرهما بأي شكل من الأشكال. كان عالقًا بين شقي الرحى ووجد نفسه الآن هنا محاصرًا معها بين الثلوج في هذه العطلة الأسبوعية. ما الذي سيفعلانه بكل هذا الوقت الذي سيقضيانه معًا؟ أجابها بتصنع: «لا أعتقد أنني أحق بالسعادة منك أو من الأطفال».

الأمر لم يكن هكذا بالتأكيد. كم كان من المعتاد منها أن تسمع عبارة **لم نكن سعداء** على أنها **لم أكن سعيدًا**. لا يعتقد أنه أهم من الأطفال، أو منها.

لا يعتقد أنها سعيدة أيضًا، لكن الفرق بينهما هو أنه يستطيع رؤية هذا، بينما هي لا، أو ربما يمكنه الاعتراف بذلك فقط أو أنه قد يكون مستعدًّا لفعل شيء حيال ذلك.

قد تتضح الأمور نوعًا ما بنهاية العطلة الأسبوعية.

الجمعة، الساعة الحادية عشرة والنصف مساءً

علمت جوين أنها تتصرف بتهور، ولكنها لم تهتم. هناك ما أصابها وهي تدع نفسها لتستجيب له. ربما عبثت شمبانيا الفيوف كليكوت بعقلها، أو ربما هذا بسبب رائحته –التي مثل الصابون الغالي والبدلات المستوردة- رغم أنه لم يقترب منها حتى إلى الآن. طلب ديفيد من برادلي أن يجلب لهما المزيد من الشمبانيا. أشعل برادلي النار ثم أغلق باب المكتبة خلفه بحذر. قال ديفيد: «أنا أحب هذا الفتى».

فضحكت وهو يعيد ملء كأسيهما.

أخذا يتحدثان في المكتبة. أحبت نبرة صوته، بخاصة الآن، وهو يتحدث إليها هي فقط. كان صوته أهدأ، وأكثر حميمية، لكنه كان أجشَّ أكثر بطريقة ما وجعلها تشعر أنها مرغوبة. عندما تحدَّث بصوت منخفض واقترب منها لتسمعه، اقتربت منه أكثر أيضًا. علم كل منهما ما الذي سيحدث.

عرض عليها أن يسير معها إلى غرفتها عندما وصلا إلى غرفته، لكنها هزت رأسها بالنفي. أغلق الباب خلفهما بنقرة ضعيفة. ارتجفت ولم تتحرك من مكانها، بل انتظرت في الظلام.

مد يده خلف عنقها وفك قلادتها ونزعها. شعرت بمشاعرها تفيض فتنفست بشهقة صغيرة ثم انتظرت.

ترك القلادة –التي كانت قطعة حلي تقليدية لكن جميلة- على طاولة الكتابة التي بجانب الباب تمامًا ثم اقترب منها.

حررت مشاعرها شيئًا ظل مكبوتًا داخلها لفترة طويلة للغاية فاقتربت منه أكثر، لكن ليس على عجالة، بل ببطء، كأنها ليست متأكدة بعد، ويبدو أنه فهم ذلك، كأنه ليس متأكدًا تمامًا أيضًا.

***

واجهت بيفرلي صعوبة في النوم، دائمًا ما يحدث هذا عندما تبتعد عن طفليها والآن عالمها ينهار. لم يساعدها أنها سمعت شجارًا خافتًا من الغرفة المجاورة، غرفة دانا وماثيو. هل ما من أحد سعيد؟ انزعجت لأن هنري غَطَّ في النوم بسرعة كبيرة، كأنه ليس لديه ما يهمه في العالم، والآن يشخر بقوة. لا تعلم ما الذي سيحدث لهما. كرهت أنها انبغى لها القلق بشأن كل منهما. دائمًا ما يقع عليها كل المجهود العاطفي. وافقا على التوقف عن الحديث عن زواجهما قبل أن يقول أي منهما شيئًا قد يندم عليه. اتفقا أيضًا على أن يتمهلا ويريا كيف سيشعران في الصباح. كانت قد بدأت تشعر بالنعاس أخيرًا في ساعة متأخرة من الليل عندما سمعت صرخة مكتومة، لكن النوم سيطر عليها الآن وأصبحت الصرخة جزءًا من حلم... أو من كابوس. كان هناك من يحاول خنقها وأخذت تصرخ بصوت عالٍ في هذا الحلم الغريب حتى عندما ضغط هذا الشخص بالوسادة على وجهها بقوة.

السبت، الساعة الواحدة وخمسة وثلاثون دقيقة صباحًا

استلقت رايلي في فراشها تحدِّق إلى السقف. تساءلت متى ستأتي جوين لتنام. رأت في ساعتها أنها تجاوزت الواحدة والنصف صباحًا. لم تفكر ولو للحظة أن جوين وديفيد كانا في المكتبة كل هذا الوقت. لقد ذهبت إلى غرفته، ربما ستقضي الليلة كلها معه، ولن تأتي إلى غرفتهما مطلقًا إلا في الصباح.

جعلها هذا الأمر تشعر بانزعاج شديد، وارتفع الذعر داخلها مثل الأمواج العاتية. ليس لأنها متزمتة فهي أبعد ما يكون عن ذلك. لقد حظيت بالكثير من المحبين. وليس لأنها تغار منها أيضًا، لكن لأنها متأكدة أن هناك دائرة

من الشبهات حول ديفيد بايلي إلا أنها لا تتذكر الأمر فقط. لعنت عدم وجود اتصال بالإنترنت مرة أخرى.

قاومت رغبتها غير المنطقية في النهوض وطرق باب ديفيد بايلي، لكنها لم تعلم حتى في أي غرفة كان. كرهت هذا القلق العام المستمر الذي أصبحت تشعر به طوال الوقت الآن. أخبرت نفسها أنه ما من شيء قد يحدث لجوين هنا بين كل هؤلاء الناس. علمت رايلي أن جوين معه.

خلدت في النهاية إلى النوم وهي تشعر بالضيق. اعتقدت أنها سمعت صرخة آتية من مكان بعيد وهي تغفو. أقنعت نفسها أنها ليست صرخة، بل ذكرى، فهي عادة ما تسمع صرخات وهي تغفو، وصارت معتادة على ذلك فهذه الصرخات تسبق الكوابيس.

الفصل الثامن

السبت، الساعة الخامسة إلا الربع صباحًا

حلَّ الصباح ببطء وتحوَّل الثلج الذي سقط طوال الليل بهدوء شديد إلى طبقة غطت كل شيء بالجليد الهش، لتجعل التنقل في المكان أكثر خطورة. بدا كأن كل شيء على وشك الانهيار بالخارج، أمَّا داخل الفندق فظهرت برودة واضحة في الهواء.

نهضت لورين من الفراش باكرًا وهي متجمدة رغم دفء إيان بجانبها وكانت رقبتها متيبسة. نهضت من الفراش وهي ترتجف وأسرعت لترتدي ملابس ثقيلة، وهي تتساءل لماذا الطقس بارد للغاية هكذا. ارتدت بسرعة سروالًا جينز، وتي شيرت، وسترة وجوارب ثقيلة. لم يغلقا الستائر قبل أن يأويا إلى الفراش. نظرت نظرة خاطفة إلى الخارج الآن عبر النافذة الأمامية لترى المكان بالأسفل. رغم أن المكان لا يزال مظلمًا تمامًا، يمكنها أن ترى أغصان الشجرة الضخمة التي في الفناء الأمامي منحنية ومثقلة بالجليد. رأت المكان الذي كُسر منه أحد الأغصان، ظهر كسر كبير وباهت اللون حيث انفصل الغصن عن جذع الشجرة التي استلقى أسفلها على الأرض بعدما كُسر وانقسم إلى ثلاثة أجزاء متفرقة.

سارت بهدوء إلى الحمام وتركت الباب مفتوحًا. لم ترغب في إشعال الضوء لأنها لم تُرِد إيقاظ إيان. كان الطقس باردًا للغاية. مشَّطت شعرها بسرعة وعلمت من ساعتها المضيئة أن الساعة قبل السادسة بقليل. تساءلت في أي ساعة ينهض العاملون لبدء يومهم.

نظرت إلى إيان نظرة سريعة وهو يشخر في سريرهما، لم يظهر منه إلا رأسه تحت الأغطية. لن ينهض قبل فترة من الوقت، ففتحت الباب بهدوء. كان الممر مظلمًا إذ انطفأت الأضواء في الشمعدانات الجدارية. تسللت إلى الخارج وسارت إلى نهاية ممر الطابق الثالث نحو الدرج الرئيسي وهي ترتدي جوربيها الثقيلين. لم ترغب في إيقاظ أي أحد. اتجهت نحو الدرج إلى الردهة وهي تتساءل كم سيمر من الوقت قبل أن تتمكن من الحصول على كوب من القهوة.

السبت، السادسة وثلاث دقائق صباحًا

استيقظت رايلي فجأةً، وجلست بسرعة في فراشها بعينين مفتوحتين عن آخرهما. اعتقدت أنها سمعت صرخة عالية وحادة. تسارعت نبضات قلبها وصار يمكنها الشعور بالأدرينالين المألوف يسري عبر جسدها. نظرت بسرعة في أرجاء غرفة الفندق ذات الضوء الخافت وتذكرت أين هي. نظرت إلى الفراش المجاور لها وهي تلقي بأغطية الفراش جانبًا ليبادرها البرد فورًا. كانت جوين مستيقظة أيضًا ومنتبهة فقالت: «ما الذي يحدث؟ أعتقد أنني سمعت شيئًا».

- لا أعلم، لقد سمعته أيضًا.

ظلتا في مكانهما تمامًا للحظة وأصغتا. سمعتا صوت امرأة تصرخ.

عبرت رايلي بساقيها لطرف السرير الآخر وارتدت معطفها لتحتمي من البرد، بينما أسرعت جوين لتفعل مثلها وهي تقول: «انتظريني».

أخذت رايلي المفتاح وهما تخرجان من الباب. كان ممر الطابق الثالث مظلمًا على نحو غير متوقع. توقفتا فجأة وهما مشوشتان. تذكرت رايلي أنها بحاجة إلى التحدث إلى جوين عن الليلة الماضية، لكن الوقت الآن ليس

مناسبًا. شعرت فقط بالامتنان لأن جوين هنا معها، فهي لا تعلم ما الذي قد تفعله إن حدث أي شيء لجوين التي قالت: «لا بد أن الكهرباء مقطوعة».

توجهت رايلي وجوين إلى الدرج الرئيسي بأقدام عارية. أمسكتا بالسياج اللامع وهما تهبطان بسرعة على الدرج بينما يمكنهما سماع خطوات أقدام أخرى تجري في الفندق المظلم.

توقفت رايلي فجأة. أنار الضوء الخافت القادم من النوافذ الأمامية مشهدًا مروعًا تحت قدميها. تمددت دانا عند نهاية الدرج دون حراك وأطرافها في وضع غير طبيعي تحت ثوبها الحريري ذي اللون الأزرق الداكن. انسدل شعرها الطويل الجميل في كل مكان حولها، ولكن وجهها بدا شاحبًا بشكل واضح. علمت على الفور أن دانا ميتة.

كانت لورين راكعة على الأرض بجانبها ومنحنية فوقها وهي تضغط بيدها على رقبة دانا لتشعر بنبضها. رفعت نظرها إليهما في صدمة وقالت بصوت متوتر: «لقد وجدتها للتو».

واصلت رايلي هبوط الدرج ببطء حتى أصبحت تقف على الدرجة الأخيرة فوق الجثة مباشرة. يمكنها أن تشعر بوجود جوين خلفها وسمعت بكاءها المتقطع. سألت رايلي لورين: «هل أنتِ من صرختِ؟».

أومأت لها لورين بعينين دامعتين. لاحظت رايلي برادلي ووالده جيمس يقفان على مقربة. حدَّق جيمس إلى جثة السيدة عند نهاية الدرج بوجه متصلب من الصدمة. بدا برادلي عاجزًا عن النظر إلى دانا وحدَّق إلى لورين بدلًا منها وهي تحوم فوق الجثة. تقدم جيمس بعدها ومد يده نحوها بالأسفل في تردد فقالت له لورين: «إنها ميتة».

ليسحب يده ثانية بامتنان تقريبًا.

***

سمع ديفيد الصرخة وقفز من الفراش. ارتدى ثوب الاستحمام وأخذ مفتاحه ثم غادر غرفته. توقف أعلى الدرج ونظر إلى التجمع الصغير العشوائي الذي بالأسفل. رأى دانا –الميتة بوضوح– مستلقية عند نهاية الدرج في ثوب الحمام الخاص بها وبجانبها لورين. أدارت رايلي وجوين

ظهريهما له بينما كان جيمس شاحبًا، وبدا برادلي فجأةً أصغر بكثير مما كان عليه الليلة الماضية. سمع ديفيد ضوضاء فوقه فرفع نظره بسرعة ليرى هنري وبيفرلي آتيَيْن خلفه وهما لا يزالان يرتديان منامتيْهما أيضًا، وكل منهما يسحب عليه ثوب الاستحمام ليربطه ويغلقه. قال ديفيد وهو يهبط الدرج بسرعة: «ما الذي حدث؟».

أجاب جيمس بصوت مرتجف: «لا نعلم، يبدو أنها سقطت من أعلى الدرج».

اقترب ديفيد أكثر في حين قالت لورين: «لم أستطع الشعور بنبضها».

جلس ديفيد في وضع قرفصاء ودرس الجثة من دون أن يلمسها. استحوذت عليه الكآبة وقال في النهاية: «لقد كانت ميتة لفترة من الوقت، لا بد أنها سقطت في منتصف الليل».

ثم تساءل بصوت عالٍ: «لماذا خرجت من غرفتها؟».

لاحظ الجرح العميق الذي في جانب رأسها، والدماء التي على حافة الدرجة الأخيرة. استوعب كل شيء بعين خبيرة وشعر بضجر غير مبرر.

همست بيفرلي: «يا إلهي، يا لها من فتاة مسكينة».

رفع ديفيد بصره لبقيتهم. أشاحت بيفرلي بوجهها بعيدًا عنها، في حين حدَّق هنري بجدية إلى الجثة. نظر ديفيد إلى جوين، كان وجهها مبللًا بالدموع وشفتها السفلى ترتجف. أراد بشدة أن يهدئها لكنه لم يفعل. حدَّقت رايلي إلى السيدة المتوفاة كأنها لا تستطيع أن تبعد عينيها عنها. لاحظ ديفيد بعدها أن ماثيو كان مفقودًا فقال: «لا بد أن يخبر أحدنا ماثيو».

وجل قلبه وهو يعلم أنه هو من سيخبره على الأرجح. نظر مرة أخرى إلى جيمس ثم نظر إلى جميع الوجوه المنكوبة التي صارت تحدق إليه الآن بعدما تذكروا ماثيو. قال وهو ينهض واقفًا: «أنا سأخبره».

ثم أضاف: «من الأفضل أن نتصل بالشرطة».

قال له جيمس بصوت أجش: «لا يمكننا ذلك، فالكهرباء مقطوعة والهاتف لا يعمل. لا يمكننا الاتصال بالشرطة».

- إذن يجب على أحدنا أن يخرج ويحضرهم.

سأل برادلي: «كيف؟ انظروا إلى الخارج، كل شيء مغطى بطبقة من الجليد».

هز جيمس رأسه ببطء وقال: «لا بد أن خطوط الكهرباء مقطوعة بسبب العاصفة الجليدية. الوضع خطير بالخارج، لن يذهب أي أحد إلى أي مكان».

ثم أضاف بصوت يحمل نبرة حيرة: «قد يستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن تتمكن الشرطة من الوصول إلى هنا».

***

ضبطت كانديس المنبه على هاتفها الخلوي ليرن كل صباح في تمام السادسة والنصف دون تأخير، فهي منضبطة للغاية. كان نومها خفيفًا، ورغم ذلك هناك ما أيقظها هذا الصباح قبل صوت المنبه. لم تكن متأكدة، سمعت صوت وقع أقدام تجري عبر الممر الذي أسفلها، وسمعت أصواتًا عالية.

قررت أنه من الأفضل أن تنهض، وعلاوة على ذلك كان الطقس شديد البرودة. ضغطت مفتاح النور في المصباح الذي على الطاولة المجاورة للفراش، ولكنه لم يعمل. كانت الغرفة مظلمة للغاية، سارت على الأرض بجسد مرتجف وقدمين حافيتين لتفتح الستائر. فوجئت بما رأت، لم ترَ أرض العجائب ذات الشتاء الرقيق التي رأتها الليلة الماضية، بل هجومًا غاضبًا من إحدى العواصف الثلجية. من الواضح أن الكهرباء قد انقطعت. تبًا، تبًّا، تبًا، تبًّا. تساءلت كم تبقى لها من بطارية حاسوبها المحمول. ربما خمس ساعات كحد أقصى، هذه كارثة! إنها بحاجة إلى معرفة متى ستعود الكهرباء. ارتدت بعض الملابس الثقيلة بسرعة واتجهت بحذر إلى الدرج في الظلام.

توقفت فجأة وهي تدور على البسطة وتنظر عند نهاية الدرج في الردهة. كانت هناك مجموعة من الناس عند نهاية الدرج ورفعوا جميعًا نظرهم نحوها بسرعة. ظهر الضيق والقلق على وجه كل واحد منهم ثم رأت السبب. استلقت سيدة بجانب نهاية الدرج في هدوء شديد، لدرجة أنها تبدو ميتة بوضوح. إنها دانا هارت. وقف بجانبها المحامي بوجه جاد ولا يوجد أثر لماثيو.

***

تطوَّعَ ديفيد بنقل الأخبار المروعة لماثيو الذي كان ما يزال في غرفته بالأعلى حسب علمهم. لمراعاة الدقة، افترض أن إخبار ماثيو كان واجبًا على مالك الفندق، ولكن جيمس لم يبدُ مستعدًّا لهذه المهمة. هذا ما قاله ديفيد لنفسه وهو يصعد الدرج مرة أخرى. رافقه جيمس الذي كان ممتنًّا بوضوح لأن المحامي عرض أن يخبر ماثيو، بينما ظل بقية النزلاء واقفين في مكانهم يشاهدون في صمت تقدمهما البطيء على الدرج.

سأل ديفيد جيمس: «بأي غرفة هو؟».

أجابه جيمس بصوت مضطرب: «غرفة رقم 201».

وقفا أمام الباب واستعد ديفيد. أصغى لأي صوت بالداخل، لكنه لم يسمع شيئًا. رفع يده وطرق الباب بقوة ولم يجد ردًّا. نظر ديفيد نظرة خاطفة إلى جيمس الذي بدا أكثر قلقًا. طرق ديفيد الباب ثانيةً بقوة أكبر هذه المرة. كان قد بدأ يفكر في جعل جيمس يذهب لإحضار المفتاح قبل أن يسمع حركة في الداخل. فُتح الباب أخيرًا وصار ديفيد يقف وجهًا لوجه مع الرجل الذي التقى به ساعة احتساء الكوكتيل الليلة الماضية. شعر ديفيد فجأة بشفقة بالغة تجاهه. بدا أنه لا يزال شبه نائم، وارتدى ثوب الحمام بشكل أخرق، وتساءل: «ماذا؟».

كان واضحًا أنه اندهش من رؤيتهما أمام بابه، ثم نظر سريعًا خلفه إلى الفراش الذي نهض منه للتو كأنه غفل عن شيء ما. التفت إليهما ثم نظر إلى ديفيد في عينيه واستوعب كل شيء فجأة. أصبحت عينا ماثيو حادتين وسأله: «ما الأمر؟».

انتقل بنظره من ديفيد إلى جيمس الذي بدا عليه الاستياء بشكل ملحوظ، ثم عاد لينظر إلى المحامي مرة أخرى وسأله: «ماذا حدث؟ أين دانا؟».

أجابه ديفيد بصوته المهني: «أخشى أن هناك حادثة قد وقعت».

أصبح ماثيو يقظًا بوضوح الآن وقال: «ماذا؟».

فقال ديفيد بهدوء: «أنا آسف للغاية».

سأله ماثيو بصوت مملوء بالذعر: «هل حدث شيء لدانا؟».

- لقد وقعت من أعلى الدرج.

صار وجه ماثيو شاحبًا وسأله: «هل هي بخير؟».

هَزَّ ديفيد رأسه بحزن وقال كلماته المخيفة مرة أخرى: «أنا آسف للغاية».

قال ماثيو لاهثًا: «لا أصدق!».

بدا في حالة مريعة وهو يقول: «أريد أن أراها!».

لم يكن ثمة مفر، لا بد أن يراها. قاده ديفيد ليهبطوا الدرج حيث وقف باحترام. استلقت دانا أسفلهم مثل دمية محطمة ألقى بها طفل مشاكس عبر إحدى الغرف. رآها ماثيو وصرخ، ثم تعثر أمامه وهو يسرع للوصول إلى حبيبته. نصحه ديفيد قائلًا: «لا تلمسها».

انهار ماثيو بجانبها وأجهش بالبكاء، بينما تراجع الجميع إلى الخلف. تجاهل تحذير ديفيد ولمس وجهها الشاحب للغاية ومرر إبهامه على شفتيها البيضاوين وهو لا يصدق، ثم دفن وجهه برقبتها واهتزت كتفاه بشدة. أشاح الجميع ببصرهم بعيدًا عنه؛ لقد كان الأمر لا يُحتمل.

رفع ماثيو نظره أخيرًا، وصرخ بهياج شديد في ديفيد الذي نزل الدرج ووقف فوقه على الدرجة قبل الأخيرة: «كيف حدث هذا؟ لماذا أصلًا خرجت من غرفتنا؟».

- ألم تسمعها وهي تخرج؟

هز ماثيو رأسه ببطء في صدمة وبؤس، ثم قال: «لا، لقد كنت نائمًا. لم أسمع شيئًا».

غطى وجهه بكلتا يديه وأخذ ينتحب بشكل يدعو للأسى.

أحضر برادلي ملاءة بيضاء، ووقف الجميع في كآبة وهو وديفيد يضعانها برفق على جثمان دانا في وضعه الخامل.

الفصل التاسع

السبت، الساعة السادسة وثلاث وثلاثون دقيقة صباحًا

عادت جوين مع رايلي إلى غرفتهما كأنها في غيبوبة. لا يبدو أنها استوعبت الأمر على الإطلاق. لقد ماتت دانا بهذه البساطة. قد تكون سقطت من أعلى هذا الدرج وماتت بينما كانت جوين في غرفة ديفيد بالليلة الماضية. من الممكن أنها كانت مستلقية أسفل الدرج على أرض الطابق الأول بالفعل عندما غادرت هي غرفته في الطابق الثاني وصعدت الطابق الثالث لغرفتها. أدركت كم كانت الحياة عابرة وثمينة. لا تعرف أبدًا متى قد تؤخذ منك، قد يحدث الأمر فقط عندما يكون هذا آخر ما تتوقعه. اعتقدت جوين أن دانا حظيت بكل شيء لتعيش من أجله. هذا فظيع للغاية وجعلها تدرك أنه ينبغي لها أن تحاول الاستمتاع بكل لحظة وتعيش الحياة على أكمل وجه. لم تكن جيدة للغاية في هذا. اعتقدت أنه ربما حان الوقت لتحاول، ربما حان الوقت لتتخلى عن الهموم والشعور بالذنب، وتحاول أن تعيش حياتها، وربما كانت الليلة الماضية بداية جديدة لها. شعرت داخلها بدفء وسعادة متزايدة تجاه ديفيد لدرجة أنها لا يسعها أن تمنعها رغم وفاة دانا.

أرادت بشدة أن تذهب إليه الآن فقط، لكن كان هذا غير لائق بالمرة. تمكنا من تبادل نظرة دافئة، ولكن هذا ما اقتصر عليه الأمر فقط. سيحين الوقت وسيجتمعان معًا مرة أخرى.

تعلم جوين أن رايلي لن يروقَها أنها كانت مع ديفيد الليلة الماضية، لكن رايلي صديقتها وليست حارستها. يجب أن تفرح رايلي بأنها قابلت أحدًا ما؛ فدائمًا ما كانت تفرح جوين لرايلي عندما ترتبط هي بأحد، ولم تحظَ جوين عادةً بشخص مميز في حياتها. شعرت بالأسف أن هذا حدث عندما كان يُفترض لهما أن تقضيا وقتًا معًا في هذه العطلة الأسبوعية، ولكن لا بد أن تستقبل الأشياء الجيدة وقتما وأينما تجدها، فهي تحدث نادرًا بما يكفي. جعلتها حادثة دانا المروعة تدرك هذا وعلى رايلي أن تتفهم ذلك. ليس الأمر كما لو أنها خططت لحدوث الأشياء بهذه الطريقة.

وصلتا إلى غرفتهما وأغلقت رايلي الباب خلفهما. نظرت جوين إليها بحذر وانتظرتها أن تقول شيئًا وعندما لم تفعل، مدت جوين يدها لتجلب بعض الملابس من حقيبتها الليلية. تود أن تأخذ حمامًا، لكن يبدو أنها مسألة غير مطروحة للنقاش، فالمياه ستكون متجمدة. قالت رايلي في النهاية بصوت جاد وهي تمرر بلوزة من رأسها، وتقلب شعرها الطويل على كتفيها: «هناك ما أحتاج التحدث إليك بشأنه».

قالت جوين لنفسها (ها نحن أولاء) قبل أن تردف رايلي: «ذلك المحامي ديفيد بايلي».

ردت جوين بنبرة أكثر حدةً مما كانت تنوي التحدث بها: «ماذا عنه؟».

- هل قضيتِ الليلة معه؟

التفتت لرايلي وحدَّقت إليها وهي تقول: «في الواقع، أجل، لقد فعلت. لماذا تسألين، هل هذه مشكلة؟ أنا راشدة ولا أتذكر قط أنني كانت لديَّ مشكلة مع أي من علاقاتك المؤقتة».

رفعت سحاب سروالها الجينز بقوة وبغضب، ثم مدت يدها لتأخذ سترة ثقيلة وأضافت: «يعلم الله أنه كان هناك ما يكفي منها».

- لكنك لا تعلمين أي شيء عنه.

- بل أعلم، اسمه ديفيد بايلي، وهو محامي دفاع في مدينة نيويورك، ورجل لطيف للغاية.

لم تستطع منع نفسها من أن تضيف: «ونحن **جيدان** معًا».

قالت رايلي وهي تجلس على فراشها: «جوين اجلسي للحظة».

جلست جوين بتعب على الفراش أمام رايلي، وبدأت ترتدي جوارب ثقيلة. رفضت أن تنظر إليها لكيلا تظهر أنها مصغية. لم ترغب في سماعها. يجب على رايلي أن تهتم بأمورها الخاصة. كم تغيرت الأمور بسرعة في هذه العطلة، كان من المفترض أن تعتني هي برايلي، ولكن بطريقة ما رايلي تحاول أن تتولى دورها مرة أخرى كحامية لها، وجوين لا يروقُها ذلك. قالت رايلي بتوتر واضح: «هناك شيء يزعجني بشأنه، وأنا لا أعلم ما هو».

رفعت جوين بصرها إليها، وقالت وبنبرة توضِّح أنها تعني ما تقول: «أنا لا أريد أن أسمعه يا رايلي».

التزمت رايلي الصمت وانتهت من ارتداء ملابسها في هدوء.

***

عاد ديفيد إلى غرفته لفترة وجيزة ليرتدي ملابسه. تسارعت الأفكار في عقله. لقد حدث الكثير في مثل هذه الفترة القصيرة، مقابلة جوين، والآن هذه الحادثة المروعة التي قد لا تبدو كحادثة.

تعلَّم أن يصدق حدسه بعد كل تلك السنوات من العمل كمحامٍ جنائيٍّ. يعلم أيضًا أن الموت بسبب السقوط من أعلى الدرج لم يكن بهذه السهولة في الواقع، إلا في حالة كسر العنق وهو متأكد تمامًا أن عنق دانا لم يكن مكسورًا. اعتقد أن سبب الوفاة كان ضربة على الرأس، ولتموت من ضربة على الرأس خلال سقوطك من أعلى الدرج، عليك أن تسقط بطريقة معينة. عليك أن تضرب رأسك بقوة في عمود الدرج على سبيل المثال، ولكن يبدو له أن رأسها اصطدم بقوة في حافة الدرجة الأخيرة من الدرج بطريقة غريبة.

لم تبدُ كحادثة على الإطلاق، بدت جريمة قتل في نظره، وماثيو كان أوضح مشتبه به ببساطة لأنه خطيب السيدة المتوفاة. فكر ديفيد في رد فعل ماثيو،

إمَّا أنه صادق تمامًا، وإمَّا أن ماثيو ممثل بارع للغاية. معرفة ديفيد كانت أكبر من أن يقلل من شأن أي أحد. يعلم أن الناس معقدون وأن الحياة معقدة.

كانت حياته هو نفسه معقدة. لقد اعتزم أمره أن يظل بعيدًا عن جوين بمجرد أن علم أن صديقتها صحفية في صحيفة «نيويورك تايمز» لأنه لم يكن بحاجة إلى المتاعب. لكن بعدها عندما جاءت وراءه إلى المكتبة، وكان أسعد مساء يقضيه منذ سنوات - بدا الأمر طبيعيًّا وصحيحًا للغاية. عندما صعدت الدرج معه وفتح الباب ثم أغلقه خلفهما، أصبح الأمر لا مناص منه. لقد حدث الأمر بطريقة ما، وشعر أنه يعود للحياة بعد سنوات من الوحدة. أحس بطريقة ما أنها شعرت الشعور نفسه.

لقد كان وحيدًا للغاية منذ وفاة زوجته.

السبت، الساعة السادسة وخمس وخمسون دقيقة

تبعت بيفرلي زوجها إلى الدرج. ارتديا بعض الملابس الثقيلة بسرعة واتجها إلى غرفة الطعام. تسارع قلبها بسرعة خطوات قدميها على الدرج. شعرت أنهما نجَوَا تقريبًا رغم ما شعرت به من شفقة بالغة تجاه السيدة المتوفاة. همَّشت هذه الأزمة مشكلاتهما الخاصة كأنهما سُحبا من فوق الهاوية التي واجهاها الليلة الماضية. من الفظيع أن تفكر بهذه الطريقة، لكنها تمنت أن يمنعهما هذا من التركيز على زواجهما في ضوء النهار البارد الفارغ. لم ترغب في التطرق إلى الأمر الآن بعد أن عرفت مدى خطورة موقفها.

عندما يعودان إلى المنزل بعد ذلك تاركين خلفهما كل هذه المشكلات والدراما، سوف يتسللان إلى عادات حياتهما القديمة ويتجنبان ما هو مهم ليستمرَّا في الطريق التي ينبغي لهما الاستمرار فيها. الطريق التي يجب أن يستمرا فيها. فوجئت قليلًا من أنها ما زالت تفكر في مصالحها الشخصية أولًا حتى وهي تواجه شيئًا مأسويًّا مثل موت شابة على نحو غير متوقع، لكنها لم تكن تعرفها حقًّا. شكَّت أن هنري ممتنٌّ لحدوث شيء يصرف انتباههما عن نفسيهما هذه العطلة أيضًا، بدلًا من قضاء العطلة في الشجار مع زوجته وتدمير حياته المريحة.

وصلا إلى البسطة وجفلت عندما رأت الجثة ما زالت مستلقية عند نهاية الدرج ومغطاة بالملاءة. لم تتوقع أن تراها هناك. لماذا لم يحركوها من مكانها ويبعدوها في مكان ما حيث لا يجدر بهم رؤيتها؟ ارتجفت بشكل لا إرادي. شقَّا طريقهما المخيفة إلى الأسفل ومشيا حول الجثة وهما ينظران إلى مكان آخر عمدًا ثم أسرعا إلى غرفة الطعام.

عندما دلفت هي وهنري إلى غرفة الطعام، التفت إليهما الجميع. كانت لورين تقف بجانب منضدة القهوة وسكبت لنفسها كوبًا من الإبريق الزجاجي، وبجانبها حبيبها إيان الذي لم يكن مبتسمًا للمرة الأولى. وقفت جوين بمفردها، لكن رايلي أخذت تحوم بجانبها. لم ترَ بيفرلي ماثيو في أي مكان. جلست تلك الكاتبة، كانديس، في إحدى الزوايا بمفردها، واحتست القهوة وهي تراقب الجميع بعين حادة. لم تكن مختبئة خلف مجلة هذا الصباح. وقف المحامي بهدوء بعيدًا عن الجميع وبدا مضطربًا وهو يرتشف القهوة.

سارت كانديس لتقترب من جميع المجاورين لمنضدة القهوة، وقالت بهدوء: «هل يعلم أي منكم من هو ماثيو هاتشينسون؟».

نظر بقية الحضور إليها في دهشة فتابعت: «لا تعلمون؟ إنه فرد من إحدى أبرز وأثرى العائلات في نيو إنجلاند».

لم تملك بيفرلي أي فكرة عن هذا وبالنظر إلى الآخرين من حولها، يبدو أنه ما من أحد آخر كان يعلم. أخرج برادلي في هذه اللحظة أطباقًا من الخبز، والكرواسون، والكعك من المطبخ. وضعها على الطاولة الطويلة الجانبية التي وُضع عليها طعام المائدة المفتوحة في الليلة الماضية، ثم قال: «ساعدوا أنفسكم من فضلكم».

اعتقدت بيفرلي أن برادلي بدا مختلفًا تمامًا هذا الصباح. صارت ملامحه مشتتة وفقد ابتسامته الساحرة. حسنًا لا عجب في ذلك.

نظر في أرجاء الغرفة وقال: «أنا آسف للغاية بشأن الكهرباء. لا يوجد الكثير لنفعله بشأنها إلا أن ننتظرهم ليصلحوا الخطوط. أنا واثق أنهم يعملون على الأمر، وسنحاول نحن أن نجعلكم مرتاحين قدر الإمكان في الوقت الحالي».

شعرت بيفرلي بالراحة لعدم وجود ماثيو معهم. لا بد أنه قد عاد إلى غرفته. تخيلت الجميع يشعرون حتمًا بالراحة نفسها، فلا يعلم أحد كيف عليه أن يتصرف بجانبه. إنه شاب وسيم في مقتبل العمر ومن الواضح أنه وريث ثروة كبيرة وكان خطيبًا لمثل تلك الشابة الجميلة. تدمرت سعادته في لمح البصر بسبب هذا الحادث المروع المأسوي. كم ستكون عطلة حزينة وصعبة وهو يسير على أطراف أصابعه حول حزنه.

تمنت الآن لو أنها لم تسمع عن هذا المكان قط وهي ترى زواجها في حالة يرثى لها. لو كان بإمكانهم المغادرة فقط، لم ترغب في شيء أكثر من العودة لمنزلها. أرادت أن تعود للمنزل مع هنري ويصلحا الأمور ويواصلا حياتهما كالمعتاد. انتشر النزلاء في أرجاء المكان بشكل أخرق، ونهض بعضهم وأخذ الكرواسون والكعك بضيق. سرعان ما عاد برادلي حاملًا صحنًا كبيرًا من البيض، وقال: «لحسن الحظ لدينا موقد يعمل بالغاز».

وضع الصحن على المائدة وَدَعا الجميع لتناول الطعام، لكن بدا أن معظمهم قد فقدوا شهيتهم.

خرج جيمس أخيرًا من المطبخ وقال بوقار مناسب: «ما حدث مروعًا وأنا آسف للغاية، و...».

تردد ثم أردف: «أنا أعتذر، لكن لسوء الحظ تلقيت نصيحة بأننا يجب أن نترك الجثة في مكانها في الوقت الحالي».

تحرك النزلاء بضيق في أماكنهم، ثم سأل هنري: «تلقيت نصيحة ممن؟».

أجاب ديفيد: «مني».

سألت بيفرلي في جزع: «هل أنت متأكد أنك لا يمكنك... تحريكها؟».

كان من الفظيع تركها هناك هكذا، ومن المهين نوعًا ما لكنه قال: «لا، لا يمكننا».

قالت له لورين: «ولِمَ لا؟ لقد كان حادثًا بالتأكيد».

- من الأفضل أن ننتظر الطبيب الشرعي ليحدد هذا.

علقت جوين: «أنت تقترح أنه لم يكن حادثًا!».

- أنا أقول إن الطبيب الشرعي هو من عليه أن يقرر.

تساءلت بيفرلي فجأةً إن كان المحامي يشك أن ماثيو دفع خطيبته من أعلى الدرج. تفقدت وجوه الآخرين وكانت متأكدة تمام التأكد أن واحدًا أو اثنين منهم راودته هذه الفكرة للتو. تساءلت بخوف إن كان أي منهم قد سمع ما سمعته، هذا الشجار الذي دار بين ماثيو ودانا في وقت متأخر من الليلة الماضية. هل يجب أن تقول أي شيء؟ لقد كان بالتأكيد مجرد شجار عشاق، فماثيو لم يكن ليؤذي دانا وبدا أنهما يهيمان عشقًا ببعضهما.

ساد صمت مطبق ثم قالت رايلي فجأة: «أعتقد أنني سمعت صرخة في الليلة الماضية».

سألها ديفيد: «متى؟».

- لا أعلم، لقد ظننت أنني أتخيل الأمر.

سأل ديفيد وهو ينظر في أرجاء الغرفة: «هل سمع أي أحد آخر شيئًا؟».

شعرت بيفرلي بالتوتر يسري في جسدها كله. لم ترغب في وضع الشاب بمشكلة إن كان لم يفعل أي شيء خاطئ. ربما سمعهما شخص آخر وهما يتشاجران. لم ترد إخبار أي أحد، لكن لم يقل أحدهم شيئًا، فخفضت بصرها وهي مترددة، وتركت اللحظة تمضي. سأل هنري بعدها: «ماذا عن الشرطة؟».

رفع جيمس صوته وقال له: «كما تعلم الكهرباء منقطعة والهواتف بلا حرارة، فلم نتمكن من الاتصال بالشرطة».

- أنا أعلم، لكن ماذا عن الزلاجات؟

هز جيمس رأسه وقال: «نحن لا نملك أي زلاجات هنا فهي تسبب الضوضاء ونحن نحب التركيز على الطبيعة، والتنزه، والتزلج، والتزلج بالقبقاب الثلجي. نحن نتميز بالطراز القديم».

أدار هنري عينيه في اشمئزاز وتَمْتَمَ: «لا أصدق أنك لا تملك مولد كهرباء».

تجاهله جيمس وقال: «الشرطة ستصل إلى هنا في النهاية، بمجرد أن تعود الكهرباء ونستخدم الهاتف أو يزيلون الثلج ويضعون الرمل فنتمكن من الخروج».

سألت رايلي بضيق: «كم يستغرق الأمر من الوقت عادةً لاستعادة الكهرباء هنا بالأعلى عندما تكون هناك عاصفة؟».

قال برادلي: «هذا يختلف من عاصفة لأخرى، لكنني أعتقد أن انقطاع الكهرباء حدث على نطاق واسع، فالجليد أسوأ من الثلج بكثير ويقطع جميع الأسلاك».

أردف المحامي: «حتى تصل الشرطة إلى هنا، علينا أن نتعامل مع المكان كمسرح جريمة محتمل».

فقالت بيفرلي: «لكن...».

ثم صمتت عندما توجهت جميع الأعين إليها واحمرَّ وجهها، وقالت مشيرةً إلى ما كان واضحًا بالفعل: «سيتعين علينا أن نسير من فوقها في كل مرة نصعد أو ننزل الدرج، وسنراها مستلقية هناك كلما جلسنا في الردهة».

فكرت بعدها في هذا الرجل المسكين الذي بالأعلى في غرفته ينتظر الشرطة، وفكرت أيضًا إن كان يجدر بها أن تقول شيئًا عمَّا سمعته أم لا.

الفصل العاشر

السبت، الساعة الثامنة إلا الربع صباحًا

تباطأت كانديس في غرفة الطعام مع الآخرين بعد الإفطار. يبدو أنه ما من أحد يعلم ما عليه فعله، فالجميع في حالة اضطراب الآن، ما عدا المحامي الذي ترك غرفة الطعام بعد الإفطار بملامح هادئة وثابتة عن عمد. لاحظت كانديس أن المرأة ذات الشعر الداكن التي علمت أن اسمها جوين راقبت ديفيد وهو يرحل.

إنها لا تملك أي فكرة عمن يكون.

تود كانديس أن تصعد الدرج وراء ديفيد بايلي المشهور بسمعته السيئة. كانت متأكدة تمام التأكد أنه في طريقه ليرى ماثيو هاتشينسون، وتتمنَّى أكثر من أي شيء آخر أن تستطيع سماع ما سيُقال. ذكَّرت نفسها بعدها ألا تكون حقيرة وأن الرجل فقد للتو المرأة التي كان سيتزوجها.

هذا شيء انبغى لها العمل عليه، دون أن تسمح لفضولها بالتفوق على شفقتها. كان هذا سبب خروجها من مجال الصحافة بعد كل شيء وشروعها في تأليف الكتب بدلًا من ذلك. لقد أنقذها الأدب غير الروائي الطويل من ذلك

على الأقل. وجدت أنها خلال تأليفها لكتاب ما لا يزال بإمكانها التعاطف مع موضوعها، ما زالت تجد شعورها بأمانتها. يمكن للصحافة أن تدمرك.

نظرت إلى رايلي التي لاحظت الليلة الماضية أنها مراسلة حرب لصحيفة «نيويورك تايمز». كان لديها هذا المظهر، ليس مظهر صحفية قاسية القلب أصبحت بالضرورة عديمة الإحساس لا تتأثر بشيء، بل كانت على النقيض مجروحة جرحًا مكشوفًا ومفتوحًا على مصراعيه. تساءلت إن كانت رايلي ستجمع شتات نفسها مرة أخرى. يمكنها التعرف على اضطراب ما بعد الصدمة عندما تراه، فهي رأته من قبل.

كانت سعيدة أنها لم تعد صحفية، لكن ما زالت هناك جثة مستلقية أسفل الدرج ولا يعلم أحد كيف وصلت إلى هناك. يمكنها قراءة الناس جيدًا وهي ليست غبية – يبدو كأن المحامي يشك أنها لم تكن مجرد حادثة. رغبت في التسلل إلى الأعلى، وسماع ما يُقال من وراء باب ماثيو، لكنها منعت نفسها.

قاطع هنري تسلسل أفكارها بقوله: «لا يمكننا الخروج في هذه الظروف».

ثم عبس وهو ينظر إلى الجليد بالخارج.

أطلت نوافذ غرفة الطعام على الغابة التي تقع على الجانب الأيمن من الفندق. غطى الجليد المتلألئ كل شيء. كان جميلًا، كأن العالم مغطى بالماس. تدلت رقاقات ثلج طويلة وحادة من حافة السطح لتظهر أمام النوافذ. بدت مميتة نوعًا ما، اعتقدت كانديس أنك إن كنت تسير تحت واحدة من تلك الرقاقات وسقطت عليك قد تقتلك.

جعلت العاصفة الوضع خطيرًا للغاية على السير، أو التزلج بالقبقاب الثلجي، أو على أي شيء عدا أن تضع حياتك رهن يديك. كان أفضل مكان توجَد به خلال عاصفة جليدية كبيرة هو بالداخل في أمان، حيث لا يمكن أن تصدمك الأغصان المكسورة أو تخترقك رقاقات الجليد، أو تصعقك أسلاك الكهرباء المتساقطة، ناهيك بخطر الانزلاق وكسر رأسك على الجليد.

قالت كانديس لنفسها (لا، شكرًا) فهي ستظل بالداخل مثل الجميع.

***

طرق ديفيد باب غرفة ماثيو. حاول ثانيةً بقوة أكبر هذه المرة عندما لم يجد جوابًا. بحث عن المفتاح الذي حصل عليه من جيمس في النهاية بيدين متوترتين وفتح الباب بنفسه وهو خائف من أن يكون ماثيو قد أقدم على فعل عنيف؛ فقد رأى أشياء كهذه من قبل. دفع الباب ليفتحه بسرعة ورأى ماثيو يجلس على مقعد بلا حراك أمام المدفأة. تحول شعور ديفيد بالراحة الفورية إلى القلق. كانت الغرفة باردة رغم أن جيمس أشعل النار في وقت سابق. تقدم ديفيد أكثر داخل الغرفة، لا عجب أنها باردة، فماثيو ترك النار تنطفأ تقريبًا.

اقترب ديفيد وتفقد ماثيو بحرص. من الواضح أنه كان يبكي؛ فعيناه ووجهه منتفخون. بدا مشلولًا تقريبًا. ناداه ديفيد: «ماثيو».

لم يستجب الرجل الآخر. من الصعب تحديد إن كان غارقًا في الحزن، أم الذنب، أم كليهما في آن واحد.. وهو المحتمل فعلًا.

اتجه ديفيد بهدوء إلى المدفأة ووضع حاجز النار جانبًا. اختار قطعة خشب أخرى وضعها في النار برفق ليضرمها ويحثها على الإمساك بقطعة الخشب. من الجيد أن تجد شيئًا كهذا لتفعله وأنت تفكر فيما ستقوله. تمنى لو كان بوسعه أن يظل يضرم النار بالمحراك ويدفعها لتستعر إلى الأبد فقط، ثم يواصل التحديق إلى ألسنة اللهب دون أن ينبغي له أن يفعل ما هو على وشك فعله. لكنه قلق بشأن هذا الشاب. لقد شعر بمسؤولية ما تجاهه، ويود أن يقدم المساعدة إن كان ذلك بإمكانه. لا يمكنك العودة بالزمن لتغيير الأمور، حتى وإن لم يكن هناك الكثير لفعله. إنه يحاول فقط ترتيب ما حدث من فوضى حقًا.

وضع المحراك جانبًا في النهاية، وأعاد حاجز النار إلى مكانه، ثم جلس على المقعد الآخر الذي بجانب ماثيو. ظل صامتًا وهو يقرر كيف سيبدأ كلامه، ثم قال في النهاية بصوت منخفض: «ستصل الشرطة إلى هنا في النهاية، إن لم يكن اليوم فغدًا، وسيحققون في الأمر وسيحققون كذلك في سبب الوفاة».

علم أن عليه التحدث ببطء لأن العقل المصدوم يواجه صعوبة في استيعاب الأشياء، فصمت ثم تابع: «أعتقد أنهم لن يجدوا أن الوفاة بسبب حادث سقوط عرضي».

انتظر ديفيد، ولكن ماثيو لم يحرك ساكنًا ولم يبدِ دهشته حتى، وهذا كان مقلقًا، فتابع: «يبدو لي أن الجرح الذي برأسها والذي على الأرجح تسبب في وفاتها لم يكن جرحًا من تلك الجروح التي تحدث بشكل طبيعي وقت السقوط. يبدو كأنه ناجمٌ عن دفع أحدهم لها نحو حافة الدرجة من أمامها وفوقها».

لم يستطع منع نفسه وسيطر عليه التهكم فقال: «إن كنت تحاول جعل جريمة قتل تبدو كحادث سقوط من أعلى الدرج فمن الأفضل كثيرًا أن تدفع الرأس إلى عمود الدرج في اتجاه السقوط».

جذب هذا انتباهه فرفع رأسه، ونظر إليه للمرة الأولى وهو يسأل: «ما الذي قلته؟».

نظر ديفيد إلى عينيه، وأجاب: «قلت إن هذا لا يبدو حادثًا. يبدو أن خطيبتك قد قُتلت».

- ماذا؟

- أعتقد أن دانا ماتت مقتولة.

نظر إليه ماثيو مرة أخرى كأنه استوعب الأمر أخيرًا وقال: «آه، يا إلهي، لا».

- أجل هذا ما أعتقده.

مرت لحظة طويلة من الصمت، ثم قال ماثيو: «أنت تعتقد أنني من فعل ذلك».

- لا أعلم ولا أريد أن أعلم، ولكني محامي دفاع جنائي، وأنا هنا لأعطيك نصيحة مجانية إلى أن تتمكن من توكيل محامٍ.

- أنا لم أقتلها!

- حسنًا.

- لقد كنت نائمًا، أقسم على ذلك! لم أعلم حتى أنها غادرت الغرفة! لماذا قد تفعل هذا؟ لماذا تغادر غرفتنا في فندق من قبل. الحمام هنا وهي لا تسير في أثناء النوم.

قال ديفيد لنفسه إن هذا كل ما في الأمر، فلماذا قد تغادر الغرفة إلا إذا تشاجرت مع خطيبها؟ وربما تبعها وقتها في حالة غضب عارمة وفقد

سيطرته على نفسه في لحظة مصيرية. لم يرغب في طرح السؤال -ولماذا يرغب في التدخل!- لكنه سأل: «هل تشاجرتما الليلة الماضية؟».

- ماذا؟ لا! بالطبع لا. أنا أحبها! ولا يمكنني أن أوذيها أبدًا!

ارتفعت نبرة صوته وخفضها ثانيةً، وقال: «لا بد من وجود سبب ما لمغادرتها. ربما سمعت شيئًا ما بالممر في الخارج. لا أعلم، كل ما أعلمه هو أنني كنت نائمًا خلال كل هذا».

- لم تختلفا على أي شيء، على... المال؟ اتفاقية ما قبل الزواج، ربما؟

هز ماثيو رأسه باستخفاف، وقال: «لا، لم يرغب أي منا في اتفاقية ما قبل الزواج أو احتاجها. لقد كُنَّا نحب بعضنا بعضًا... هذه هي الحقيقة».

ثم سأل ماثيو ديفيد بيأس: «هل تعتقد حقًّا أن أحدًا قتلها؟».

- هكذا يبدو الأمر لي.

عاد ماثيو ليحدِّق إلى النار وتدفقت دموع جديدة من عينيه وهو يقول: «يا إلهي». غطى وجهه بيديه للحظة حتى استعاد سيطرته على نفسه ثم أبعد يديه، والتفت لديفيد، ليقول: «إن كان هناك من قتلها عمدًا، إذن أنا أريد أن أعرف من هو، وأريد أن أعلم السبب».

نظر مرة أخرى إلى ديفيد وقال: «لم يكن أنا، أقسم لك».

كان غارقًا في عذاب واضح. راقب ديفيد ماثيو بنظر ثاقب. لقد اقتنع تقريبًا أن الرجل بريء، فقال: «حسنًا، ولكن إليك نصيحتي على أي حال. لا تخبر أي أحد بأي شيء عن هذا، لا شيء. قد لا تكون فكرة بقائك هنا في غرفتك حتى وصول الشرطة سيئة، وعند وصولهم إلى هنا إن تحَفَّظوا عليك أو ألقوا القبض عليك، وحتى إن لم يفعلوا هذا، لا تقل شيئًا ووكِّل محاميًا جيدًا».

شحب وجه ماثيو أكثر مما سبق وقال: «وماذا عنك؟».

- لا أعتقد ذلك، لكن يمكنني أن أرشح لك شخصًا ما، إن أردت.

نهض ديفيد ليغادر. وتذكر فجأة أن خدمة الهاتف متعطلة، ولا يوجد من يتصل به ماثيو، وما من أحد يمكنه التحدث إليه فهو منعزل هنا، فقال له: «هل ستكون بخير؟».

- لا أعلم.

- أنا هنا إن احتجتني.

كان يعني ما قاله ثم أضاف: «سأطمئن عليك مرة أخرى بعد قليل».

أومأ ماثيو وعاد لينظر إلى النار بينما خرج ديفيد من الغرفة.

***

سمع ماثيو نقرة الباب وهو يُغلق ثم التفت لينظر، صار بمفرده مرة أخرى.

وقف فجأة وبدأ يسير في الغرفة. كان حزنه على دانا قد غمره، لكنه شعر بالخوف والقلق أيضًا مما قاله ديفيد بايلي. لقد ماتت دانا! والمحامي يعتقد أنه من قتلها، وإن كان يعتقد هذا فالشرطة ستعتقد ذلك أيضًا.

قاوم البكاء وهو يجوب الغرفة. أخبر المحامي أنه ودانا لم يتشاجرا، ويعتقد الآن أنه اقترف خطأً. لقد **تشاجر** مع دانا بعدما انفجر من العدم توترٌ بشأن حفل الزفاف القريب. لقد كانا تحت الكثير من التوتر.

تحدثت دانا عن والدته مرة أخرى، واعترضت لأن والدته لم توافق عليها ولم تعتقد أنها جيدة بما يكفي قط. صارت دانا تتصرف هكذا في بعض الأحيان -أو في كثير من الأحيان خلال الآونة الأخيرة- تصبح مرهقة عاطفيًّا، وتتزعزع ثقتها بنفسها قليلًا. إن نظرت إليها، لن تعرف أبدًا أنها افتقرت أحيانًا إلى الثقة، لكنها تكشف عن ذلك من وقت لآخر. لم يزعجه هذا الأمر فقد اعتاد خوفَ الناس -سواء الأصدقاء أو الحبيبات- من عائلته الثرية القوية.

لقد أنكر الأمر بالطبع، وقال إنها كانت حساسة للغاية لأن والدته لم توافق عليها، لكنه تعب من قول الشيء نفسه مرارًا وتكرارًا بخاصةٍ أنها لم تكن الحقيقة بالضبط. اعتقدت والدته أنه يستطيع الحصول على زوجة أفضل. كانت لديها الجرأة لتخبره بذلك، في أكثر من مناسبة. لقد حاولت جعله ينتظر، معتقدة أنه سيمل من دانا، ومعتقدة أنه ببساطة منجذبٌ إلى جمال دانا، وأن مشاعره تجاهها ستتغير. لقد أوضح لوالدته الغنية المتحكمة ذات الإرادة القوية أنه أحب دانا وسيتزوجها، ولكن كان من المرهق أن يكون عالقًا طوال الوقت بين امرأتين من دون أن يستطيع إرضاء -أو استرضاء- أيٍّ منهما. لقد تغلب عليه غضبه الليلة الماضية.

تساءل فجأة إن كان سمعهما أي شخص وهما يتجادلان.

الفصل الحادي عشر

السبت، الساعة الثامنة صباحًا

خرج النزلاء ببطء من غرفة الطعام إلى الردهة في هدوء، وتجنبوا الدرج بينما كان بعضهم ما زالوا يمسكون بأكواب القهوة.

لعن هنري حظه، لو لم يتحول الثلج إلى جليد مميت في الليل، كان ليصير هذا المكان أرض عجائب شتوية رائعة نوعًا ما. كان ليذهب للتزلج الريفي طوال اليوم، وتخلص من بعض التوتر اللعين. وقف الآن بالقرب من النوافذ الأمامية في الردهة، ونظر بكآبة إلى الجليد في الخارج –وقد غطى كل شيء مثل الزجاج– ثم شعر أنه خُدع. لم يكن هذا الفندق رخيصًا بالضبط، وبدا أن كل شيء يتآمر لجعله يقضي وقتًا بائسًا. أخطأ بالنظر إلى زوجته التي كانت تشاهده.

شعر بقلق شديد ثم مال إلى الأمام وضغط تقريبًا بأنفه زجاج النافذة البارد. رأى أن غصنًا ضخمًا قد كُسر من الشجرة القديمة الضخمة التي في الحديقة الأمامية، وتحطم إلى قطع على الأرض ليظهر لون الخشب الداكن فوق اللون الأبيض المتلألئ. شعر أن زوجته جاءت خلفه وسمعها تقول: «أنت لا تفكر في الخروج في هذا الطقس».

لم يكن يفكر في ذلك، لكن بما أنها قررت، قال: «أجل».

قالت بيفرلي كأنها توبخ طفلًا على بعض الأفكار المتهورة: «لا تكن سخيفًا».

تحرك نحو حامل المعاطف القريب من الباب حيث ترك معظم النزلاء معاطفهم الليلة الماضية وأسفلها أحذيتهم على السجادة. وجد معطفه الشتوي وسحبه. انحنى وخلع أحذية الركض وانتعل حذاء الشتاء الذي أتى به. قال إيان لهنري دون الهرع أو الحاجة إلى السيطرة التي كثيرًا ما كان يلاحظها في نبرة زوجته: «هل أنت متأكد أنها فكرة جيدة؟».

فأجاب على إيان وهو يعتمر قبعته: «لن أبتعد، أريد الحصول على بعض الهواء النقي فقط».

نصحه إيان: «تأكد من أن تبتعد عن جميع أسلاك الكهرباء».

وقف الجميع يراقبه كما لو كان نوعًا من عصافير الكناريا المستخدمة لاختبار الظروف[1]. التفت هنري وفتح الباب الأمامي. شعر بالهواء البارد يضرب وجهه وأعين الجميع من ورائه. خرج إلى الشرفة وأغلق الباب خلفه. لاحظ الآن الرياح، وكم هي جامحة وعالية! بدت من داخل الفندق، كأنها دوي متواصل وممل، كأنها شيء بعيد، لكنها هنا مفعمة بالحيوية، إنها كالوحش، وقريبة للغاية. نظر نحو الغابة عند طرف الحديقة ورأى كيف تجلد الرياح قمم الأشجار ذهابًا وإيابًا. بدت الضوضاء مثل العويل، والأسوأ من ذلك كله صوت الصرير والنشر كأن الرياح تجمع قوتها لتضغط على أغصان الشجرة المثقلة بالجليد أمامه. أغمض عينيه للحظة وأصغى، تخيَّل أن هذا ربما كان ليصبح صوت سفينة خشبية قديمة في البحر خلال العاصفة. فتح عينيه بعدها ورفع بصره إلى الشجرة وهو يتساءل إن كان هناك أي أغصان أخرى على وشك السقوط.

---

(1) ابتكر العالم الإسكتلندي جون سكوت هولدين طريقة استخدمها عمال التعدين في مناجم الفحم من عام 1911 إلى عام 1986 للحفاظ على أرواح العمال من الموت من حدوث انفجار أو اختناق، ويأخذ فيها العمال عصفورًا كناريًّا في قفص إلى المنجم لأن قدرته على تحمل الغازات السامة أقل من البشر ولذلك في حالة موت الطائر يُخلي عمال المنجم المكان.

ظل في مكانه بعدها لبعض اللحظات وعلم أنهم جميعًا يشاهدونه. أمسك بسياج الشرفة ونظر إلى أسفل. كانت هناك طبقة سميكة من الجليد على الدرج الخشبي، فخطا عليه بحذر وهو يحكم قبضته على السياج. كانت الأرض زلقة للغاية، لكنه نجح في نزول ثلاث درجات دون وقوع حادث، ثم وقف هناك. بدأ يتساءل ما الذي يفعله هنا في الخارج. أخذ يسير -أو لا يسير، فالسير كان مستحيلًا- بل ينزلق بقدميه على الجليد وهو يحاول أن يبقي مركز توازنه منخفضًا. كان الأمر أشبه بالسير وراء تيدي على حلبة التزلج في الهوكي عندما كان صغيرًا، بعدما تغمر المياه الحلبة، لكن الحلبة كانت مستوية، أمَّا هذا الجليد فينحدر في أرجاء المكان.

انزلقت قدما هنري دون سابق إنذار بطريقة مذهلة ليقع بقوة على ظهره وانزلق في دوائر لمسافة لا تتجاوز ستة أمتار من الشرفة الأمامية. استلقى هناك محاولًا أن يلتقط أنفاسه مرة أخرى، وأخذ يتنفس بصوت عالٍ وينظر إلى الغيوم وهو يشعر أنه أحمق. سمع الباب الأمامي يُفتح خلفه. لا بد أنها زوجته أتت لتخبره أن يعود إلى الداخل.

لكن قبل أن تتمكن من قول أي شيء سمع صوت كسر مخيفًا فوق رأسه. التفت برأسه نحو الشجرة وقفز قلبه داخل صدره عندما أدرك ما سوف يحدث. أغمض عينيه بينما سقط جزء من أحد الأغصان وهبط على الأرض بقوة على مسافة لا تبعد إلا مسافة صغيرة منه. فتح عينيه ببطء بعدها.

كان من الممكن أن يقتله هذا الغصن.

لم يستطع النهوض على قدميه من جديد فزحف هنري وانزلق على يديه وقدميه حتى وصل إلى الشرفة الأمامية، ثم حمل نفسه على الوقوف عند سلالم المدخل باستخدام سياج الشرفة.

كان الباب الأمامي مفتوحًا على مصراعيه، ونظر الجميع إليه بذعر. سحبوه تقريبًا إلى داخل الفندق مرة أخرى.

قالت زوجته بمجرد أن استعاد رباطة جأشه: «إن كنت تريد شيئًا لتفعله فيمكنك أن تذهب وتساعد برادلي في إزالة الثلج من الممشى المؤدي إلى منزل الجليد».

نظر إليها في انزعاج قبل أن تضيف: «لقد أخبرني أنه ما من أشجار هناك، فسيكون الأمر آمنًا نسبيًّا».

***

شعرت كانديس بالأسف نوعًا ما تجاه هنري الذي صار محبطًا بوضوح لأنه محاصرٌ هنا. يبدو أن أغلبهم شعر بالأمر نفسه، إمَّا يتوقون للخروج مثل هنري وإمَّا يتسكعون بفتور مثل إيان ولورين.

كان لدَيها الكثير لتقوم به -ما دامت بطاريتها صامدة- كما أن لديها الكثير مما يثير اهتمامها هنا. تجولت نحو جثة دانا لتلقي عليها نظرة أخرى. يمكنها أن تشعر بنظرات الآخرين المستنكرة وهي ترفع الملاءة. نظرت هذه المرة بحذر أكبر إلى جرح رأسها، ثم إلى الدماء التي على الدرجة وتسارعت دقات قلبها قليلًا مما رأت. تجولت بعدها نحو المدفأة ووقفت أمامها للحظة، وهي تائهة في أفكارها بينما تدفئ يديها. لا تستطيع حقًّا أن تترك نفسها ليشتت هذا الأمر انتباهها، لكنها تشك أن هناك من قتل هذه الفتاة المسكينة.

قطعت عليها لورين حبل أفكارها وباغتتها بسؤالها: «ما نوع الكتاب الذي تعملين عليه؟».

ابتسمت كانديس بمراوغة قليلًا، وأجابت باعتذار: «آه، أنا لا أحب التحدث عن هذا، لا أحب أبدًا التحدث عمَّا أعمل عليه حتى أنتهِيَ منه. أجد أن هذا يمتص كل طاقة المشروع».

- أوه، اعتقدت أن الكُتَّاب يحبون دائمًا التحدث عمَّا يعملون عليه.

- أنا لست كذلك.

بدأ النزلاء يغادرون الردهة لينتشروا في اتجاهات مختلفة وهم خاضعون للمأساة التي حدثت بينهم. أحضر برادلي مصباحين زيتيين وبعض أعواد الثقاب وتركها على طاولة القهوة، لكن معظمهم اختار استخدام تطبيق الكشاف على هواتفهم الآيفون لتساعدهم على إيجاد طريقهم أعلى الدرج المظلم وفي أرجاء الممرات غير المضاءة بالطوابق العلوية. يصبح المكان مظلمًا بشكل مقلق بمجرد أن تغادر الطابق الأول، حيث توجد نوافذ عبر واجهة الفندق لتُدْخِل ضوء النهار.

لقد حان وقت العمل، دارت كانديس حول الجثة وصعدت الدرج إلى غرفتها في الطابق الثالث. أضاءت الممر نوافذ صغيرة فقط في كل نهاية، فكان مظلمًا كئيبًا وصار أكثر ظلمة وكآبة حتى بسبب السجاد الداكن وورق الحائط الباهت. افترضت كانديس أن جميع غرف النوم بها نوافذ –فغرفتها بها نافذة بالطبع– وإن فتحت النوافذ سيدخل ضوء كافٍ لمعظم الأغراض، ولكنه ربما لن يكون كافيًا للقراءة بسهولة.

ازدادت البرودة في الطوابق العليا. كانت نار المدفأة الكبيرة التي في الردهة تجعلها دون شك أكثر الأماكن ضيافة، هذا إن كنت قادرًا على تجاهل وجود الجثة، لكن يبدو أن معظم الضيوف قد عادوا إلى غرفهم، وهم في فزع شديد.

وجدت كانديس غرفتها شديدة البرودة، والكآبة، والظلمة. هبطت الدرج مرة أخرى وهي تحمل حاسوبها المحمول واستكشفت المكتبة. بحثت عن برادلي ووجدته في غرفة الطعام ينظف بعض الأشياء. طلبت منه أن يشعل النار في مدفأة المكتبة من أجلها. بدا برادلي قلقًا ومنزعجًا قليلًا. اعتقدت كانديس أنه لأمر صعب حتمًا أن تدير فندقًا مع نقص العمالة وانقطاع الكهرباء.

قالت وهما يسيران نحو المكتبة: «أظنني سمعت أنك تزيل الثلج من الممر المؤدي إلى منزل الجليد».

ابتسم لها ابتسامة صغيرة وقال: «أجل، ولكن لدي هنري ليساعدني في ذلك الآن. إنها مهمة عسيرة، ولكن حالفه بعض الحظ مع نافخة الثلج».

تبعت برادلي إلى المكتبة وأرادت بشدة أن تشكُوَ من الوضع السيئ الذي وضعها فيه انقطاع الكهرباء، ولكنها لم تُرِد أن تثقل الحمل عليه أكثر من ذلك. أدركت أيضًا كم سيبدو ما تقوله تافهًا في الوقت الذي ماتت فيه شابة، وقد يكون هناك أناس بالخارج يتعرضون لخطر حقيقي بسبب هذه العاصفة.

لكن ما زال انقطاع الكهرباء يسبب لها انزعاجًا كبيرًا بلا شك. لقد جاءت إلى هنا لتعمل، وهي لا يمكنها أن تعمل دون تشغيل الحاسوب المحمول. تبقت لديها من البطارية ساعات قليلة فقط على أقصى تقدير. قد تختزل الأمر في الكتابة بقلم حبر وهي ملتفة ببطانية. لم يكن هذا ما تخيلته. فكرت

في والدتها المحاصرة في فراشها، وتساءلت إن كانت أختاها تعتنيان بها كما يجب.

استقرت على مقعد مريح له مساند، بجانب طقطقة ألسنة النار، وشكرت برادلي بشدة ثم طلبت منه أن يحضر لها كوبًا ساخنًا من الشاي عندما تسنح الفرصة. فتحت حاسوبها بعدها، ولكن استغرق منها الأمر بعض الوقت قبل أن تتمكن من التوقف عن التفكير في دانا والبدء في عملها.

السبت، الساعة التاسعة والربع صباحًا

وجدت جوين أن تناول الفطور في غرفة الطعام –الذي لم يسعها إلا أن تنظر إليه نظرة سلبية مقارنةً بتجربة الإفطار المبهجة التي وعد الفندق بها في كتيب فندق ميتشل– مؤلمٌ. تناولت نصف كعكة فقط دون أن تتذوقها.

لم يقترب منها ديفيد، ولكن ظلت رايلي واقفة بجانبها لتسرب منها طاقة حماية شرسة. ربما حدث هذا لأن انتباهه قد تشتت بما حدث لدانا. علمت جوين أنه كان قلقًا بشأن ماثيو. لم تهتم إطلاقًا بما اعتقدته رايلي، ولكنها لم تحب فكرة إمساك رايلي بذراعها إن حاولت السير نحو ديفيد مما سيُحدث جلبة ويلفت الأنظار، فتصرفات رايلي غير متوقعة. قررت جوين عندما غادر ديفيد الغرفة أنها ستذهب لرؤيته لاحقًا عندما تُتاح لها فرصة تحظى فيها بالقليل من الخصوصية.

لم تستطع منع نفسها من التفكير فيه، فقد كان معها ويغمرها بحبه قبل ساعات قليلة فقط.

تجولتا إلى الردهة وشاهدتا هنري وهو يجعل من نفسه أضحوكة على الحديقة الجليدية، ثم اقترحت رايلي أن تذهبا لاستكشاف الفندق معًا. أطلعتها جوين على المكتبة ثم ذهبتا إلى غرفة المعيشة المجاورة للمكتبة. كانت غرفة ساحرة للغاية وبها مجموعة من الطاولات المنخفضة والمقاعد والأرائك المنتفخة المكسوة بقماش قطني مزركش بالورود كما كانت بها لوحة زيتية لامرأة فوق المدفأة.

مسحت جوين بيديها على ذراعيها لتشعر بالدفء واقترحت: «هل يمكننا البقاء هنا؟».

لكن رايلي ظلت متململة وأرادت أن تواصل التجول في أنحاء المكان.

استكشفتا الممر المتفرع من الردهة ثم ذهبتا إلى البار. قالت رايلي وقتها وهي تنظر إلى أرجاء البار باستحسان: «هذا لطيف، سأشعل النار لنا هنا».

قالت جوين لنفسها، وهي تشاهدها، أنها بالطبع يمكنها إشعال النار بمفردها فقد عاشت في العراق وأفغانستان، وفي أصعب الظروف. تساءلت جوين ما الذي لا تستطيع هي فعله بينما تستطيع رايلي أن تقوم به أيضًا، ربما تستطيع قيادة سيارة بناقل سرعة يدويٍّ، علاج جرح، حماية مصدر، التفاوض مع إرهابيين. أدركت أن رايلي لم تشارك هذا النوع من التفاصيل معها، ربما لأنها تعتقد أن جوين لن يمكنها تحمُّلها. كانت رايلي تتمتع بأغرب مجموعة من المهارات الباهرة والشجاعة الشديدة، والآن صار بها ضعف رهيب لا يمكن التنبؤ به.

أدركت جوين تمامًا أن هناك زجاجات موجودة خلف البار وخشيت أن ترغب رايلي في الأخذ منها، رغم أنهما تناولاتا طعام الإفطار للتو. أدارت ظهرها إلى البار وتجولت في جميع أنحاء الغرفة، وهي تدقق النظر إلى عناوين الكتب الموضوعة على أرفف بطول الجدران، وأخذت تمعن النظر إلى اللوحات.

وجدت جوين نفسها تفكر فجأة في السنة الأخيرة من كلية الصحافة عندما تغير كل شيء بالنسبة إليها. تعلم رايلي ما حدث، فهي كانت هناك وتعلم لماذا تظن جوين أنها لا تستحق أن تكون سعيدة.

علمت جوين رغم ذلك أنها إن أرادت فرصة مع ديفيد فعليها أن تواجه الماضي. يجب أن تواجهه وتتأقلم معه بطريقة ما.

حضرتا في إحدى الليالي حفلًا ما، وزادت الثمالة بها لأنها كانت نهاية السنة الدراسية، فثمل الجميع لأنهم سيتخرجون قريبًا. شهدت جوين جريمة مروعة يومها. شاهدت ثلاثة رجال يعتدون على فتاة ولم تفعل شيئًا، لم تفعل شيئًا على الإطلاق.

تتذكر كم ظلت مستيقظة طوال الليلة التي قبلها لتنتهي من بعض التكاليف. كانت قد ثملت كثيرًا واحتاجت أن تستلقي. وجدت غرفة نوم – لأنه كان حفلًا منزليًّا– وبها فراش واحد، ومرتبة إضافية على الأرض. زحفت أسفل بعض الأغطية فوق المرتبة ثم جاءت إحدى الفتيات فأثارت ضجة في الغرفة وأيقظتها من نومها. كانت الغرفة مظلمة، لم يُضِئها إلا نور الشارع الذي تسلل من الخارج. تعرفت جوين على الفتاة، إذ حضرت بعض الصفوف معها. حاولت أن تُبعد شابًّا عنها، لكنه لم يبتعد، بل بدأ ينزع ملابسها. كانت جوين على وشك النهوض -ظنت أنهما قد تستطيعان إيقافه معًا– لكن دخل وقتها شابان آخران وأغلقا الباب خلفهما. وضع أحدهم كرسيًّا خلف مقبض الباب حتى لا يتمكن أحد آخر من فتحه وشعرت جوين أن الخوف قد أصابها بالشلل.

صرخت الفتاة الأخرى، لكن الموسيقى كانت عالية للغاية، فلم يتمكن أحد من سماعها. قيدوها على الفراش وهم يعتدون عليها ويضحكون. حدث كل شيء بسرعة كبيرة. لم ترغب جوين أن يعلموا بوجودها في الغرفة إذ خشيت أنهم قد يفعلون معها الأمر نفسه.

تركوا الفتاة هناك وهي تبكي على الفراش. تقيأت جوين بمجرد أن غادروا الغرفة ثم ذهبت بعدها لترى حال الفتاة الأخرى، لكنها كانت قد فقدت وعيها. قلبتها جوين على جانبها حتى لا تختنق إن تقيأت، ثم ذهبت لتجد رايلي التي أخبرتها أنه كان ينبغي لها أن تدافع عنها.

أخبرتها رايلي منذ ذلك الحين أنها لم تعد تظن هذا بعد الآن. عندما وجدت جوين رايلي في الحفل وأخبرتها بما حدث؛ صعدتا لتفقُّد الفتاة معًا. أخبرت جوين الفتاة أنها كانت في الغرفة ولم تنطق الفتاة ببنت شفة، ولكن جوين رأت اللوم في عينيها. سألت جوين إن كان باستطاعتها التعرف على هوية هؤلاء الرجال وتؤيد روايتها للقصة. أخبرت رايلي أنها كانت ستستطيع التعرف عليهم حسبما اعتقدت، لكن في الدقيقة التي ضغطتها الفتاة شعرت جوين بالذعر ولم ترد تحمل المسؤولية. أخبرتها أن الغرفة كانت مظلمة بشدة، وأنها لم تتحمل مشاهدة ما حدث، لدرجة أنها اختبأت تحت الأغطية، لذا لن تستطيع التعرف عليهم ولن تستطيع مساعدتها.

أرادت الفتاة أن توجه إليهم تهمًا، لكنها لم ترغب في الإقدام على هذا الفعل من دون مساعدة جوين التي لم تساعدها رغم أن رايلي حثَّتها على ذلك. أخبرتها أنها لا يمكنها أن تصبح شاهدةِ، ولم تفعل شيئًا. تخرجت وانتقلت وحاولت أن تنسى الأمر، ولكن فكرة أن هؤلاء الشباب الجامعيين -أيًّا من كانوا- أصبحوا الآن رجالًا بالغين ظلت تطاردها دائمًا. إن كان بإمكانهم التصرف بهذه الطريقة مرة، فيمكنهم تكرار الفعل نفسه مرة أخرى. سمعت أن الفتاة أنهت حياتها بعد فترة وجيزة وصارت جوين تعيش مع شعورها بالذنب منذ ذلك الحين.

ما حدث حدَّد شخصيتها وشكَّل حياتها. كانت جبانة، شخصًا فشل في فعل الصواب. علمت أنها لم تعد تستحق أي شيء جيد تقدمه لها الحياة.

لطالما حكمت عليها رايلي بسبب هذا الأمر. وحتى الآن، بعدها بسنوات، يثير غضبها أسلوب رايلي الذي يتسم بالتعالي. تساءلت أحيانًا إن كانت رايلي قد فعلت كل ما توجب عليها فعله في كل تلك المناطق الحربية، وإن كانت قد قامت دائمًا بكل شيء على نحو ممتاز أخلاقيًّا تمامًا بشكل لعين. تساءلت إن كانت قد ارتكبت أي خطأ من قبل، أو إن كانت قد شعرت بالخوف ولو لمرة واحدة في كل ذلك الوقت الذي قضته في العراق وأفغانستان.

سمعت جوين وهي غارقة في أفكارها صوت رايلي وهي تشهق فجأةً بصوتٍ عالٍ. التفتت جوين إليها في فزع ورأت رايلي تجلس على مقعدها أمام المدفأة وقد شحب وجهها قبل أن تقول: «أوه، لا».

شعرت جوين بالقلق من التغير الملحوظ الذي بدا على رايلي وسألتها: «ماذا؟ هل أنتِ بخير؟».

- علمت أنني سمعت اسمه من قبل.

أدارت جوين وجهها في ضيق ثم أردفت رايلي: «تعالي إلى هنا واسمعيني».

نظرت إليها جوين بحذر، وذهبت وجلست أمامها على مضض لتتابع: «لقد تذكرت للتو من هو».

مالت إلى الأمام ونظرت إلى جوين بشدة، ووجهها يعتليه قلق حقيقي.
بدأت جوين تقلق الآن، لا يوجد خطب بديفيد بالتأكيد، لا يمكن أن يكون به عيب. قالت رايلي: «إنه المحامي الذي اعتقلته الشرطة بتهمة قتل زوجته».

الفصل الثاني عشر

السبت، الساعة العاشرة صباحًا

دعك جيمس المقلاة في حوض المطبخ الكبير وفكَّر كيف يعيد تنظيم الأمور ليتمكن من إطعام نزلائه بشكل كافٍ من دون أي كهرباء. لم تعد الثلاجة تعمل، ولكنه على الأقل يستطيع طهي الطعام بفرن الغاز رغم أنه أصبح بلا غسالة صحون. كانت وجبة الإفطار سهلة بما يكفي تكونت من بيض ومعجنات، كما أنه لا أحد منهم شعر بشهية كبيرة لتناول الطعام على أي حال حسبما رأى، بعد أن سقطت هذه الفتاة المسكينة من أعلى الدرج.

لقد فقد شهيته هو أيضًا وشعر بالأسى على ما فقده هذا الرجل. جعله الأمر برمته مصابًا بالقلق. إنه نوع من المواقف يجعل أي مالك فندق يُصاب بالأرق. وقع حادث في فندقه، وهو حادث مميت في هذه الحالة. كان لديه تأمين، ولكن يا إلهي، يا له من أمر صعب. يعلم أنه ليس مُلامًا، فسجاده ثابت في مكانه. لقد صعد على الدرج وتفقد تلك السجادة بنفسه في أول فرصة أتيحت له. لا بأس، لا بد أنها تعثرت بلا سبب، ولن يستطيع أي أحد أن يوقع عليه أو على فندقه اللوم بأي شكل من الأشكال. فكر مرة أخرى في مقدار ما قد تكون شربته الليلة الماضية. عندما كان مع برادلي في المطبخ في وقت

مبكر، في أثناء تحضير الإفطار سأله عن هذا بصوت منخفض: «هل تعتقد أنها كانت ثملة؟ هل تعتقد أن هذا سبب سقوطها؟».

هز برادلي رأسه وقال: «لا تقلق يا أبي لم تكن ثملة، فأنا من قدمت المشروبات، ألا تتذكر؟».

- لكنك وضعت زجاجة من الشمبانيا في غرفتهما، أتذكر؟ هل تعلم إن كانا شرباها؟

هز برادلي رأسه مرة أخرى وأردف: «لا أعلم، فأنا لم أدلف إلى غرفتهما هذا الصباح لأن ديفيد لم يرغب في وجودي هناك».

بدأ جيمس يعض على شفته، إنها حركة يقوم بها عندما يصيبه القلق عادةً، وكان يحاول التخلص منها. لم يبحث عن زجاجة الشمبانيا عندما كان في الغرفة، فهو لم يفكر في أمرها. كرر برادلي عبارته بحزم: «لا تقلق يا أبي، ليس لديك ما تقلق بشأنه، وهي لم تسقط لأنها احتست الشراب».

لكن جيمس لم يسعه إلا أن يلاحظ أن برادلي بدا متأثرًا أيضًا بما حدث. بدا متعبًا؛ كانت هناك هالات سوداء تحت عينيه، وكأنه لم ينَم، لذا سأله جيمس: «هل بقيت مستيقظًا لوقت متأخر الليلة الماضية؟».

التقط برادلي الصواني وقال: «لا، أنا بحاجة إلى أخذ هذه إلى الخارج».

ثم أخذ الكعك والكرواسون إلى غرفة الطعام.

انتهى جيمس من تنظيف المقلاة ووضعها على رف التجفيف. تمنى لو تأتي الكهرباء فقد افتقد غسالة أطباقه اللعينة، وتمنى لو تصل الشرطة إلى هنا وتأخذ الجثة. لا يصدق أنه يتعين عليه الاعتناء بدزينة من الأشخاص تقريبًا من دون كهرباء ومع جثة عند نهاية الدرج الكبير في فندقه الحبيب، في حين أنه لا يمكنه فعل أي شيء.

السبت، وقت الظهيرة

نزلت لورين على الدرج إلى الردهة وعبرت من فوق جثة دانا في نفور، ومن خلفها إيان. إنه خيار مروع إلى حد ما، وعليهم جميعًا اتخاذه، سواء باستخدام الدرج الخلفي المخيف أو الدرج الرئيسي الذي ينتهي بجثة. عندما رفعت بصرها وجدت أن الردهة ليس فيها إلا كانديس التي تركت كتابًا بسرعة على طاولة جانبية والتفتت لها. كان كتاب لورين فقالت لها: «إنه كتابي، اعتقدتُ أنني تركت هذا الكتاب هنا بالأسفل».

- هل تعلمين أين برادلي؟ لقد خرجت لأطلب منه أن يجلب لي بعض الشاي الساخن.
- يمكنني أن أخبره عندما أراه إن أردتِ.
- أوه حقًّا؟ أخبريه أيضًا أن يحضر لي غدائي إلى المكتبة. شكرًا لك فأنا لم أرغب حقًّا في إزعاج والده بالمطبخ.

أسرعت كانديس بالمغادرة، بينما شاهدتها لورين وهي ترحل. جلست بجانب مدفأة الردهة الحجرية الكبيرة وجذبت إيان ليجلس بجانبها وحاولا أن يدفِّئا نفسيهما خلال انتظارهما لظهور البقية وتقديم طعام الغداء. حدقت لورين إلى النوافذ الأمامية التي في الغرفة، ولكنها لم تستطع منع نفسها من التفكير في الأمر. لقد ماتت دانا أسفل الدرج وهي تتجنب النظر في هذا الاتجاه قدر المستطاع. همست إلى إيان: «هذا أمر مريع للغاية».

وافقها إيان قائلًا: «أنا أعلم».

أخذ يدها ليشبك أصابعها في أصابعه ثم أردف: «لا أعلم ما الذي قد أفعله إن حدث شيء لكِ؟!».

طبعت قبلة على خده بسرعة ثم همست: «لا أرى سببًا يستدعي عدم تحريكها من مكانها، لماذا علينا انتظار الطبيب الشرعي؟».

وافقها إيان: «من البشع أن نتركها مستلقية هنا».

عادت لورين لتهمس له: «أتعتقد أنه ربما هناك من دفعها؟».

- بالطبع لا، لا بد أنه حادث، ولكن ديفيد محامٍ، لذا يتبع الإجراءات فقط.

أضاف وهو يحرك خصلة من شعرها خلف أذنها: «المحامون يظنون دائمًا أنهم يعرفون كل شيء».

نظر إلى جانبه وقال: «لكن إن لم تأتِ الشرطة إلى هنا قريبًا لن نستطيع تركها هناك بالتأكيد. هذا مخيف للغاية».

***

ظهر النزلاء في الردهة مرة أخرى واحدًا تلو الآخر، كأن هناك من استدعاهم بجرس غير مرئي. قال ديفيد لنفسه إنه جائع بلا شك، وهو يتساءل ما الذي سيأكله.

قضى ديفيد صباحه في غرفته بعدما تحدث إلى ماثيو وهو يفكر في دانا المستلقية أسفل الدرج وكيف قد حدث هذا. فكر أيضًا في الشاب المفجوع المختبئ في غرفته في انتظار زيارة حتمية من الشرطة. فكر في جوين، فكر فيها كثيرًا.

نظر إليها عندما أصبحوا في الردهة الآن. بدت أكثر بؤسًا مما بدت عليه في وقت مبكر من هذا الصباح عند الإفطار. لم تلتفت إليه منذ أن دلف إلى الردهة. جلست بجانب النار وهي تمد يديها نحوها لتشعر بالدفء ولم تنظر باتجاهه. ود لو يذهب إليها، لكنه شعر أنها لا تريده أن يفعل. حاول أن يتفهم الأمر، فهي لا يمكنها أن تكون إحدى الفتيات التي تستمتع بعلاقة عابرة ليوم واحد ولا ترغب في شيء أكثر من ذلك. لم يظن أنها من هذا النوع، وكان متأكدًا من ظنه. شعر الجميع بالحزن بسبب موت دانا بالطبع، وهو لا يعلم ما الذي قد تكون صديقتها رايلي أخبرتها به بمجرد أن أصبحتا بمفردهما. لقد حذرتها بأن تبتعد عنه بلا شك. علِمَ أنه من الأفضل ألا يتورط في أي شيء من هذا، لا يتورط معها ولا مع ماثيو، فهو لديه ما يكفي من المتاعب. كل ما أراده الآن هو السلام، لكنه خشي أن هذا السلام قد يحتاج إلى التأجيل.

***

لاحظت جوين أن ديفيد ينظر إليها وأشاحت بنظرها بعيدًا عنه. ما قالته رايلي عن ديفيد **لا يمكن أن يكون صحيحًا**، ربما قالت لها هذا فقط لتستعيد توازن القوى بينهما ليصبح كما كان من قبل. ربما تعمدت تدمير علاقتها به.

هذا ما لم تعرفه جوين. كم سيكون من السهل عليها أن تفعل شيئًا كهذا، أن تحذرها بالابتعاد عن ديفيد طوال العطلة الأسبوعية، ومن ثم عندما تعودان إلى الحضارة مرة أخرى وتبحث عن ديفيد بايلي على محرك البحث جوجل لن يكون هو من اعتقدته على الإطلاق، والشيء الوحيد الذي سيشترك فيه معه الرجل الذي ألقت الشرطة القبض عليه لقتل زوجته هو أن كليهما محامٍ. ستضحك رايلي على الأمر فقط وقتها، وتقول: «أوه، لقد كنت متأكدة تمامًا. أنا آسفة». لكن سيكون الأوان قد فات وقتها، وستخسر فرصتها مع ديفيد. لقد بلغت الثلاثين من عمرها بالفعل وقد لا تقابل أحدًا آخر. تفقدت وجه رايلي باستياء ثم نظرت بعيدًا.

قالت لنفسها ربما هذا ليس متعمدًا على الإطلاق، ربما ذعر رايلي يمتد إلى كل شيء ببساطة.

***

جلس هنري بجانب زوجته دون أن ينظر إليها. أصبحت عضلاته متعبة على نحو يجعله سعيدًا بفضل تنظيف الطريق إلى منزل الجليد مما جعل شهيته مفتوحة. سيقدمان لهما طعام الغداء قريبًا بالتأكيد. يمكنه أن يشعر ببيفرلي وهي تنظر إليه نظرة جانبية. تساءل ما الذي كانا سيفعلانه الآن إن لم يحدث ما حدث. وقف بجانب أكواب قهوة باردة في أحد أركان الفندق وقال لنفسه إنهما كانا سيدمران حياتهما معًا شيئًا فشيئًا. أدرك أنه سعيد تقريبًا بالإلهاء الذي تسبب فيه الحادث.

فكر فيما قاله المحامي، «الطبيب الشرعي هو من عليه أن يقرر». خفض رأسه نحو زوجته الآن وهمس لها: «هل تعتقدين أن هناك من دفعها؟».

فنظرت إليه بقلق.

***

أجابته بيفرلي بقلق: «لا أعلم».

هل ينبغي لها أن تذكر الشجار الذي سمعته يدور بين دانا وماثيو؟ قالت لنفسها إن هذا ليس من شأنها. قررت ألا تقول شيئًا على الأقل في الوقت

الراهن. لا أحد يعلم حقًّا ما الذي يدور في علاقات الآخرين أو ما تبدو عليه علاقة شخص آخر. ربما كانا يتشاجران طوال الوقت ولم يعنِ هذا شيئًا.

نظرت الآن إلى هنري وأدركت أنها لا تعلم حقًّا ما الذي يدور في عقله أغلب الوقت. إنها تضع افتراضات فقط لا غير وتعتقد أنها الحقيقة. اعتقدت طوال هذه السنين أنها تعرفه جيدًا، لكن هل كانت كذلك حقًّا؟ كم كانت مصدومة تمامًا الليلة الماضية عندما قال إن الأوان قد فات على أن يصلحا زواجهما. الحقيقة هي أنها لا تعرف ما الذي يفكر فيه على الإطلاق.

قد تكون لديه عشيقة. هذه هي المرة الأولى التي تخطر فيها هذه الفكرة ببالها. ربما ليس صعبًا عليها أن تفكر في هذا الأمر فهي لم تكن مهتمة للغاية بعلاقتهما الزوجية لفترة طويلة. قد يكون وجد شخصًا آخر ولهذا يريد أن يتركها وإلا لم يكن ليزعج نفسه بقول هذا الكلام حسبما تعتقد. قالت لنفسها هذه هي، لا بد أن هناك سببًا وراء هذه القنبلة التي أسقطها بقسوة كبيرة. لا يمكنه أن يرغب في تمزيق أسرتهم حتى يتمكن فقط من الابتعاد عنها، فعلاقتهما ليست سيئة لهذه الدرجة. لا يمكنه أن يتطلع إلى أن يصبح مفلسًا ويعيش بمفرده في إحدى الشقق البائسة، ويفتقد طفليه، لمجرد الابتعاد عنها. لا، لا بد أن يكون هناك شخص آخر. شخص يجعله يعتقد أن هجره لها ولطفليهما سيكون بمنزلة مغامرة طائشة مملوءة بالمرح والعلاقات. تساءلت من هي وإن كانت تعرفها.

تذكرت كم أصبح منزعجًا عندما أدرك أن الفندق هنا بلا إنترنت، ربما كان يأمل أن يستطيع البقاء على تواصل مع حبيبته، ربما توقعت هي أن يظل على تواصل معها، تلك الحبيبة التي صارت بيفرلي خائفة من وجودها حقًّا.

كيف يمكن لثقة مطلقة –بُنيت على مدار سنين– أن تنهار بهذه السرعة. يجب أن تتأكد، أدركت أنها تحتاج النظر إلى هاتف زوجها الخلوي. لكنه دائمًا ما يبقيه معه، أو بالقرب منه على الأقل وهي ليس لديها أي فكرة ما هي كلمة مروره ولا يمكنها أن تخمنها حتى. رغم ذلك، صارت متأكدة فجأة أنها إن استطاعت الحصول على هاتفه الخلوي، ستجد الحقيقة ووقتها ستعلم ما الذي تتعامل معه.

الفصل الثالث عشر

شاهدت لورين هنري وزوجته بيفرلي يجلسان جنبًا إلى جنب ويتحدثان بالكاد مع بعضهما بعضًا.

جلست رايلي وجوين بعيدًا عن بعضهما فشعرت لورين بوجود خلاف. كانت تراقب رايلي على وجه الخصوص. الهستيريا الشديدة التي لاحظتها لورين في أول مرة عندما أنقذاها من المصرف الليلة الماضية ما زالت موجودة، بل زادت. تململت رايلي بلا توقف وأخذت تلف الخاتم الفضي في سبابتها بينما مسحت بعينيها الغرفة باستمرار كأنها تبحث عن شيء ما، خطر ما. لاحظت لورين أن جوين تتجاهل رايلي وهذا غريب إذ بدت جوين الليلة الماضية مراعية للغاية وحاولت جاهدة أن تتعامل مع حالة رايلي المزاجية لكنها الآن بدت غير مهتمة. لا بد أن شيئًا قد حدث. تذكرت لورين أنها لاحظت القليل من المغازلة بين جوين وديفيد في غرفة الطعام الليلة الماضية ثم توقفت فجأة. تساءلت لورين إن كان لرايلي أي علاقة بهذا، وإن كانت كذلك فماذا قد يكون السبب؟ الغيرة ربما.

***

علمت رايلي أن جوين غاضبة منها، لكن كان عليها أن تفعل هذا. دققت رايلي النظر في ديفيد وظلت تشاهده وتحاول أن تتذكر ما تعرفه عن القضية.

كانت متأكدة تقريبًا أنه محامي نيويورك الذي ألقت الشرطة القبض عليه - أفرجت عنه لاحقًا- بسبب قتله العنيف لزوجته قبل ثلاث أو أربع سنوات. حاولت أن تتذكر التفاصيل. لقد ماتت من الضرب بهراوة وبطريقة وحشية للغاية. لقد تعرضت السيدة لضرب مبرح لدرجة أن ظهرها كُسر، وتلقت ضربًا على رأسها عدة مرات بشيء ثقيل في مطبخ منزلهما بواحدة من ضواحي نيويورك المترفة. لم تجد الشرطة سلاح الجريمة قط وادعى الزوج أنه عاد إلى المنزل من عمله في وقت متأخر ووجدها هكذا، فاتصل بالنجدة. رغم ذلك كان هناك بعض التناقض في التفاصيل وهذا لم يكن في صالحه. ظهر بعض الوقت الضائع لإصرار أحد الجيران على أنه لاحظ سيارة الزوج تصل في وقت مبكر قبل اتصاله بالنجدة بمدة كبيرة. فسَّر المحامي هذا وقتها بقوله إنه لم يذهب إلى المطبخ مباشرةً عندما عاد إلى المنزل، وهذا بدا مستبعدًا.

حدَّقت إلى يدَيْ ديفيد متدليتين إلى جانبيه، وهو يقف بجانب المدفأة بهدوء في انتظار الغداء. بدت يداه قويتين ذكوريتين. تساءلت ما الذي بإمكانه فعله بهما. رفعت بصرها ولاحظت أنه يحدِّق إليها فنظرت بعيدًا عنه.

تذكرت رايلي وجود ظروف مثيرة للريبة غير ذلك. كان زواجهما في ورطة وتحدثا عن الطلاق. هذا قد ينطبق على نصف زيجات العالم، لكن كانت هناك بوليصة تأمين، بوليصة بمبلغ كبير ولم يكن في المنزل أي علامة على الاقتحام.

سقطت كل التهم عنه حسبما تذكر. لم يستطيعوا العثور على ملابس ملطخة بالدماء أو سلاح الجريمة. لم تكن هناك أدلة كافية لعدم وجود أدلة مادية تربط الزوج بالجريمة وعدم وجود شهود غير الجار الذي قال إنه وصل إلى المنزل في موعد قبل الذي زعمه في البداية. أطلقوا سراحه وما زالت القضية بلا حل حتى الآن، حسبما تتذكر رايلي.

فحصت رايلي وجه ديفيد وهو يقف قرب النار، وسألت نفسها إن كان هذا وجه قاتل. تخيلت أنه في الفراش مع جوين ويضع يديه عليها -تخيلت أنه يوسع وجهها ضربًا بقبضتيه مرارًا وتكرارًا- ثم شعرت أن أنفاسها تتسارع بشدة. لا بد أن تتوقف عن التفكير بهذه الطريقة. يجب أن تتحكم بأفكارها إن تمكنا فقط من الخروج من هذا المكان اللعين.

***

ظهر جيمس وبرادلي أخيرًا، ودعوَا الجميع إلى غرفة الطعام. وضعَا صحنًا كبيرًا من الشطائر والمزيد من القهوة.

وجدت جوين نفسها تتوق إلى شراب قوي رغم أنهم ما زالوا في وقت الغداء. سمعت لورين تقول لبرادلي: «أرادتني كانديس أن أذكر لك أنها تريدك أن تحضر لها غداءها في المكتبة إن كان هذا ممكنًا. آه وأيضًا كوبًا من الشاي الساخن».

- أجل، توقعت ذلك.

مال نحو الصحن والتقط القليل من الشطائر بملقط فضي ورتبها على طبق أصغر، ثم اتجه نحو المكتبة. اختفت الشطائر بسرعة من فوق الصحن، حتى مع وجود جثة عند نهاية الدرج في الغرفة المجاورة على بُعد أمتار قليلة منهم.

شاهدت جوين الجميع بِنُفور وهم يأكلون. أرادت أن تغادر، لا ترغبْ في البقاء هنا لليلة أخرى في هذا الفندق لتظل فيما سيحل بالمكان من ظلام كلي خانق بلا تدفئة.

اختلست النظر إلى ديفيد، لا يمكنها أن تصدق أن ما قالته رايلي عنه هذا الصباح كان صوابًا. هذا مستحيل، مستحيل أنه قتل زوجته، لا يمكنه أن يكون قاتلًا. هذه الفكرة عبثية، لا بد أن تكون رايلي مخطئة. خرجوا معًا عندما انتهوا من طعامهم إلى الردهة حيث دفء النار ثم قالت جوين: «لا أعلم ماذا عن الآخرين، ولكني بحاجة إلى شراب».

***

شعر إيان بالسعادة لأن هناك أحدًا غيره ذكر أمر الشراب، لذا ليس عليه أن يفعل هذا. اندهش أن جوين الجميلة الشاحبة هي من اقترحت هذا وليست صديقتها المفرطة في الشرب التي تبدو وكأنها هربت من مركز إعادة تأهيل.

عرض إيان عليهم وقتها، وهو ينظر إلى لورين كأنه يطلب منها الإذن، وقال: «أجل، لماذا لا أجلب عربة البار».

لم يكن برادلي معهم، وعاد جيمس إلى المطبخ، فأردف إيان: «أعتقد يمكننا جميعًا شرب القليل، بتمهل».

نهض إيان ودفع العربة بالقرب منهم ثم بدأ يقدم المشروبات. لم يتعالَ سوى صوت رنين الثلج في الزجاج ودوي الرياح حول المبنى.

ساد صمت مطبق في المكان كأن ما من أحد لديه شيء ليقوله.

السبت، الساعة الواحدة والنصف مساءً

جلست رايلي بمفردها، بعيدًا عن تلك المقاعد المرتبة حول طاولة القهوة القريبة من النار، وأخذت تنظر من وقت لآخر عبر نوافذ الردهة، ولكنها ظلت تصغي إلى حواراتهم وهم يحومون فوق لوحة اللعب الموضوعة على طاولة القهوة. لقد وجد إيان بعض الألعاب على أحد أرفف الكتب واقترح أن يلعبوا سكرابل (Scrabble).

رأت برادلي يعود إلى الردهة ويتجه إلى النار.

كان إيان هو من بدأ الأمر، وسأل المحامي صراحةً لماذا يبدو أنه يشير إلى أَن وفاة دانا قد لا تكون حادثًا. علَّقت جوين قائلة: «آه، أرجوك، دعنا لا نتحدث عن هذا!».

من الواضح أنها فضلت التركيز على اللعبة؛ تعلم رايلي أن جوين دائمًا ما برعت في لعبة سكرابل، وهي جيدة أيضًا في تجنب الأشياء التي لا ترغب في مواجهتها. قال إيان لجوين: «ولِمَ لا؟ هذا كل ما نفكر فيه جميعًا، إنه مُحامٍ جنائيٌّ وأنا أرغب في معرفة ما الذي يعتقده».

تدخل هنري أيضًا وقال: «أود أن أسمع ما الذي يفكر فيه أيضًا».

التفتت رايلي وحدَّقت إلى ديفيد الذي أصبح وقتها محط الأنظار الآن، وقال متهربًا: «أنا لا أعلم أي شيء أكثر منكم، لقد قلت ببساطة إنني أعتقد أنه ينبغي لنا أن ننتظر الطبيب الشرعي ليقرر ما الذي حدث».

ضغطه إيان بقوله: «أنا لم أسألك ما الذي **تعلمه**، بل أسألك ما الذي **تعتقده**».

- حسنًا.

نظر ديفيد إلى بقيتهم كأنه يفكر فيما سيقوله. أخذ نفسًا عميقًا ثم أطلق زفيرًا وقال: «أنا لا أعتقد أن موت دانا كان حادثًا».

صمت ثم عاد ليقول: «في الحقيقة أظن أن هناك من دفعها، ومن ثم أعتقد أن رأسها ارتطم بالدرجة الأخيرة بقوة وعن عمد».

سكبت رايلي شرابها تقريبًا. رأت حاجبي إيان يرتفعان في دهشة وهو يقول: «حقًّا؟ أنت تظن أن هناك من **قتلها**؟».

تحرك في مقعده وهو يبدو عليه القلق ثم أردف: «لقد ظننت...».

لكنه ترك عبارته دون أن تكتمل. بذلت رايلي قصارى جهدها لتبدو هادئة تمامًا، وطبيعية تمامًا. لقد شربت كأسين من النبيذ بالفعل، وهذا ساعدَها. رأت ديفيد ينظر إلى جوين لكنها أشاحت بنظرها بعيدًا عنه. قالت رايلي لنفسها **جوين الصغيرة الخائفة لو كان بإمكانها دفن رأسها في الرمال لفعلت**. قال المحامي بأسلوب حاد: «أعتقد أنه احتمال واضح».

أحكمت رايلي قبضتها على ذراعَي الكرسي؛ شعرت بالتوتر يتصاعد في الغرفة الصامتة، كان التوتر ملموسًا. قالت رايلي بعدها ما كان يفكر فيه الجميع: «هل ماثيو من فعلها؟».

سمعت عدة صيحات من النزلاء حولها. لم تكن مهذبة، لكنها لا تهتم إذ يبدو أن الجميع يعتقدون أنها في حالة يُرثى لها على أي حال. التفت لها ديفيد وقال: «ليس لدي أي فكرة».

سأله إيان: «هل تتصرف كمُحامٍ له؟».

أجاب بانزعاج نوعًا ما: «لا، أنا لست كذلك، لدي ما يكفي من القضايا لأتولى أمرها، لقد اقترحت عليه فقط أن يظل في غرفته».

أخذ آخر رشفة من كأسه وأنهاها، ثم أضاف: «ستتولى الشرطة أمر كل شيء عندما تصل إلى هنا... وهو ما أتمنى أن يكون قريبًا، لكن حتى يحدث هذا، لن يحرك أي أحد الجثة من مكانها».

الفصل الرابع عشر

قال هنري بأسلوبه المغرور قليلًا: «يبدو لي أنها إن **كانت** جريمة قتل، فسيكون من المستحيل تقريبًا حلها. يبدو أنها حدثت في منتصف الليل، وكُنَّا جميعًا نيامًا في أسرتنا. لا يوجد شهود، إلا إذا أراد أحد أن يشارك أو يعترف ببعض المعلومات المفيدة بشأن رؤيته لشخص يتسلل في أثناء الليل، وأنا لا أرى أن هناك الكثير من المعلومات لنتبين منها ما حدث».

سمعته بيفرلي ولعقت شفتيها بتوتر وهي منتظرة. لم يتطوع أي شخص لقول أي شيء، فقالت في النهاية: «هناك شيء ينبغي لي أن أقوله في الأغلب».

التفتت جميع الأعين إليها ففقدت شجاعتها تقريبًا. لم تعلم أن الشجار الذي سمعته بين دانا وماثيو له علاقة بالأمر أم لا، لكن ما ستقوله سيبدو كدليل قاطع بالتأكيد. قال ديفيد بهدوء: «ما هو هذا الشيء؟».

ترددت ثم قالت: «لقد سمعتهما يتشاجران ليلة أمس».

قال ديفيد لها كأنه اندهش: «دانا وماثيو؟».

- أجل.

- ما الذي دار بشأنه الشجار، هل تعلمين؟

هزت رأسها وأجابته: «لقد سمعتهما يصيحان، لكنني لم أتبين أي كلمة. إنهما في الغرفة التي بجانب غرفتنا في نفس الجانب من الممر».

نظرت إلى زوجها ثم أضافت: «لقد كان هنري نائمًا خلال كل هذا».

- في أي وقت كان هذا؟
- لا أعلم، لكن في وقت متأخر.
- هل بدا الأمر... عنيفًا؟
- لا أعرف، لقد ارتفع صوتهما فقط. لم أسمع بكاءً أو أي شيء، ولا صوت اصطدام إن كان هذا ما تعنيه.

ها هي قد قالتها. إن كان ماثيو قد فعل شيئًا خاطئًا فمن الجيد إذن أنها أخبرتهم.

***

يمكن لديفيد أن يشعر باضطراب الآخرين المتزايد. لا يروقهم ما قالته بيفرلي؛ كلامها جعلهم يشعرون بالقلق، لا يروقهم أن يفكروا فيما لا يمكن تصوره. يمكنه أن يرى على وجوههم أنهم جميعًا يتخيلون الأمر، يتخيلون الشجار والدفع من أعلى الدرج.

شعر بالأسف على قلقهم، ولكنه أخبرهم كيف يرى الأمر فقط. من غير الممكن على ما يبدو أن تكون دانا دُحرجت بهذه الطريقة من سقوطها على الدرج، وهو لا يريدهم أن يعبثوا بالجثة، والآن ذُكرت هذه المعلومة الجديدة، ولقد أخبره ماثيو أنه ودانا لم يتشاجرا. إن كانت بيفرلي صادقة، فقد كذب عليه ماثيو.

إن الأمر يصيبه بالكآبة، يبدو أن ماثيو محطم للغاية، ومكلوم بصدق حقًّا. ذكَّر ديفيد نفسه رغم ذلك أنه كثيرًا ما يشعر القاتل –بخاصة الذي يقتل في وقت انفعال– بندم حقيقي على ما فعله، ويشعر بالذنب.

قد يكون الأمر شخصيًّا أكثر من ذلك. ربما يشك ديفيد لصالح ماثيو لأنه هو نفسه اتُّهِمَ بقتل زوجته، وهو يعرف ذلك الشعور. ربما هذا هو الأمر، ربما يكون مخطئًا وماثيو دفع دانا فعلًا من فوق الدرج ثم قتلها وهو الذي لا يريد أن يصدق ذلك، ولكنه يعتقد حتمًا أنها جريمة قتل. إن لم يكن ماثيو الذي ارتكبها، فمن الذي فعلها؟

***

نهضت جوين فجأةً وخرجت من دائرة النزلاء الصغيرة التي بجانب المدفأة. لم تستطع تحمل الجلوس هناك أكثر من ذلك. ذهبت إلى الجزء الأمامي من الغرفة وظلت تسير ذهابًا وإيابًا أمام النوافذ. نظرت إلى الخارج نحو الطريق الجليدية من وقت لآخر كأنها تتمنى أن يأتي من ينقذهم. نظرت نظرة سريعة إلى جانبها على بقية النزلاء الذين ما زالوا يجلسون بجانب النار. لم يتظاهر أي أحد بمواصلة اللعبة من دونها. ما قاله ديفيد -وما قالته بيفرلي الآن- جعلهم جميعًا في حالة اضطراب أكثر من اللازم.

لا يمكنها أن تتحمل البقاء بالقرب من ديفيد بعد الآن. لقد فسد ذلك الانجذاب اللذيذ الذي كان بينهما الليلة الماضية. لم تعد الآن متأكدة مما تشعر به عندما تنظر إليه، إنه خليط محير بين الانجذاب والخوف.

غرزت أظفارها في راحتي يديها. كيف يمكنه أن يكون حياديًّا للغاية بشأن رجل -حتى وإن كان غريبًا بالكامل- قتل امرأة يدَّعي أنه يحبها؟

انضمت إليها رايلي أمام النوافذ بعد فترة. التفتت إليها جوين سريعًا، رأت عيني رايلي واسعتين ويقظتين. وقفتا معًا للحظة ونظرتا إلى الخارج حيث المنظر المتجمد الذي حاصرهما هنا. مالت جوين لتقترب من رايلي ثم تحدثت إليها بهدوء: «هل تظنين أن ديفيد على حق؟ أن دانا قد تكون قُتلت؟».

نظرت إليها رايلي وظلت عيناها متسعتين، وهي تقول: «لا أعلم ما الذي أظنه».

تفقدت جوين رايلي عن قرب. بدت شاحبة وظهر العرق على وجهها كأنها مصابة بالحمى، ربما لم يكن يجدر بها أن تتحدث معها عن هذا حتى. أخذت رايلي كأس نبيذها معها وكانت يداها ترتجفان بوضوح فسألتها جوين: «هل أنتِ بخير؟».

- لا، أنا لست بخير حقًّا على الإطلاق، ماذا عنكِ؟

قالت جوين بصوت منخفض: «لا، أنا لست بخير أيضًا، ولكن عليكِ أن تجمعي شتات نفسك يا رايلي. تمهلي في شرب النبيذ».

ضيَّقت رايلي عينيها وهي تنظر إلى جوين وقالت: «اهتمي بشؤونك الخاصة».

انفعلت جوين بشدة وأردفت: «آه، أهذا لأنك تهتمين بشؤونك الخاصة؟».

لم تعد تعلم فجأة إن كانت تريد رايلي أن تظل صديقتها بعد أن ترحلا من هنا، ولم تعد حتى متأكدة إن كانت مهتمة لأمرها.

هدأت رايلي قليلًا وقالت: «أنا آسفة، لقد فعلت ما ظننته الأفضل، ولكني أعتقد أن ديفيد بايلي هو من تحدثت عنه حقًّا».

- حسنًا، وأنا لست كذلك.

- لماذا لا تسألينه؟

- أنا لن أسألَه.

- إذن، سأسألُه أنا.

التفتت رايلي فمدت جوين يدها وجذبتها من ذراعها وهي تهمس بصوت عالٍ: «توقفي! انتظري».

التفتت رايلي ونظرت إليها ثم قالت: «لماذا؟ أعتقد أن علينا توضيح هذا الأمر، ألا تعتقدين ذلك؟».

توسلت لها جوين قائلة: «فقط... انتظري».

ترددت رايلي فتابعت جوين: «لا تقولي أي شيء عن ديفيد، قد تكونين مخطئة».

شاهدت جوين رايلي بقلق وهي تفكر في الأمر ثم قالت: «حسنًا، لن أقول أي شيء... إلى الآن».

رفعت كأس النبيذ إلى شفتيها وأخذت جرعة كبيرة كانت بحاجة إليها.

الفصل الخامس عشر

غيرت بيفرلي مقعدها حتى لا تجلس بجانب زوجها، ولكي لا يتعين عليها رؤية جسد دانا تحت الملاءة. إذن هذا ما أصبحت عليه عطلتهما البعيدة عن المنزل التي علَّقت عليها آمالًا كبيرة. يواجه زواجها دمارًا وشيكًا، وصارت عالقة في فندق معزول وتستعبدها عاصفة جليدية مميتة دون كهرباء، لتتشارك الردهة مع جثة امرأة قد يكون خطيبها الغني هو من دفعها من أعلى الدرج. إن كان الأمر هكذا، فيا لها من صدمة لا بد أنها تعرضت لها.

شاهدت جوين ورايلي تعودان. جلست جوين على المقعد الذي أمام ديفيد وكانت قد تركت مقعدها قبل قليل دون أن تنظر إليه. نظر إليها ديفيد بحذر؛ كانت بيفرلي متأكدة أن هناك ما حدث بين هذين الاثنين. لقد لاحظت الانجذاب الذي بينهما الليلة الماضية، لقد اختفى هذا الانجذاب وحل محله شيء لم تكن قادرة تمامًا على تحديده، نوع من الإحراج أو الحذر.

قالت رايلي فجأةً لديفيد وهي تحرك خاتمها بتوتر: «لا أعتقد أن عليك أن تقفز إلى الاستنتاجات».

التفت إليها ديفيد بأدب وقال: «المعذرة؟».

- بقولك إن سقوط دانا لم يكن حادثًا.

قال هنري بطريقة اتهامية وهو يحدِّق إلى ديفيد: «إنها محقة، فأنت لا تعلم ما الذي حدث، إلا إذا كنت من قتلتها، وهذا ما أشك فيه بشدة».

شاهدت بيفرلي زوجها وهي محرجة من نبرته المتغطرسة. تعلم أن هنري يمكنه أن يكون أحمق قليلًا، وهو في الغالب يشعر أنه محاصر للغاية وهذا يجعله عدوانيًّا قليلًا. إنه مثل كلب بوردر كولي يحتاج إلى عمل يقوم به. قال المحامي الذي صار في مأزق بنبرة لطيفة: «أنا لم أقصد الإيحاء بأنني **أعرف** ما حدث قط. لقد سُئلت عن رأيي، وأبديته. أنا لا أتظاهر أنني خبير».

قالت بيفرلي لنفسها بتوتر (لكنه خبير بينما البقية ليسوا كذلك).

***

تفقدت لورين ظفرًا مكسورًا، وحاولت أن تتذكر إن كانت قد جلبت معها مبرد أظفار أم لا. نظرت إلى جميع الأوجه الكئيبة التي حولها. لا يبدو أن أحدًا منهم يستمتع بوقته، حتى وإن أرادوا ذلك فسيكون الأمر له مذاق سيئ. لقد ذهبت كانديس إلى المكتبة لتعمل وكأن شيئًا لم يكن، وبدت متبلدة المشاعر قليلًا. يا الله، إنها تود لو تخرج من هنا! وهم بالكاد بعد وقت الغداء. تساءلت كم سيمضي من الوقت وهم محاصرون في هذا الفندق.

يعتقد ديفيد أنه لم يكن حادثًا بالمصادفة، بل جريمة قتل. حاولت ألا تدع الأمر يؤثر فيها. فكرت لورين في ماثيو الموجود بالأعلى، إنه يظل في غرفته بناء على نصيحة المحامي. قالت بيفرلي إنها سمعتهما يتشاجران. تساءلت إن كان هذا صحيحًا، وإن كان كذلك فهل هذا يجعل ماثيو مذنبًا أم لا. ودت لو تعلم ما الذي يعتقده المحامي.

***

دائمًا ما كان برادلي قوي الملاحظة -وهذه أحد الأشياء التي تجعله خادمًا جيدًا- فلاحظ توجهات الآراء المختلفة تدور في ردهة فندق أبيه. يتصرف جميع النزلاء بطريقة مختلفة عن التي كانوا يتصرفون بها الليلة الماضية.

يبدو ديفيد مستغرقًا في تفكيره وشارد الذهن، بينما بدت جوين حزينة. لم يعد إيان يتسم بسلوكه المسترخي الباحث عن الملذات، كما بدت حبيبته لورين هادئة ومنتبهة. أيًا كان ما أزعج هنري وبيفرلي الليلة الماضية فقد أصبح الأمر أسوأ اليوم. كانت رايلي هي الوحيدة التي لم تتغير، بدت متوترة للغاية عندما وصلت، وهي الآن كذلك.

بدا جميع النزلاء مفزوعين عندما أخبرهم ديفيد أنه يعتقد أن دانا قُتلت، لكن برادلي شعر بالخوف أيضًا.

ذهب برادلي ليواصل عمله وهو يفكر في الأمور بلا كلل.

السبت، الساعة الثانية مساءً

لا يزال الجميع مجتمعين في الردهة. أخذت بيفرلي تفكر في وضعها. لقد صارت تركز اهتمامها على فكرة ارتباط هنري بشخص آخر. أخبرت نفسها أنها فكرة عبثية، فزوجها هنري ليس رجلًا مثيرًا على وجه الخصوص وليس من النوع الذي يدخل في علاقة غرامية. لم تطرأ هذه الفكرة على بالها إلا هذا الصباح. حاولت أن تبعد هذه الفكرة غير المرغوبة عن عقلها. لمحت ديفيد يراقب برادلي الذي يهرول ليقوم بمهامه ثم اقترح بشكل تلقائي: «لماذا لا نساعد برادلي ونخفف عنه الحمل؟ هل تمانع يا هنري لو تأتي معي في رحلة إلى مخزن الحطب لنجلب المزيد من الخشب للمدفأة؟ وربما للموقد الخشبي في المطبخ».

قال برادلي بعدما احمَرَّ وجهه: «ليس عليكم أن تفعلوا هذا».

أردف ديفيد مؤكدًا: «لا مشكلة على الإطلاق، لا بد أنك مشغول للغاية».

شاهدت بيفرلي هنري وهو يلقي سترته الثقيلة على المقعد بجانب النار، وأتبعه ديفيد ليأخذ معطفه من حامل المعاطف. زودهما برادلي بمصباح يدوي ونصحهم أن بطارياته القابلة للشحن لن تصمد طويلًا على الأغلب. أخذه ديفيد معهما إلى مخزن الحطب.

نظرت بيفرلي إلى الآخرين، بدا كل منهم غارقًا في عالمه الخاص. وجدت نفسها تحدِّق إلى سترة زوجها على المقعد القريب من النار. كانت متأكدة تمامًا أن هاتفه الخلوي في جيب السترة. احتاجت إخراج الهاتف من جيبه دون أن يلاحظ الآخرون ما الذي تفعله.

نهضت وسارت تجاه المدفأة ثم جلست بجانبها. أصبحت السترة تحتها، ولا يبدي أي أحد اهتمامًا بها. يمكنها أن تسمع صوتًا خافتًا لضجيج جيمس وبرادلي في المطبخ.

تفقدت بيفرلي سترة هنري بهدوء حتى وجدت هاتفه الخلوي وأغلقت يدها عليه، ثم وضعته في جيبها بسرعة. لم ترغب في تفقُّد ما عليه هنا أمام الجميع، ولا ترغب أن يعود زوجها من مخزن الحطب ليجدها تجلس في مقعده.

نهضت وتجولت دون كلل كأنها تبحث عن مجلة جديدة بين المجلات التي في الردهة. قد لا يلاحظ هنري أن هاتفه الخلوي مفقودٌ لبعض الوقت، فهما لديهما المصباح اليدوي ولن يستخدم هاتفه بخلاف ذلك لعدم وجود تغطية لشبكة الهاتف. أرادت فقط أن تطَّلع على رسائله القديمة. إن فقد هاتفه لن يجد سببًا محددًا ليعتقد أنه معها فهي لديها هاتفها وعليه تطبيق الكشاف.

أحكمت قبضتها عليه داخل جيبها، وأخبرت نفسها ألا تعلق آمالًا كبيرة لأنها ليست لديها فكرة عن كلمة مروره.

أتى هنري وديفيد بأول حمولة لهما من الخشب وأسقطاها عند المدفأة. رمى ديفيد قطعة خشب أخرى في النار فتطايرت الشرارات، وحركها بالمحراك الحديدي لتستعر النار من جديد. رحلَا ثانيةً لجلب المزيد من الخشب ولم ينظر زوجها إليها حتى، فقالت بيفرلي: «سوف أعود لغرفتي قليلًا».

اقترحت لورين على إيان: «ربما يجدر بنا أن نصعد إلى غرفتنا أيضًا».

ثم التقطت كتابها من فوق الطاولة الصغيرة التي عند نهاية الأريكة.

يبدو وكأنه ما من أحد يرغب في البقاء بالردهة لفترة أطول، هذا ما ظنَّته بيفرلي. إنهم متعبون من بعضهم بالفعل. سارت بيفرلي نحو الدرج، وهي متحمِّسة للتسلل إلى خصوصية غرفتها حتى ترى ما إذا يمكنها فتح هاتف

زوجها. نظرت إلى الأسفل وهي تنعطف على بسطة الدرج، ورأت جوين تدفع رايلي للصعود أيضًا.

لم يستغرق الأمر كثيرًا من بيفرلي لتصل إلى غرفتها في الطابق الثاني وتضيء طريقها بهاتفها الخلوي. فتحت الباب بمفتاحها وأغلقته خلفها.

جلست على الفراش في الغرفة المعتمة وأخرجت هاتف زوجها من جيبها ونظرت إليه. لقد رأته يستخدم هاتفه مرات لا تحصى، ودائمًا ما يفعل الحركة نفسها بسبابته: سحبتين سريعتين إلى الأسفل وواحدة بالعرض. تحمست وجربت الاحتمال الواضح وهو حرف (H) كبير يرمز لاسم هنري بالإنجليزية، لكنها لم تنجح. أمعنت التفكير في آخر مرة رأته يستخدم هاتفه، وأدركت أنه لا بد أن يكون غيَّر كلمة المرور. لم يكن ليفعل هذا إلا إن كان لديه ما يخفيه. حدَّقت إلى الهاتف بإحباط. جربت مجموعات مختلفة من الأرقام، لكنها لم تصل إلى أي نتيجة. حركت إصبعها في حرف (T) كبير بعدها، نسبةً إلى اسم تيدي -الابن المفضل لزوجها- ففتح الهاتف. ابتهجت للحظة ثم فكرت كيف يمكن لزوجها أن يكون أحمق، وكم مرة استهان بها.

فتحت بسرعة رسائل بريده الإلكتروني، لكنها لم تجد شيئًا سوى رسائل العمل الطويلة المملة، إن خبأ عشيقته هنا فلن تجدها أبدًا. اطلعت بعدها على الرسائل النصية. بدأت من أعلى القائمة وتجاهلت الأسماء التي تعرفها ثم رأت اسم سيدة لم تعرفها. ضغطته وفتحت الرسائل لتجد صورة لها. كاد قلب بيفرلي أن يتوقف. بدأت قراءة من الرسائل من الأسفل من أحدث رسالة ثم صعدت إلى الأقدم.

لا أعلم. يجب أن أسافر هذه العطلة الأسبوعية مع الحمارة المزعجة.
متى سأراك ثانية؟

الحمارة المزعجة، هكذا يسميها أمام حبيبته. عصفت بداخلها عواصف الألم. تعلم أنها تزعجه هو وطفليها. تزعجهم لأنهم لا يصغون إليها. إن فعلوا

ما كان متوقعًا منهم من المرة الأولى، لم تكن لتضطر إلى إزعاجهم. لكن ذكَّرها وصفه أيضًا بحمار قبيح عجوز منهار، له شوارب وظهره متقوس. قاومت دموعها وواصلت القراءة.

أفتقدكِ بشدة!

هل تفتقدينني؟

أرفقت الرسالة بصورة فاضحة لها تبتسم فيها ابتسامة عريضة بلا خجل. حدَّقت بيفرلي إلى الصورة وهي مصدومة للغاية. كانت شابة ورائعة، إنها مخربة بيوت لا تعلم أي شيء عن الحياة على الإطلاق.

لا يمكنها أن تتخيل ما الذي تراه هذه الفتاة في زوجها. إن كانت تسعى وراء المال فسوف يخيب أملها. قالت بيفرلي لنفسها إن زوجها لن يتبقى معه شيء عندما تنهي علاقتها به، ثم ردعت نفسها وأخذت نفسًا عميقًا. لن تتطلَّق منه، فهذا بالتأكيد مجرد افتتان مؤقت، إحدى نزوات منتصف العمر. لقد ارتكب خطأً، خطأً يمكنهما التعافي منه. إنها لا تريد أن تفقده، فهي بحاجة إليه. رفعت الشاشة لأعلى بسرعة وهي قلقة حتى ترى بقية الرسائل من البداية، وتعلم منذ متى كان يحدث هذا. من شهر واحد تقريبًا، قابلها في حانة.

إنها زوجة رجل مبتذل.

حسنًا، صارت تعلم الآن كل شيء.

حثتها أصابعها على كتابة رسالة إلى تلك الوقحة، ولكنها ترددت ثم تذكرت أنه لا يوجد تغطية لشبكة الهاتف هنا على أي حال. وضعت الهاتف الخلوي في جيبها فقط في النهاية. ستسرع إلى أسفل لتعيده خلسة في سترة زوجها إلى أن تقرر ما الذي ستفعله. قررت أنها يجب أن تتعامل مع الأمر بالطريقة الصحيحة قبل أن تفتح باب الغرفة المؤدي إلى الممر.

الفصل السادس عشر

السبت، الساعة الثانية والثلث مساءً

جلس ماثيو وحيدًا في غرفته بالطابق الثاني، ولم يمسس صينية الطعام التي وضعها برادلي على الطاولة الجانبية. احتاج إلى التحدث إلى والده بشدة لكن ما من طريقة للوصول إليه. كان والده سيعلم ما يجب فعله، فهو جيد في الأزمات دائمًا.

نهض ماثيو من مقعده وذهب إلى النافذة بقلق. نظر إلى الخارج ورأى المنظر الطبيعي الجليدي بالأسفل. لا يمكنه أن يقود في هذا الطقس، قد لا يستطيع العودة إلى مدينة نيويورك. حتى وإن استطاع العودة فكيف سيبدو الأمر، أنه هرب قبل وصول الشرطة؟ لا، إنه عالق هنا في انتظار الشرطة.

***

نعس هنري بجانب النار ثم شعر بالفزع من أحد الأصوات وفتح عينيه الناعستين. كانت زوجته تهبط الدرج وتمسك بالسياج حتى نصف الدرج تقريبًا حتى بدأت تنعطف انعطافًا واسعًا لتتجنب جثة دانا عند نهاية الدرج. هناك نظرة على وجهها تجعله يشعر بالقلق.

يعلم أن هاتفه الخلوي ليس في سترته. لا يعتقد أنه أسقطه، وغير هذا لقد تتبع خطواته ولم يجده في أي مكان، لكن عندما رأى التعبير الذي اعتلى وجه زوجته، أدرك الأمر. هاتفه معها، وهذا يعني فقط أنها شكت في حقيقة ما بينه وبين جيلي. تساءل إن كانت استطاعت معرفة كلمة مروره.

قال لنفسه (يا إلهي) -بضجر- وهو يشاهدها تقترب منه. قد يكون من الأفضل أن يخرج الأمر إلى النور. ستفهم الآن أن عليها أن تدعه يرحل. ستستاء في البداية، ولكنه يحب امرأة أخرى. بيفرلي لديها وظيفة جيدة وستتعامل مع الأمور. سيكون الأمر صعبًا عليهما –سيصبح أصعب عليها بالطبع– لكنه سيعود ليقف على قدميه وستصبح حياته جيدة مرة أخرى.

قد يكرهه الأطفال لبعض الوقت، لكنهما سيتجاوزان ما حدث، فكلٌّ من تيدي وكيت لديهما أصدقاء آباؤهم منفصلون. لم يعد الأبناء يلومون آباءهم على الطلاق هذه الأيام حتى –إنهم ينتظرونه فعليًّا- بل إنهم يستغلون الأمر ويلعبون على شعور والديهم بالذنب ليحصلوا على مزيد من الأشياء التي يريدونها. استعدَّ وهي تجلس أمامه بوجه جاد.

***

ارتجف قلب بيفرلي عندما رأت هنري جالسًا هناك كأنه ينتظرها. يستحيل عليها أن تستطيع إعادة الهاتف إلى مكانه. حسنًا للغاية، سينبغي لهما أن يتحدثا عن الأمر في وقت ما، وقد يتحدثان الآن كذلك. لا مفر من الحديث، ربما هذا هو الأفضل. بدأت بيفرلي الحديث وقالت وهي تأخذ المقعد الذي أمامه وتجذبه نحوها قليلًا: «هناك ما أحتاج قوله لك».

نظر إليها زوجها وحدَّق إليها بقسوة كبيرة ثم سألها: «هل أخذتِ هاتفي؟».

خفضت بصرها إلى ساقيها لدقيقة، ثم استجمعت شجاعتها ورفعت عينيها مرة أخرى وأجابته: «أجل».

علق ببرود: «كنت أعلم».

- أردت أن أكتشف إن كنت تخونني أم لا.

انتظرت لحظة ثم تابعت: «لقد نجحت في معرفة كلمة مرورك».

نظرت إلى هنري الذي بدا متفاجئًا. حاولت أن تبتسم لكن تعبير وجهه أثار أعصابها فتلعثمت وهي تردف: «أراهن أنك لم تعتقد أنني سأستطيع فعلها، أليس كذلك؟».

رغم هذا انبغى لها أن تتابع، عليها أن تفعل هذا، لربما يرى هنري مدى سخافة علاقته الغرامية. أرادت أيضًا أن تجرحه قليلًا، فقط لتريه كم هي مجروحة بشدة. ربما أرادت أن تشعره بالخجل لكي يترك هذه الفتاة، فقالت: «لقد وجدت الرسائل التي بينك وبين... حبيبتك».

لم يرد عليها، فلم تستطع منع انزعاجها من الظهور: «لقد أنارت بصيرتي للغاية! رأيت صورتها ـ صرت أعلم حتى ما تبدو عليه من دون ملابس».

قالت بهدوء وهي تنظر إلى عيني زوجها الجالس بلا حراك: «إنها أصغر منك بكثير، أليس كذلك؟».

حاولت أن تخفي اشمئزازها وهي تتابع: «لا أستطيع أن أصدق ما تدعوانني به يا عصفورَيِ الغرام».

تسلل الغضب إلى صوتها، رغم أنها فعلت كل ما بوسعها لإبقاء نبرتها هادئة، قبل أن تقول: «الحمارة المزعجة، تدعوانني الحمارة المزعجة».

حاولت أن تنظر إلى عينيه، لكنه أشاح بنظره بعيدًا، هذا الجبان، فسألته: «كيف شعرت باعتقادك عندما علمت أنكما في علاقة من وراء ظهري، وتدعوانني الحمارة المزعجة؟ **يجب أن أسافر هذه العطلة الأسبوعية مع الحمارة المزعجة**».

لم ينظر إليها، لكنه سألها بصوت متوتر: «هل علينا أن نفعل هذا، هنا؟ ألا يمكن الانتظار حتى نعود للمنزل؟».

- في الواقع، أجل، علينا أن نفعل. لِمَ الانتظار؟ لِمَ التظاهر؟ من الجيد أن أزيح هذا عن صدري.

ثم بدأت تسترسل بعدها: «هل تعلم بِمَ أدعوك؟ أدعوك الطفل الرجل لأنك رجل ناضج يواجه الحقيقة المحزنة للشيخوخة والموت وخيبة الأمل مثلنا تمامًا، ولكن رد فعلك كان طفوليًّا وأنانيًّا مثل الكثير من الرجال في منتصف العمر، وهو أمر محزن، محزن ولا داعي له».

صمتت للحظة لتجمع أفكارها، ثم قالت: «أنت لا تحبها يا هنري، إنها مجرد مرحلة».

سكتت لتتركه يفكر في الأمر، أو على الأقل كانت تأمل أن يفكر فيه، ثم تابعت: «تعتقد أن بإمكانك الهرب مع هذه السيدة الصغيرة وكل شيء سيكون رائعًا. ستنتقل إلى شقتها، وربما تشتري لنفسك سيارة مكشوفة. لن تقود شاحنتك مرة أخرى لتصطحب الأطفال إلى مباريات كرة القدم ثلاث ليالٍ في الأسبوع! سترى الأطفال في العطلات الأسبوعية –عندما يحلو لك الأمر– وتتخلف عن دفع النفقات المعيشية مثلما يفعل أغلب الرجال. ستكون حياتك كلها عبارة عن مرح وعشاء بالخارج وعطلات من دون أي التزامات. حسنًا، فكِّر مرة أخرى لأن هذه ليست الطريقة التي ستؤول إليها الأمور».

انتظرت دقيقة ليفكر في هذا الكلام أيضًا، ثم صمتت للحظة طويلة وقالت بعدها بنبرة أكثر استرضاءً: «هذا لن يدوم. سوف تسأم منها، سوف تفتقدني وتفتقد طفلينا. لن يظل معك مالٌ كافٍ. ستندم، أنا متأكدة من هذا».

رفع زوجها بصره ونظر إليها في النهاية، فقالت: «لا تدمر ما بنيناه يا هنري، انسَ أمرها».

اعتقدت بيفرلي أن هذه فرصته ليختارها. انتظرت وهي تحبس أنفاسها، لكنه لم يقل شيئًا على الإطلاق. شعرت بقلبها يسقط كجسم داخل برميل يقع من أعلى الشلالات.

تذكرت فجأةً ما شعرت به مساء البارحة عندما وصلا هنا إلى الفندق، يبدو هذا منذ زمن بعيد الآن. كم كانت حمقاء، كم كانت مخطئة عندما اعتقدت أنهما ابتعدا عن بعضهما بعضًا فقط، وبحاجة إلى قضاء بعض الوقت معًا ليتذكر كل منهما ما أحبه في الآخر. تذكرت كيف لم يصعد معها إلى الغرفة حتى وهي تحمل الأمتعة، وكيف بقي هنا بالأسفل، في الردهة، ينظر إلى الرحلات حتى يظلا مشغولين ولا يكون لديهما وقت للتفكير، أو للتحدث.

تذكرت كيف نظر إليها وهي ترتدي ملابس نومها الجديدة. كان يعلم طوال الوقت أنه يحب امرأة أخرى. حسنًا، هي لن تقبل بهذا. الافتتان ليس حُبًّا، سيحتاج إلى بعض الوقت فحسب حتى يعود لرشده. إنه نوع من أنواع جنون منتصف العمر وسيعود إليها مرة أخرى. سيصبح كل شيء على ما

يرام. لا بد أن تكون صبورة، هذا كل ما في الأمر، فقالت له: «فكِّر في كلامي يا هنري».

نهضت وسارت ببطء في طريقها إلى غرفتها لتترك هنري وحده بجانب النار.

السبت، الساعة الثالثة والنصف مساءً

صارت بطارية حاسوب كانديس المحمول تلفظ أنفاسها الأخيرة. تعالت لعناتها في المكتبة الفارغة ثم حفظت عملها مرة أخرى وقررت بعدها أن تغلقه، بينما لا تزال أمامها فرصة لذلك. تعين عليها الحفاظ على بعض من شحن البطارية في حال احتاجت الرجوع إلى شيء في مسودتها. كان يجدر بها أن تطبع المسودة وتحضرها معها، تبًّا. لن تقترف هذا الخطأ أبدًا مرة أخرى. قطعت وعدًا على نفسها بأن تطبع المسودة دائمًا وتأخذها معها حينما تذهب إلى أي مكان، فهي تحظى بوقت قليل للغاية لتعمل من دون إزعاج.

خفضت بصرها إلى حاسوبها المغلق وفكرت فيما ستفعله الآن. افترضت أنه سيتعين عليها أن تكتب بخط يدها. من المؤسف للغاية أن خط يدها يصعب قراءته حقًّا، حتى هي تواجه صعوبة في قراءته. لم تجلب معها أي أوراق بالطبع، إنه عالم لا ورقي. ها! نظرت إلى أعلى وجابت الغرفة من حولها بعينيها. نهضت عن مقعدها القريب من النار واقتربت من المكتب الموجود عند زاوية الغرفة المجاورة للباب. لا بد أن هذا المكتب قطعة أثاث أصلية في الفندق إذ يبدو عمره من عمر المكان تقريبًا. بدا سطحه كما لو كان جديدًا تقريبًا، عليه فقط نشافة من الجلد قديمة الطراز تعلوها فتاحة رسائل أنيقة. فتحت الدُرج العلوي بسهولة. لم تجد بداخله إلا مشبك ورق وحيدًا فقط. جربت فتح الأدراج الجانبية بعدها، بينما ازداد إحباطها وانخفضت آمالها بنفس المقدار. تمتمت بصوت خافت: «مملكتي مقابل ورقة وقلم». لم تجد شيئًا، تبًّا.

تذكرت بعدها طاولة الكتابة التي في غرفتها. كانت هناك بالتأكيد حافظة أوراق على جانب المكتب بها ورق ملاحظات كبير الحجم ومطبوع عليه

ترويسة الفندق. بالطبع! أغلب الفنادق توفر قلمًا وورقًا للملاحظات، وإن نفد منها الورق يمكنها أن تستعير المزيد من النزلاء الآخرين؛ فلن يستخدمه أحد غيرها. تمنت ألا تضطر إلى الاعتماد على الريشة والحبر في هذا الفندق الغريب.

أسرعت بالخروج من المكتبة وهي تحتضن حاسوبها المحمول الذي لا يزال دافئًا فشعرت بالامتنان. التفتت إلى يمينها متجهة إلى الردهة والدرج الرئيسي، لكنها تذكرت وقتها وجود درج للخدم بالقرب من المطبخ. عادت بدافع الفضول ووجدت الممر الممتد بطول الجانب الخلفي من الفندق. وجدت باب درج الخدم في نهاية الممر أمام باب المطبخ المغلق فدفعته لتفتحه.

أصابتها صدمة من مدى ظلام بئر الدرج الذي كان أشبه بالسقوط في قاع بئر حقيقية. فكرت في العودة ثم أخرجت هاتفها من جيبها وأضاءت الكشاف بعدما لاحظت أن بطارية هاتفها أيضًا قد أوشكت على النفاد وتقبلت الأمر الواقع. صعدت الدرج الضيق الخشبي البسيط لتشق طريقها إلى الأعلى ببطء وهي تشعر بالتوتر. ربما كان من الأفضل أن تعود إلى ردهة الفندق وتصعد على الدرج الرئيسي بعد كل شيء، سواء أكانت في نهايته جثة مغطاة بملاءة أم لا.

وصلت إلى الأعلى في النهاية وفتحت الباب المؤدي إلى الطابق الثالث. شعرت بالراحة عندما وجدت نفسها في الممر المعتم الذي لم يضئه سوى نافذة ضيقة في آخره. كانت غرفتها رقم 306 في الجانب الآخر من الممر. أسرعت لتُدخل المفتاح في الباب ودلفت إلى الغرفة من دون أن تهتم بغلق الباب لأنها تنوي الحصول على ما تريد والعودة للمكتبة في الأسفل مرة أخرى، حيث نار المدفأة، فالبرد هنا يؤلم عظامها.

وقعت عيناها على طاولة الكتابة الواقعة أسفل النوافذ في الجانب الآخر من الغرفة ورأت حافظة ورق الملاحظات. عبرت فوق السجادة السميكة -سميكة للغاية لدرجة تكتم صوت الخطوات بالكامل- وفتحت الحافظة بلهفة. احتوت على قلم وعدة ورقات كريمية اللون جيدة الجودة مقاس 11 × 8 فابتسمت براحة.

الفصل السابع عشر

السبت، الساعة الرابعة مساءً

بدأ النزلاء يتجمعون في الردهة مرة أخرى في الرابعة تقريبًا، وهم تواقون لاحتساء الشاي. واصلوا بذل قصارى جهدهم ليتجاهلوا الجثة التي بنهاية الدرج ويتجاوزوها بسرعة في طريقهم إلى غرفة الطعام، بينما لا يزال ماثيو مختفيًا. خبز جيمس كعكًا ليتناوله النزلاء مع الشاي والقهوة، واتفق الجميع على أنها لذيذة.

ارتشفت جوين الشاي الساخن وهي ممتنة لدفء الكوب بين كفيها، وتساءلت إذا ما كانت ستتحدث مع ديفيد. قال هنري: «أقترح أن نذهب جميعًا لنتفقد منزل الجليد فالطريق إليه مفتوحة. لقد ألقيت عليه نظرة خاطفة وهو مميز حقًّا».

قال له برادلي: «شكرًا لك على عملك الجاد بمنفاخ الثلج».

ذهبت جوين مع بقية النزلاء ليأخذوا ستراتهم وأحذيتهم في الجزء الأمامي من الفندق، ثم اتبعوا برادلي جميعًا إلى نهاية الممر الخلفي وعبروا من مخزن الحطب -الذي تميَّزَ برائحة رائعة من الخشب المقطوع حديثًا- حيث يضعون معداتهم الخارجية. فتح برادلي الباب فهبت رياح قارسة داخل

مخزن الحطب. خرج برادلي وهنري أولًا ثم تبعهما إيان ولورين. اتجه ديفيد إلى الخارج بعدهم ثم تقدمت بيفرلي أمام جوين لتتبع ديفيد.

كانت جوين آخر من خرج خلف رايلي وأغلقت باب مخزن الحطب وراءها. كانت السماء غائمة والرياح عنيفة. لم ترَ جوين الكثير أمامها مباشرة -إذ رأت ظهر رايلي فقط- وهم يسيرون واحدًا تلو الآخر لنهاية الطريق المفتوحة، وعلى جانبيها ضفاف من الثلج. رفعت بصرها إلى الغابة التي بعد الممر حيث تسحق الرياح الأشجار. قالت رايلي شيئًا بعدما التفتت برأسها إليها، ولكن جوين لم تسمع تلك الكلمات قبل أن تفرقهما الرياح بعيدًا وتتوها عن بعضهما بعضًا. كان طرف أنفها متجمدًا بالفعل، لكن على الأقل لا توجد أشجار كبيرة لتنهار بين مخزن الحطب ومنزل الجليد. وقفوا أخيرًا واتسع الممر ليؤدي بهم إلى المنطقة الممهدة أمام منزل الجليد فصار بإمكانها الرؤية.

بدا منزل الجليد مثل كوخ الإسكيمو أو كوخ نصف أسطواني متنقل مصنوع من الثلج. رغم ذلك صُنعت الواجهة من كتل جليدية كبيرة مقطعة ومُركَّبة معًا وهناك باب خشبي من ضلفتين مُثبت إلى الجليد بطريقة ما. تفقدت جوين البناء باهتمام. كان الباب هو الشيء الوحيد الذي ليس من الجليد أو الثلج. قال لهم برادلي وهو يخرج من فمه أنفاسًا تشكَّلت كالسحاب: «يجب إعادة بنائه كل شتاء ومن ثم يذوب».

قالت بيفرلي له بوجه يقرصه البرد: «هذا عمل شاق على شيء يذوب فحسب».

- لكن ليس شاقًّا على جماله، فهو يبدو مختلفًا كل عام، لأنهم يصنعون تصميمات ومنحوتات مختلفة. انتظري حتى تري المكان بالداخل.

قال إيان لبرادلي: «إذن أنت لا تصنع هذا بنفسك».

- بالطبع لا.

ثم فتح برادلي الباب ودلف الجميع إلى المنزل.

شهقت جوين إذ كان الأمر أشبه بالدخول إلى عالم سحري براق ومتلألئ. نُحت البار المقوَّس من الجليد الشفاف تحت سقف مقبب. وُضعت أمامه

العديد من مقاعد البار المنحوتة من الجليد أيضًا، ومن خلفه استقرت الزجاجات على أرفف جليدية، تلألأت في الضوء الاستثنائي.

وقف برادلي بقبعته الحمراء خلف البار في بقعة تشرق فيها الألوان وقال: «أرشح لكم بشدة فودكا مارتيني».

انتظرت جوين مشروبها ونظرت في أرجاء المكان. يوجد بالإضافة إلى البار نفسه طاولات صغيرة مستديرة ومقاعدها المقوسة مصنوعة من الجليد أيضًا. رغم كل ذلك، فإن التمثال الذي فوق البار هو ما أذهلها. كان منحوتًا لطائر جارح يفرد جناحيه ويمد قدميه -حتى المخالب كانت ممتدة- كما لو كان على وشك الهبوط على فريسته. تميز بحجمه الضخم -إذ بلغ طوله طول البار بالكامل- وبدا كأنه يحوم فوق برادلي وهو يمزج المارتيني.

ظهر ديفيد بجانبها وأعطاها بيديه اللتين ارتدى فيهما قفازين كأسًا كبيرة من المارتيني. وجدت نفسها متوترة لأنها تواجهه الآن ثم قالت: «لم أرغب في القدوم إلى هنا من دون معطفي الشتوي».

كان بإمكانها الشعور بنظرات رايلي الموجهة إليها، المراقبة لها، لكنها لا تهتم. علق ديفيد: «هذا جميل للغاية».

- أجل، أليس كذلك؟

همس إليها: «لم أكن أتحدث عن منزل الجليد».

شعرت أنها تذوب حتى وسط كل هذا البرد. رايلي مخطئة، لا يمكن أن يكون ديفيد الرجل الذي تعتقده. رايلي مشوشة، مشوشة بشأن الكثير من الأشياء.

أخذ ديفيد جرعة من كأس المارتيني الخاصة به وهو يشاهدها. احمَرَّ وجه جوين وقالت بصوت أعلى: «ينبغي لـ «كانديس» أن ترى هذا حقًّا».

قال لها برادلي من وراء البار: «إنها في المكتبة وطلبت ألا يزعجها أحد».

- أعتقد أنها ستندم على تفويت البار الجليدي، إنه رائع للغاية.

ابتسم برادلي، وقال وهو يخرج من وراء البار: «أعتقد أنكِ محقة، سأعود للداخل وأرى إن كان باستطاعتي إقناعها بالخروج».

قال ديفيد وهو يلومها برفق: «استرخي».

ابتسمت له بتوتر ثم أخذت رشفة من كأسها. خفض صوته وقال: «أعتقد أن علينا إيجاد وقت ومكان مناسبين لنتحدث، كلانا فقط».

أومأت له، فَهُما بالتأكيد لا يمكنهما التحدث الآن في هذا المكان المغلق ومن حولهما الكثير من الناس، كما أن رايلي تنظر إليهما، لكن عليهما أن يتحدثا قريبًا. تطلعت لهذا الحديث وخشيت منه في آن واحد.

***

خرج برادلي إلى الرياح العاتية مرة أخرى واتجه إلى مخزن الحطب وهو يخفض رأسه ويرفع ياقة معطفه ثم اختفت ابتسامته.

قال لنفسه في تعب إنه دائمًا ما يكون هناك الكثير لإنجازه لأنهم يملكون الفندق. إنه عمل لا نهاية له، إذ يظل يركض في أنحاء المكان ويتعامل مع الناس بأسلوب لطيف. هذه مجموعة مهام ممتعة بما يكفي، لكنه لا يرغب في العمل بالفندق إلى الأبد فيقدم المشروبات والوجبات وينظف وراء الناس ويظل رهن إشارتهم. يريده والده أن يتولى أمر الفندق يومًا ما، لكن برادلي لا يريد أن يظل عالقًا هنا في الريف بعيدًا عن كل شيء. بقدر ما يحب برادلي هذا المكان، ويحب والده، فإنه يتوق إلى الرحيل. لا يريد أن يصبح عالقًا هنا ليقدم الطعام لأناس معهم مالٌ أكثر منه، ولديهم حرية الذهاب إلى أي مكان يريدونه. كما أنه لا يحب الطهي على عكس والده.

رغم هذا، يشعر بالذنب كلما فكر في الرحيل. لا يمكنه أن يترك والده هنا بمفرده. يعلم أن والده قلقٌ، دائم الشعور بالقلق. إن باع والده الفندق وتقاعد سيصبح برادلي وقتها حُرًّا.

لم تكن كانديس هناك عندما نظر في المكتبة. ألقى نظرة سريعة في أرجاء الطابق الأول، ولكنه لم يجدها. لا بد أنها تأخذ قيلولة في غرفتها، ولكنه لم يشعر برغبة في الركض طابقين على الدرج ليكتشف مكانها. نَسِيَ للحظة أمر كانديس لما لديه من خطط كبيرة. سوف يجمع بعض المال ثم... سمع والده يناديه من المطبخ ويقول: «برادلي، أهذا أنت؟».

دلف برادلي إلى المطبخ وأجابه: «أجل».

- أحتاج إلى مساعدتك في إعداد الطعام. هل يمكنك البدء بالتقطيع؟

قال بغضب: «لا، لا يمكنني».

نظر إليه والده في دهشة، فتابع: «يفترض بي أن أقدم المشروبات في منزل الجليد».

نظر إليه والده عن قرب أكثر وسأله: «ما خطبك؟».

ثم قال بحذر: «أتمنى ألا ينبغي لي أن أذكّرك بشأن عدم تجاوز حدودك مع نزلائنا».

وهذا شيء آخر لا يتحمله برادلي، أن يذكره أحد بمقامه. شعر بغضبه يثور، فلم يجب وأغلق الباب بقوة خلفه في طريقه إلى الخارج فحسب.

***

كان ديفيد يفكر كم تبدو جوين جميلة في سترة تزلجها ذات اللون الأحمر الناصع وقبعتها المخططة بالأحمر والوردي، عندما عاد برادلي وقال: «لم تكن في المكتبة ولست متأكدًا أين هي».

انتهى الجميع من احتساء مشروباتهم وصاروا يشعرون بالبرد فقرروا العودة إلى داخل الفندق. بدأ الظلام يحل وقت مغادرتهم لمنزل الجليد. ظل ديفيد على مقربة من جوين وهم يسيرون واحدًا تلو الآخر في الممر المؤدي إلى مخزن الحطب في ظلام الغروب المتزايد المصحوب برياح صارخة.

قالت رايلي بمجرد أن دلفوا إلى مخزن الحطب: «هذا ما يبدو عليه صوت الرياح على جبل إيفرست».

سألها هنري: «هل ذهبتِ إلى هناك؟».

- لا، لكني شاهدت فيلمًا وثائقيًّا عنه.

عادوا بامتنان إلى نار الردهة، وظل بعضهم مرتديًا قبعاتهم وقفازاتهم للشعور بالدفء. وقفت جوين أمام ألسنة النار وهي تفرك يديها معًا.

فكر ديفيد أن يطلب منها الذهاب معه إلى مكان آخر يمكنهما التحدث فيه. ربما يجدر بهما الذهاب إلى البار ويمكنه أن يشعل النار لهما ويصبحا بمفردهما. ذهب برادلي إلى المكتبة مرة أخرى ليرى إن كانت كانديس هناك

بينما وقفت لورين أمام مكتب الاستقبال ومالت إليه لتبحث عن قلم لحل الكلمات المقاطعة.

عاد برادلي إلى الردهة وهو يهز رأسه وقال: «ليست هناك، لقد نظرت في أرجاء المكان بالأسفل هنا. لا بد أنها في غرفتها، سأذهب وأتفقَّدها».

شعر ديفيد بشيء من القلق. تساءل لماذا كانديس ليست موجودة، وقد قالت إنها ستبقى، فقال: «أنا قادم معك».

وقالت جوين: «أنا سآتي أيضًا».

لم يُظهِر أحد آخر أي اهتمام في الصعود على هذا الدرج المظلم، فأخذ برادلي أحد المصابيح الزيتية ذات الشعلة المرتجفة من على منضدة القهوة واستخدمه لإضاءة طريقهم. لقد أصبحت السماء مظلمة للغاية في الخارج الآن، ولم يعد ينبعث أي ضوء على الإطلاق تقريبًا من النوافذ.

رفع برادلي المصباح لأعلى وتبعه ديفيد وجوين. ألقى المصباح الزيتي بظلاله على الجدران المغطاة بالورق الداكن في طريقهم إلى أعلى. أضاء ديفيد كشَّاف هاتفه الخلوي ليزودهم بمزيد من الضوء يسيرون فيه، ولم يعد يتبقى الكثير من الشحن في بطاريته.

قال برادلي وهم يصعدون الدرج: «لقد رأيتها بعد الغداء عندما ذهبتُ لأخذ الصينية وأخبرتها أننا سنقدم الشاي في تمام الرابعة».

ثم أضاف: «قالت لي إنها ستخرج إن أرادت الشاي، لكن بخلاف ذلك لا تريد أن يزعجها أحد. من المؤسف حقًّا أنها فوتت رؤية البار الجليدي، ولكن يمكننا دائمًا الذهاب إلى هناك ثانيةً».

وصلوا إلى الطابق الثالث الذي بدا من وجهة نظر ديفيد أكثر ظلمة وكآبة من الطابقين السفليين وكان المكان باردًا للغاية. وقعت غرفة كانديس على الجهة اليسرى من الدرج أمام خزانة التدبير المنزلي. طرق برادلي الباب، لكنه لم يجد استجابة من الداخل فطرق الباب مرة ثانية. ازداد قلق ديفيد ليصبح خوفًا خفيفًا، لكنه حاول ألا يظهره.

التفت برادلي إليه، وبدا عليه القلق وهو يسأله: «أتعتقد أنه ينبغي لنا أن نفتحه؟».

تردد ديفيد ثم سأله: «هل يوجد أي مكان آخر قد تكون فيه؟».

- لقد بحثت في كل مكان آخر.

أومأ ديفيد وأعطاه برادلي المصباح ليجد المفتاح الصحيح بين مجموعة المفاتيح. أدخله في القفل وفتح الباب ببطء، بينما رفع ديفيد المصباح ليرى كانديس مستلقية على الأرض ووشاحها مشدود بشدة حول رقبتها.

السبت، الساعة الخامسة وخمس وثلاثون دقيقة مساءً

رأت جوين في ضوء المصباح الزيتي المتوهج جسدًا مُلقى على الأرض ولمحة من وجه شاحب والوشاح الجميل يلتف حول رقبة كانديس فصرخت. وجدت ديفيد يمسكها بإحدى ذراعيه القويتين ويجذب رأسها بسرعة نحو صدره حتى لا ترى كانديس، لكن الأوان قد فات. شعرت بالحمض يأكل معدتها والعصارة الصفراء تصعد في حلقها. ارتجفت جوين على صدر ديفيد وحاولت ألا يصيبها الإعياء وهي تشعر بالدوار. لقد بدا موت دانا كحادثة على الأقل. لم تسمح جوين لنفسها أن تفكر حتى في أن هذا قد يكون قتلًا متعمدًا رغم ما قاله ديفيد. لم ترد تصديق هذا، لكن لا مجال للشك هنا. هناك من خنق كانديس بوشاحها.

سمعت صوت خطوات أقدام تركض وتتعثر على الدرج المظلم وهي تشعر بالخوف يملؤها.

الفصل الثامن عشر



سمعت رايلي صرخة جوين، ورغم خوفها الحالي طوت الدرج أسفلها لتصعد، والآخرون من خلفها. وصلت عند مدخل غرفة كانديس وأول ما رأته هو وجه جوين المدفون في صدر ديفيد على يمينها ثم رأت وراءهما جثة على الأرض. صرخت صرخة مخنوقة وشعرت كأن كل أنفاسها غادرت جسدها.

ازدحم بقيتهم حولها في محاولة منهم للرؤية. كانت كانديس ميتة بوضوح. دلفوا من مدخل الباب إلى الغرفة بالتدريج، وتنحت رايلي جانبًا لتدعهم يدخلون. شعرت بقلقها يرتفع، وعقلها يحاول يائسًا أن يستوعب ما معنى هذا. رأت جوين تبتعد عن ديفيد ليضع بعدها المصباح الزيتي على المكتب ويخلق بؤرة من الضوء حول كانديس كأنها ممثلة على المسرح تحت دائرة الضوء وهي لا تبدو حقيقية.

لم تتحمل رايلي النظر إلى الجثة أكثر من ذلك، فوجهت انتباهها إلى الآخرين بدلًا منها.

حدَّق برادلي إلى كانديس كأنه يرى شبحًا، وأمسك بطرف المكتب ليتمالك نفسه، أمَّا ديفيد فزم شفتيه وبدا كئيبًا. كانت جوين بجانبه تضغط بيدها بقوة فمها، وتحاول ألا تتقيأ. تمتم إيان وهو يقف متصلبًا في مكانه: «يا إلهي».

دفعته لورين بعيدًا عن الجثة لترى، ثم تحركت لتفك الوشاح وتلمس رقبة كانديس. أمر ديفيد الجميع بقسوة: «تراجعوا جميعًا، ليس هناك ما يمكننا فعله لها».

جلست لورين وساقاها تحتها، ورفعت بصرها بوجه شاحب مصدوم. سمعت رايلي صوت بكاء فالتفتت لترى هنري وبيفرلي واقفين في الغرفة عند عتبة الباب وينظران إلى كانديس. كانت بيفرلي تحاول بوضوح أن تتمالك نفسها. ظهر الآن ماثيو في ظلام المدخل، بطوله وشعره الأشعث، ومن خلفه جيمس الذي انقطعت أنفاسه.

وجَّهت رايلي انتباهها إلى الجثة مرة أخرى، وأرغمت نفسها على النظر إليها. استلقت كانديس على بطنها واتجه رأسها إلى اليسار. بدا وجهها شاحبًا على السجادة الداكنة وعيناها متسعتان عن آخرهما في دهشة. إنها... مروعة، ومخيفة.

لا يمكن العودة من الموت.

بدأ يراودها شعور مألوف من الذعر، أغمضت عينيها بسرعة وتنفست بعمق في محاولة منها لعدم الاستسلام لذلك الشعور، ثم فتحتهما مرة أخرى. أصبح الجميع في الغرفة الآن، متجاهلين أمر ديفيد بالبقاء بعيدًا. تساءلت بصورة عابرة من الذي سيحافظ على النظام الآن؛ فهي تعلم مدى السرعة التي يمكن للأشياء أن تنهار بها. لقد رأت ذلك من قبل.

نظرت رايلي الآن إلى جوين التي ما زالت تقف بالقرب من ديفيد وتنظر إلى السيدة المتوفاة أيضًا. تجعد وجهها كأنها على وشك البكاء. اعتقدت رايلي أن جوين حساسة للغاية على أن تمر بهذا.

قال ديفيد بهدوء: «لا بد أن نتركها كما هي، ستتعامل الشرطة مع الأمر عندما تصل إلى هنا».

سألته لورين بصوت متوتر: «ومتى سيحدث هذا؟».

- لا أعلم.

قالت لورين بصوت حاد: «كيف لك أن تكون بهذا الهدوء؟ لقد قُتلت! نحتاج إلى الاتصال بالشرطة!».

صاح فيها هنري: «وكيف سنفعل هذا حقًّا؟».

قالت غاضبةً: «لا أعلم! لكن من الأفضل أن نفكر في حل».

***

رأى هنري منظر الجثة مزعجًا للغاية. لا يمكنه تحمل النظر إليها أكثر من هذا لذا تفقَّد ماثيو بدلًا منها. لم يرَه أحد من وقت اكتشاف جثة دانا أولًا في وقت مبكر من هذا الصباح. لقد أخرجته صرخة جوين من عزلته في غرفته. ظن بعضهم أن ماثيو دفع خطيبته من أعلى الدرج وهذا يغير الأمور حسبما يعتقد. نظر إلى ديفيد نظرة خاطفة، هذا المحامي الذي يبدو عليه الهدوء من الخارج يشعر بالانزعاج حتمًا.

حقيقة أن كانديس قُتلت تعني أنه يوجد قاتل هنا في هذا الفندق، بينما الشرطة ليست في طريقها إلى هنا.

نظر هنري حوله إلى بقية أفراد التجمع الصغير واستطاع رؤية أن الجميع يفكرون في الشيء نفسه. كان الخوف واضحًا عليهم.

سمع بيفرلي تتنفس من أنفها بصعوبة بجانبه. تساءل هنري فقط عن مدى الخطر الذي هم فيه، ثم خطرت على باله فجأة فكرة مروعة. أدرك أنه لو كانت بيفرلي فقط هي من خُنقت بدلًا من كانديس لكانت كل مشكلاته قد حُلت. إنها المرة الأولى التي يدرك فيها أنه سيصبح حُرًّا إن كانت زوجته ميتة فقط. هذا يجعله يشعر بشعور غريب ويصيبه بالقلق. سرح في خيال عابر عن العثور عليها مخنوقة في غرفتهما، ولكن ديفيد قطع عليه هذا الخيال عندما قال: «قد يكون واحدًا مِنَّا».

ساد صمت رهيب ثم هزت بيفرلي رأسها في عدم تصديق وقالت: «بالتأكيد لا».

وعندما لم يجبها ديفيد بدأت تعترض: «أنت تظن أن واحدًا **مِنَّا** هو القاتل؟»

- هذا وارد.

أصرت بيفرلي على رأيها وهي تنظر بشدة إلى البقية في أرجاء الغرفة: «لكن هذا كلام عبثي، يبدو أنك تظن أن أي أحد تقريبًا قادرٌ على القتل. القتلة ليسوا أناسًا عاديين».

ثم نظرت بيفرلي بيأس إلى الآخرين في الغرفة.

اتفق هنري مع زوجته بصمت؛ فكرة أنه واحد منهم بدت سخيفة، كأنها مأخوذة من رواية. كان على استعداد أن يصدق احتمالية قتل ماثيو لخطيبته في نوبة من الغضب. لكنه لا يعتقده قتَل كانديس أيضًا بدم بارد.

قال هنري لنفسه بعدها إن ديفيد قضى الكثير من الوقت مع المجرمين. لم يستطِع تصور أن أيًّا من رفاقه قد يدفع بتلك الشابة إلى أسفل الدرج، ثم يحطم جمجمتها في الدرجة الأخيرة. ولا يمكنه تخيل أي منهم يخنق كانديس. لا بد أن هناك شخصًا آخر هنا. نظر حوله بقلق في الظلام المتقطع.

السبت، الساعة الخامسة وخمس وأربعون دقيقة

اقترح ديفيد وهم يقفون بجانب جثة كانديس: «علينا أن نفتش الفندق».

التفت الجميع له في فزع. علم ديفيد أن الجميع في حالة صدمة الآن وهم لا يفكرون بشكل واضح على الأغلب فقال بصورة صريحة: «مات شخصان، بل قُتل شخصان. قد لا نكون الوحيدين الموجودين هنا».

نظرت إليه وجوه خائفة من بين الظلال، ثم همست لورين: «أيًّا كان من فعل هذا فلا بد أنه مجنون».

تمتم جيمس: «لا يوجد أحد آخر في الفندق».

- ولا عمال آخرون لا نعرف بشأنهم؟

هز جيمس رأسه وأجاب: «لا، أنا وبرادلي فقط، لم يتمكن الآخرون من القدوم بسبب العاصفة».

أردف ديفيد: «ربما هناك شخص معنا دون أن ندري».

قال له برادلي وهو يهز رأسه نافيًا: «لا، فالغرف تبقى مغلقة».

- هذه الغرفة كانت مغلقة ويوجد جثة بداخلها. كيف حدث هذا؟

صمتوا جميعًا للحظة، ثم اقترح ماثيو وهو يفكر بلا شك في دانا التي وجدها ميتة خارج غرفتهما لسبب غير مفهوم: «ربما فتحت الباب لأحد طرق عليه».

قال ديفيد وهو يفكر بصوت عالٍ: «هذا وارد، لكن بالحكم على وضعية الجثة فهي كانت تقف أمام مكتبها وتدير ظهرها للباب عندما خُنقت. إمَّا أنها فتحت الباب لأحد تعرفه وتثق به وإمَّا فتحته لأحد تعلم على الأقل من هو – واحد مِنَّا ربما- وشعرت بارتياح كافٍ لتدعه يدخل وهي تدير ظهرها له أو أحد فتح الباب دون أن تدرك ذلك».

علق جيمس: «لكن هذا مستحيل، فالمفاتيح خلف مكتب الاستقبال».

ثم تغير لون وجهه كأنه أدرك ضعف حجته.

وضَّح ديفيد قائلًا: «ولكن ليس هناك شخص ما يقف هناك دائمًا، ليس في هذه العطلة الأسبوعية».

فقال هنري: «قد يكون أحدهم أخذ المفتاح إن لم يكن في الردهة من يراه».

سأل إيان: «لكن ألم تسمع كانديس الباب وهو يُفتح؟».

رفع ديفيد يده ليطلب منهم الهدوء، ثم أجاب صوت دوي الرياح العنيف في الخارج عن سؤال إيان. قالت لورين في استياء بالغ: «يا إلهي».

اندفعت رايلي بهستيريا أخفتها بالكاد لتقول دون تفكير: «أنت تقترح أن هنا أحد غيرنا في هذا الفندق؟ قاتل؟ يمكنه الدخول إلى غرفنا؟».

كانت عيناها غاضبتين. نظرت جوين إليها في قلق وقالت بسرعة: «ربما كان الباب مفتوحًا بالفعل، قد تكون تركته هي مفتوحًا، ربما جاءت إلى هنا حتى تجلب شيئًا فحسب».

فقال ديفيد: «ربما».

عمَّ الصمت لفترة طويلة إذ ظل الجميع يفكرون في وضعهم ثم قال ديفيد مرة أخرى: «أقترح أن نفتش الفندق كله بما فيه غرفنا، إلا إذا كان هناك من يعترض على كلامي، أليس كذلك؟».

فحص وجوههم جميعًا بحرص؛ أراد أن يعلم إن كان أحدهم يخفي أي شيء، وأراد أيضًا أن يكتشف إن كان هناك شخص آخر هنا، شخص لا يعلمون عنه شيئًا.

نظر النزلاء إلى بعضهم بعضًا في قلق، لكن لم يعترض أي أحد. سأل برادلي بصوته المرتجف: «أينبغي أن نغطِّيَها؟».

رد ديفيد: «لا، اتركها كما هي».

ثم أضاف: «سيكون من الأفضل غالبًا أن نفتِّش الفندق، بعض مِنَّا فقط، بينما يعود البقية إلى الأسفل ويظلون بجانب النار. سأحتاج جيمس وبرادلي معي».

أسرعت رايلي بقولها: «سوف أعود إلى الأسفل».

فأردفت لورين: «أنا آتية معكِ، لا أرغب في التجول في هذا المكان وهو مظلم».

قال هنري: «أنا أريد أن أساعد في البحث».

ثم التفت لزوجته وتابع: «لماذا لا تذهبين إلى الأسفل وتبقين دافئة مع الآخرين؟».

- لا، أريد أن أكون معك.

ليس فقط لأن وجودها مع زوجها هو السبيل الوحيد لشعورها بالأمان، لكن أيضًا لأن زوجها هو الشخص الوحيد الذي تعرفه هنا.

التفت ديفيد لماثيو وقال: «وماذا عنك؟».

قال ماثيو على نحو حاسم: «أنا سأنضم إلى فريق البحث».

توجه ديفيد إلى جوين بالحديث وسألها: «لِمَ لا تذهبين مع رايلي والبقية؟».

شعر بالقلق عليها، فقد بدت خائفة للغاية ومتأثرة بشدة. أومأت له وابتعدت عنه، ثم شاهد ديفيد إيان يرافق لورين، وجوين، ورايلي خارج الغرفة في طريقهم إلى الردهة.

***

اتبعت رايلي إيان ولورين وجوين إلى خارج غرفة كانديس. ظلت قريبة للغاية من جوين لدرجة أنها داست تقريبًا على كاحليها. بدا الظلام حالكًا في الممر رغم وجود بصيص من الضوء أمامهم قادم من هاتف إيان، وهذا لأنها سارت في نهاية المجموعة الصغيرة. حاولت رايلي محو صورة جسد

كانديس الميت من عقلها وهم يشقون طريقهم بصمت إلى أسفل الدرج من الطابق الثالث، ولكنها لم تستطِع السيطرة على أفكارها. سيطر عليها خيالها فتصورت كيف كانت لحظات كانديس الأخيرة. جاءها أحدهم ليجدها في هذه الغرفة الباردة المظلمة وأنهى حياتها. تخيَّلت ما هو شعور شد ذلك الوشاح حول عنقها بقوة لدرجة تمنعها من التنفس. لا بد أنها عانت...

شعرت رايلي بأنفاسها تتسارع وتصير أقصر. نظرت بقلق إلى جانبها في الظلام. هذا الظلام أشبه بستارة من القطيفة حالكة السواد، فلا يمكنك رؤية ما خلفها. أدركت أنها تتخلف عن الآخرين، وأن قدميها ليستا ثابتتين على الدرج مثلهم، فأمسكت سياج الدرج بإحكام. لقد ركضت بسرعة إلى أعلى هذا الدرج قبل فترة قصيرة فقط، ولكن الآن -بعدما رأت كانديس ميتة- شعرت كأنها تسير على زجاج مكسور فتأخذ خطوة بطيئة ثقيلة تلو الأخرى. هذه ليست طبيعتها، حاولت أن تسرع وتلحق بالآخرين قبل أن يلتفوا عند بسطة الدرج ويختفي معهم شعاع الضوء الصغير.

لا يمكنها أن تتخلص من شعورها بوجود أحد آخر في الفندق، شخص يراقب كل خطوة يتقدمونها. لا بد أنه كان يراقب كانديس، والآن لقد ماتت. ربما يراقب رايلي الآن، قد يكون خلفها على الدرج وينتظر ليقتلها، يقتل الشريدة التي تركها الجميع خلفهم... شعرت فجأة أنه يراقبها وعلمت أنه خلفها، خلف تلك الستارة السوداء مثل حاصد أرواح يمد يديه نحوها.

شعرت بحركة بالأعلى وخلفها على الدرج، سمعت أحدهم، سمعت شيئًا ما فأصابها الذعر وهرعت نحو الآخرين وهي تتعثر وتتكئ بشدة على سياج الدرج. صاحت بهم: «انتظِروا!».

ثم تعثرت في جوين أمامها، لم تكن جوين على بعد كبير منها بعد كل شيء. ضمتها جوين إليها وقالت: «أنا هنا يا رايلي».

قالت رايلي لاهثة: «أعتقد أنه ربما يوجد شخص بالأعلى هناك».

توجه ضوء الهاتف إلى وجهها ليصيبها بالعمى تقريبًا، ثم تحرك بعيدًا عنها ليضيء الدرج والجدران التي خلفها، ونظر الجميع إلى الأعلى، ولكنهم لم يتمكنوا من الرؤية لمسافة بعيدة. قال إيان بحزم: «لا أعتقد أن هناك أحدًا يا رايلي».

فقالت جوين وهي تأخذ بيدها: «هيا، كدنا نصل إلى الأسفل».

***

التفت ديفيد إلى الآخرين وقال: «لنبدأ بالغرف الفارغة في هذا الطابق».

لاحظ ديفيد أن برادلي يبدو أكثر اضطرابًا من والده هذه المرة. شاهد جيمس وهو يأخذ المفاتيح من برادلي -الذي ارتجفت يداه بشكل واضح- ويفرزها. سوف يبدؤون بالغرفة المجاورة لغرفة كانديس، والتي تقع في نهاية الممر بالنسبة إلى غرفة إيان ولورين.

أدخل جيمس المفتاح في الباب بينما رفع ديفيد المصباح الزيتي ليرى جيمس ما يفعله. نظر نظرة خاطفة وراءه على بقيتهم وهم يحومون في الممر المظلم، ثم فُتح الباب، ودلف ديفيد إلى الغرفة أولًا وهو يحمل المصباح. تبعه الآخرون وهم يحملون هواتف «آيفون» لتزيد من الضوء. لم يجدوا شيئًا هناك، كانت الغرفة نظيفة، كأنها تنتظر النزيل التالي. تفقدوا الحمام وخزائن الملابس، كما نظروا تحت الفراش المرتب، لكن ما من شيء.

خرجوا من الغرفة وانتقلوا إلى الغرفة الشاغرة التالية وهي الغرفة المجاورة لغرفة كانديس من الناحية الأخرى وكانت فارغة أيضًا.

لم يجدوا شيئًا مثيرًا للقلق إلا عندما انتقلوا إلى آخر غرفة شاغرة في هذا الجانب والتي كانت على الجانب الآخر من غرفة جوين ورايلي الحالية. أدخَلَ جيمس المفتاح وفتح الباب بينما يقف ديفيد إلى جانبه بالمصباح. اعتلت وجه جيمس دهشة بينما حوَّل ديفيد انتباهه من مالك الفندق إلى الغرفة نفسها. كان أول ما لاحظه هو أن الفراش قد نام عليه أحد من قبل، فقال باقتضاب: «لا أحد يتحرك».

وقف بلا حراك وأصغى بشدة ليسمع أي صوت. طار بنظره إلى باب الحمام الذي كان مفتوحًا. لقد دخل أحدهم إلى هذه الغرفة، وربما ما زال هنا في الحمام. شعر ببعض الخوف، لكن هناك شيء ما، ربما حاسة سمعه، إحدى الروائح، أو شيء يدور في راداره الواعي، يخبره أنه ما من أحد آخر في المكان. دخل بسرعة إلى الحمام ونظر داخله ليجده فارغًا. سألته بيفرلي من الممر بصوت حاد: «ما الذي يحدث؟».

- لا شيء، الأمر على ما يرام.

انتشر الآخرون في غرفة الفندق الفارغة، وسمعهم ديفيد يشهقون في استياء من منظر الفراش غير المرتب. قال هنري بصوت متوتر: «يا إلهي».

تقدم ديفيد ليقترب أكثر من الفراش وأغطيته المتروكة في فوضى. ألقى المصباح الزيتي بؤرة من الضوء الخافت حوله وهو يتحرك بانتباه شديد في الغرفة المظلمة. لا يوجد حقائب، ولا ملابس ولا أي أثر لوجود أي أحد. بدا كأن صاحب الغرفة غادرها ولم يرتبها أحد من بعده، ولكنه لم يجد إكرامية الخادمة المعتادة تحت الوسادة أو على المكتب أو الطاولة كما قد تتوقع. فتح ديفيد الخزانة ولم يجد إلا شماعات فارغة. نظر في الحمام مرة أخرى بقرب أكثر هذه المرة. وجد قطرات ماء متناثرة في أنحاء الحوض والمنشفة متروكة على المنضدة، لكن ما من أغراض شخصية. أخذ البقية يجوبون أنحاء الغرفة الآن وهم يشعرون بقلق واضح.

قال جيمس بقلق بيِّن: «أنا لا أفهم هذا».

سأله ديفيد: «هل من الممكن أن تكون خدمة تنظيف الغرف قد غفلت عن هذه الغرفة؟ أن يكون النزيل السابق قد غادر وغفلوا عن هذه الغرفة بطريقة ما ولم يرتبوها مرة أخرى؟».

أجابه جيمس بنفي قاطع: «هذا لن يحدث أبدًا فالفندق صغير وليس من الصعب متابعة الغرف».

- برادلي؟

قال برادلي بصوت مرتجف: «لا أعلم، أعتقد هذا مستبعد للغاية. لم يحدث من قبل قط».

- حسنًا، إمَّا هذا، وإمَّا هناك شخص لا نعرفه يستخدم هذه الغرفة، وربما يتجول في الفندق دون علمنا.

وقعت الغرفة في الجانب الآخر من الممر مباشرة بالنسبة إلى الغرفة التي تقيم فيها جوين ورايلي. شعر بخوف مفاجئ يقبض على قلبه. نظر إلى الآخرين من حوله وهم متجمعون معًا بوجوه يعتليها الضيق ثم قال: «لنواصل البحث».

الفصل التاسع عشر

لا يعلم هنري أي الاحتمالين أسوأ، احتمالية أن هناك أحدًا من مجموعتهم الصغيرة قد يكون قاتلًا، أم احتمالية وجود شخص لا يعلمون بشأنه يتجول في أنحاء الفندق وقتل شخصين بالفعل.

تساءل هنري وهم يفتشون غرفة جوين ورايلي عما يبحثون عنه حتى. لم يكن متأكدًا لماذا اقترح ديفيد تفتيش غرف النزلاء أيضًا وليس الغرف الفارغة فقط أو لماذا وافق الجميع على هذا. لم يعلم ما الذي توقع ديفيد إيجاده. شعر كأنهم يلعبون لعبة ما، أحد أنواع لعبة الصالون، أو أحد ألعاب أمسيات حل لغز الجريمة لكن مع إطفاء الأنوار، إلا أنه ما من أحد يستمتع بها.

وجدت بيفرلي بعض الأدوية في حقيبة رايلي ورفعتها في الضوء. سأل هنري بالنيابة عنهم جميعًا: «ما هذا؟».

نظر ديفيد إليه وقال: «هذا لعلاج القلق».

ثم أعادته بيفرلي بعدها إلى حقيبة رايلي الليلية.

بحثوا في غرفة المعيشة المجاورة للدرج، ثم في خزانة خدمة تنظيف الغرف خلال استمرارهم في عملية التفتيش بالطابق الثالث. اكتشفوا في غرفة لورين أنها تستخدم حبوب منومة قوية المفعول تُدعى أمبين، لكنهم لم يجدوا شيئًا آخر يثير الاهتمام.

انتهوا من الطابق الثالث أخيرًا، وانتقلوا إلى الطابق الثاني حيث توجد غرف بقية النزلاء. وقعت غرفة ديفيد في الزاوية الشمالية الغربية أسفل غرفة جوين ورايلي مباشرة وبجانب غرفة المعيشة. تقع غرفة دانا وماثيو على الجانب الآخر من غرفة المعيشة بنفس الممر وتتقابل زاوية غرفتهما مع زاوية غرفة ديفيد بشكل مائل، وإلى جانبها أمام غرفة ديفيد هناك غرفة شاغرة أخرى.

بدؤوا بتلك الغرفة الشاغرة التي أمام غرفة ديفيد وبدت مرتبة بالطريقة التي ينبغي أن تكون عليها غرفة الفندق.

قادهم ديفيد بعدها إلى غرفته التي على الجانب الآخر. كان هنري متأكدًا من أنهم لن يجدوا أي شيء هنا. تجولوا في أنحاء الغرفة في الظلام مع هواتفهم الآيفون التي أوشكت بطاريتها على النفاد. فتحوا أدراج المنضدة التي بجانب الفراش والخزانة وحوض الحمام. حرك ماثيو البقايا الباردة من النار في المدفأة بالمحراك. كانت الغرفة -وجميع أنحاء الفندق- باردة وتمنى هنري لو كان يرتدي سترة أثقل أو كان معه معطفه. نظر هنري أسفل الفراش وفتشت بيفرلي حقائب ديفيد بينما شاهدهم ديفيد والتقَطَ بعض محتويات حقيبته الليلية -ملابسه الداخلية والجوارب والملابس والكتب- وفتح الجيوب المغلقة بسحاب. رفع هنري في هذه الأثناء المرتبة ونظر أسفلها وهو يتذكر إخفاء المجلات الإباحية تحت مرتبته أيام مراهقته.

انتهوا أخيرًا من الغرفة، وبينما كانوا يغادرونها جميعًا ألقى هنري نظرة عبر النافذة. كانت السماء مظلمة بالخارج وعوت الرياح حول الفندق. كان بإمكانه أن يسمع صرير الأغصان المغطاة بالجليد وهي تُنشر في مهب الريح بالخارج. شعر بإحساس بالغرق داخله، بل أكثر من ذلك، إنه إحساس بالرهبة.

***

خرجوا من الغرفة وأغلق ديفيد الباب خلفهم. بدأ الآخرون الدخول إلى غرفة ماثيو بالفعل حيث ترك ديفيد الأمر لهم ليبحثوا في الحقائب، ويفتحوا الأدراج، ويرفعوا السجاد، ويقلبوا الرماد. شاهد رد فعل ماثيو وقت تفتيش

غرفته هو ودانا وأغراضهما الخاصة. كان منزعجًا لفحص أغراضه، لكن ليس أكثر من ذلك.

أصابت ديفيد الدهشة عندما وجد هنري مسدسًا في أمتعة ماثيو، في وضع الأمان ومخزن بشكل صحيح، ومعه الذخيرة.

قال ماثيو لهم بقليل من الدفاع: «لديَّ رخصة لحمل السلاح ولا آخذه معي في كل مكان عادة. أُبقيه على الطاولة التي بجانب فراشي في المنزل تحسبًا لظهور أي دخلاء، لكني اعتقدت أنه قد يكون مفيدًا إن ذهبنا للتزلج أو المشي لمسافات طويلة هنا بالأعلى، فهناك دببة، ومن الأفضل أن تكون مستعدًّا».

التفت إلى جيمس وأضاف: «يمكنك أن تخيفها بسهولة لتبتعد بسبب صوت الرصاص، أليس هذا صحيحًا؟».

أومأ له جيمس بتوتر وأجابه: «أجل».

أومأ ديفيد وأعاد هنري المسدس بحذر إلى الحقيبة الليلية، ووضع الحقيبة في مكانها على الأرض. انحنى ماثيو وأمسك الحقيبة الليلية ثم سحبها نحوه ووضعها على الفراش. أخرج المسدس وعبَّأه بالرصاص على نحو ممنهج. تجمد ديفيد في مكانه وتوقف الجميع عمَّا كانوا يفعلونه ليشاهدوا ماثيو. أخرج ذخيرة إضافية ووضعها في جيوبه من دون أن ينظر إلى أي أحد وأمسك بالمسدس في يده. تساءل ديفيد إن كان ينبغي له أن يقول شيئًا أو يفعل شيئًا.

بدا وكأن الزمن توقف، وتسارعت نبضات قلب ديفيد بينما صار الجميع مذهولين بعد رؤية ماثيو يتعامل مع المسدس كأنهم خائفون من أن يكون ماثيو هو القاتل وأنه سيقتلهم جميعًا، إلا أن ماثيو رفع بصره بعدها وبدا ماثيو الذي يعرفونه فحسب ثم قال: «يمكننا أن نستخدم هذا، للحماية». ومرت اللحظة بسلام.

كانت غرفة هنري وبيفرلي بجانب غرفة ماثيو وهي أمام خزانة فارغة لخدمة تنظيف الغرف. لم يجدوا شيئًا بها، وحتى ديفيد صار الآن لا يعلم ما الذي يبحثون عنه. بدأ يفكر أنه في مهمة عبثية بتفتيشه لغرف النزلاء. أمَّا الغرفتان المقابلتان لبعضهما بعضًا في نهاية الممر فكانتا فارغتين ونظيفتين استعدادًا للنزلاء الجدد.

السبت، الساعة السادسة والنصف مساءً

قال جيمس: «من الأفضل أن نفتش بقية الفندق، سوف نبحث في الطابق الأول كله ثم الأقبية».

شعر جيمس بانزعاج شديد من مظهر غرفة رقم 302 إذ لم يحدث شيء كهذا من قبل. تساءل بينه وبين نفسه إن كان ممكنًا أن هناك أحدًا هنا لا يعلمون بشأنه، شخصًا دخيلًا. لم يكن لديه أي أعداء، وليس لديه من يفكر فيه كعدو، ولا يخبئ أي أقارب مجانين هنا ولا يعمل معه موظفون ساخطون. تمنى الآن لو أنه ثبَّت كاميرات مراقبة، لكنه لم يرغب بها في فندقه الغريب ذي الطراز القديم. لم يظن أنها ستكون ضرورية قط، ولكن الآن، إن كان قد ثبَّت كاميرات في الممرات، ربما كان ليظهر ما حدث لدانا... إذا حدث هذا قبل انقطاع الكهرباء. ثم أدرك بعدها أنهم لم يكونوا ليتمكنوا من مراجعة الفيديو من دون كهرباء على أي حال.

نظر جيمس نظرة خاطفة إلى برادلي الذي وقف في الممر مع بقية المجموعة محدقًا إلى الأرض دون أن يعلم أن والده يشاهده. هناك خوف بيِّن على وجهه وشيء آخر لا يمكن لجيمس فهمه تمامًا. إنها نظرة رآها جيمس من قبل...

شعر جيمس بخوف شديد أصابه بألم في معدته ودوار مُمرض. لا يعلم حقًّا كل شيء عن ابنه مثل أي أب. لقد عرَّض برادلي نفسه لبعض المشكلات مع القانون من قبل. ظن جيمس أن هذه الأيام قد ولت. يا إلهي، تمنى ألا يكون قد تورط برادلي في شيء أكبر من أن يتعامل معه، لكنه أكد لنفسه بعدها أن أي شيء قد يكون برادلي تورط فيه لن تكون له علاقة بهذا. برادلي فتى جيد وتورط ذات مرة مع بعض الأشخاص السيئين. سوف يتحدث إليه عندما تسنح له الفرصة.

تقدم إلى جانب ابنه وهمس: «هل أنت بخير؟».

رفع برادلي نظره إليه بذهول وأجابه: «أجل، أنا بخير».

اختفت تلك النظرة التي اعتلت وجهه وبدا مثلما يبدو دائمًا فقال جيمس لنفسه إنه يقلق بلا داعٍ، وإن هذا الأمر لا علاقة له ببرادلي. إنه هو فقط خائف مثل الجميع فقال جيمس: «أنت لديك المصباح يا برادلي، لِمَ لا تقودنا؟».

***

استخدموا الدرج الخلفي هذه المرة لينزلوا إلى الطابق الأول. إنها المرة الأولى التي تراه بيفرلي فيها. بدا ضيقًا وغير مفروش بالسجاد فهبطوا عليه واحدًا تلو الآخر وتردد صدى وقع خطواتهم.

قال برادلي: «كان هذا درج الخدم».

سأله ديفيد: «هل هناك غرفة علوية ينبغي لنا أن نتفقدها؟».

أجاب جيمس: «لا».

وصلوا إلى نهاية الدرج حيث يؤدي الباب إلى ممر يمتد بطول الجانب الخلفي من الفندق وعلى اليسار مباشرة يوجد المطبخ.

أردف جيمس: «لنترك المطبخ والأقبية للنهاية، لنجرب تفتيش مخزن الحطب».

كان باب مخزن الحطب عند نهاية الممر المقابل للمطبخ. اتبع الجميع برادلي ولم تكن بيفرلي قد شاهدت مخزن الحطب من كثب حقًّا في المرة التي جاءتها إلى هنا من قبل، لأنها كانت في عجلة من أمرها لتتبع الآخرين إلى منزل الجليد. نظرت إليه الآن ووجدت الطقس باردًا للغاية هنا. بُنيت الجدران من ألواح خشبية بسيطة غير معزولة مثل التي تستخدم في الحظائر. تمركز في منتصف الأرض الترابية جذع شجرة كبير مغروس فيه فأس، وتكدست قطع من الخشب والحطب أيضًا بشكل مرتب في أنحاء المكان. هناك بعض أدوات البستنة، وتفوح في الأرجاء رائحة العفن، لكن ما من مكان ليختبئ به أحد هنا.

واصلوا السير في الممر الممتد على طول الجزء الخلفي من الفندق ثم انعطفوا يسارًا نحو الردهة. كانت المكتبة على الجانب الأيمن. فتح جيمس الباب الزجاجي واتبعوه إلى الداخل جميعًا. لا يوجد مكان للاختباء هنا أيضًا.

انتقلوا إلى غرفة المعيشة، لكن لم يجدوا شيئًا مرة أخرى.

انعطفوا في نهاية الممر نحو البار عندما عادوا إلى الردهة. لم يسفر بحثهم عن شيء. كان باب شقة جيمس وبرادلي عند أقصى نهاية الممر. فتح جيمس الباب ودعاهم إلى الداخل. كانت الشقة صغيرة، ولكنها مرتبة وأثاثها مفروش على نحو جيد. لا يوجد أحد آخر هناك أيضًا. شعرت بيفرلي بالارتياح والإحباط في آن واحد عندما وصلوا إلى الردهة. لم تعرف ما الذي سيفعلونه، أو كيف سيجدون القاتل، ثم قال برادلي: «لم يتبقَّ سوى المطبخ والقبو».

شعرت بالقلق من فكرة نزولهم إلى القبو، ولكنها تبعتهم وهم يعودون إلى المطبخ، وبعدها أردف برادلي: «تفضلوا».

رفع برادلي المصباح الزيتي وهم يدخلون إلى المطبخ الضخم الذي كان نصفه ريفيًا والنصف الآخر صناعيًا.

لاحظت بيفرلي الثلاجة الضخمة التي لا بد أنها بعرض مترين ونصف تقريبًا، وملأى بطعام سيذوب ويفسد الآن حتمًا. وُضعت طاولة كبيرة في منتصف المطبخ، من الواضح أنها كانت مساحة عمل مزدحمة في معظم الأيام. اصطفت الخزائن على الجدران، وكان هناك حوض كبير مزدوج وغسالة أطباق صناعية.

شاهدت بيفرلي جيمس وهو يفتح الثلاجة وينظر إلى الداخل دون أن يجد شيئًا، ثم فتح الخزانة ونظر الجميع إلى الداخل بمساعدة ضوء المصباح الزيتي المرتجف ليجدوها فارغة أيضًا.

التفت جيمس إليهم وقال: «تبقَّى القبو فقط».

فتح بابًا خشبيًا قديمًا ومد يده إلى مفتاح الضوء بشكل تلقائي قبل أن يتذكر، فقال لبرادلي وهو يمد يده إلى المصباح: «أعطني هذا».

أصر برادلي على الدخول أولًا وهو يمر أمام والده حاملًا المصباح، وقال: «لا، دعني أدخل أولًا».

أصدرت خطواتهم صريرًا وهم ينزلون على درج خشبي خشن بلا درجات قائمة ولا سياج. ظلت بيفرلي تسند بيدها على الحائط الحجري الخشن للحفاظ على توازنها وعندما وصلت إلى النهاية كانت كأنها تطأ بقدمها في قرن آخر. دعمت البناء الذي فوق رؤوسهم عوارض سقف ثقيلة وعريضة

وصُنعت جدران الأساس من الحجر. قال برادلي وهو يشير إلى الجدران بعفوية: «سمكها ستون سنتيمترًا».

نظرت بيفرلي بانبهار إلى الحجر الأبيض الذي بدأ طلاؤه يتساقط، ثم سألتهم: «هل يوجد فئران هنا بالأسفل؟».

هناك فئران على الأغلب وبيفرلي تخاف منها. إنهم في الريف وهذا القبو يقع تحت المطبخ مباشرة. أجابها برادلي: «نحن نتولى أمرها، لا تقلقي».

استفسر هنري: «كيف؟».

أجابه جيمس باقتضاب: «باستخدام الوارفارين».

ازداد قلق بيفرلي وشعر جيمس بالانزعاج من رؤية النزلاء لهذا القبو البدائي نوعًا ما ومن الفئران ربما فهذا لا يشبه الفندق الفخم الذي بالأعلى على الإطلاق. ظنت بيفرلي أنه حتمًا يشعر كأنه يقف بملابسه الداخلية أمامهم. رأت رفًا من خشب غير مهذب مبنيًا في الحائط، ولا بد أنه كان موجودًا في المبنى من البداية. لم يحمل هذا الرف شيئًا، رآها برادلي تنظر إليه فبرر لها قائلًا: «نحن لا نستخدم القبو كثيرًا؛ نحتفظ بكل شيء في المخزن بالأعلى».

نظرت بيفرلي حولها في أرجاء هذه المساحة المفتوحة الشاسعة. لم تكن الأرض الأسمنتية مستوية ووُضعت بعض النوافذ الصغيرة في حجر الحائط من أعلى. برزت في المكان لوحة كهرباء حديثة بسبب مظهرها الحديث والنظيف بينما كان الفرن جديدًا نسبيًا أيضًا.

قال ديفيد وهو يختلس النظر خلف الفرن: «لا يوجد أحد هنا».

فعلق برادلي: «نحن لم ننتهِ بعد».

سار نحو نهاية القبو وتسلل عبر فتحة أخرى إلى اليمين، وأردف بصوت بعيد للغاية: «الصهاريج هنا».

لم ترغب بيفرلي أن يتركوها خلفهم، فتبعت الجميع على مضض وألقت نظرة عبر الباب الخشن الذي أدى إلى اثنين من الصهاريج المربعة الخرسانية الكبيرة على الجهة اليمنى. قال برادلي: «إنه فارغ الآن».

ارتعدت بيفرلي لأنها لا ترغب في الدخول إلى غرفة بها صهاريج. وقفت عند الباب لتشاهد برادلي ينظر إلى داخل كل واحد منها وهو يحمل المصباح

لأعلى. ذهب ديفيد ليقف بجانبه وينظر معه إلى الأسفل ثم هز برادلي رأسه وقال: «المكان خالٍ».

ليقول ديفيد بصوت حاد: «انظروا».

نظرت بيفرلي حيث ينظر ديفيد ورأت نافذة قريبة من السقف على جدار بعيد، ثم قال برادلي: «تبًّا».

شاهدت بيفرلي ما يحدث بتوتر بينما اقترب برادلي من النافذة وتفقدها. يمكنها أن ترى زجاج النافذة مكسورًا وهناك شظايا زجاجية على الأرض أسفلها.

قال ديفيد وهو يقف بجانب برادلي ويفحص النافذة: «النافذة لا تزال مغلقة».

فعلق برادلي على كلامه: «لذا قد تكون نافذة مكسورة فحسب».

- أو قد تكون كُسرت عمدًا وفُتحت من الخارج وربما تمكن أحد ما من التسلل إلى الداخل بهذه الطريقة ثم أغلق النافذة مرة ثانية.

شعرت بيفرلي بالدوار قليلًا، بينما قال ديفيد: «من الأفضل أن نذهب إلى الخارج ونلقي نظرة في أرجاء المكان لنرى إن كان هناك أي آثار أقدام. سأذهب أنا وبرادلي، ليس على الجميع القدوم معنا».

فقال ماثيو: «أنا سآتي».

السبت، الساعة السابعة وعشر دقائق مساءً

ارتدى ماثيو معطفه الشتوي وحذاءه، ثم تبع ديفيد وبرادلي إلى الشرفة بالخارج. للرياح قوة لا يستهان بها، غاضبة ومزعجة وبدت الأشجار مرتعدة أمامها. تفقدوا جميع نوافذ وأبواب الطابق الأول من الداخل وبدت جميعها آمنة. تبقت فقط نافذة القبو المكسورة التي عليهم أن يذهبوا لتفقدها الآن. تساءل ماثيو كيف سيصلون إلى الجانب الشرقي من الفندق ليتفقدوا النافذة بالنظر إلى مدى انزلاق الأرض بالخارج على ما يبدو.

انبغى لهم أن يتركوا المصباح الزيتي في الداخل، لأنه ما من أحد يريد أن ينزلق على الجليد حاملًا مصباحًا زيتيًا. استخدموا كشاف هاتف ماثيو الآيفون بدلًا منه، لأن هاتف ديفيد لم يتبقَّ فيه سوى القليل من الشحن وأراد أن يحافظ عليه، لكن ماثيو لن يقود الطريق، لذا أعطى هاتفه لبرادلي الذي قال: «اتبعاني».

انزلقوا ببطء أمام الفندق ثم انعطفوا وشقوا طريقهم بطول جانب الفندق وهم يضعون أيديهم على الحائط ليحافظوا على توازنهم. اقتربوا من نافذة القبو وعندها رأوا فرع شجرة مكسورًا تحتها وقد سقط من شجرة قريبة ضربتها العاصفة. انحنوا وألقوا نظرة على النافذة بعدما سلَّط برادلي الضوء عليها. لم يستطيعوا أن يحددوا إن كان الفرع قد سقط وكسر النافذة أم أن هناك من استخدم الفرع ليكسر النافذة ولم يستطيعوا أيضًا رؤية آثار الأقدام من الجليد.

سأل ماثيو ديفيد وهو يفحص النافذة والغصون المتناثرة أمامها: «ما رأيك؟».

قال ديفيد وهو يبدو عليه القلق: «لا أعلم».

الفصل العشرون

السبت، الساعة السابعة والنصف مساءً

عاد ديفيد، وبرادلي وماثيو إلى الردهة، إلى وجوه الآخرين القلقة التي انتظرتهم بالداخل. سقط ديفيد على أحد المقاعد القريبة من النار وأخذ يشرح لهم ما توصلوا إليه ثم أنهى حديثه بإرهاق قائلًا: «لذا، لدينا غرفة تبدو وكأن هناك من استخدمها ونافذة مكسورة على نحو غامض، ولكن بخلاف ذلك لم نرَ أي أثر لوجود شخص آخر في هذا الفندق أو أي أحد يدخل إلى الفندق أو يخرج منه».

نظروا جميعًا إلى بعضهم بعضًا في صمت كأنهم ربما لا يفهمون هذه المعلومات. بدا التوتر واضحًا عليهم ثم سألت رايلي ديفيد بنبرة حادة: «إذن، أيوجد أحد آخر معنا هنا أم لا؟».

- لا أعلم، ربما وربما لا.

قال له إيان بصوت ارتفع تدريجيًّا في عدم تصديق: «هل تشير حقًّا إلى أن قاتل دانا وكانديس قد يكون واحدًا مِنَّا؟ لماذا قد يقتل أحدنا أيًّا منهما؟ نحن لا نعرفهما حتى».

قال ديفيد بهدوء: «نحن لا نعلم ذلك، لا نعلم إن كان لا يوجد بيننا هنا من يعرف دانا أو كانديس. أنا لا أعرف أي شيء عن أي أحد هنا».

نظر إليهم كأنه يتحداهم ليتحدثوا ثم أردف: «على حد علمي، وعلى حد ما دفعنا بعضنا بعضًا لتصديقه، نحن جميعًا غرباء، لكن ربما هذه ليست الحقيقة».

نظر ببطء إلى المجموعة التي أمامه وأضاف: «على أي حال، عندما تصل الشرطة إلى هنا ستجري تحقيقًا ويبحثون بعناية شديدة في خلفية دانا وكانديس، وخلفياتنا جميعًا أيضًا».

وكيف له أن يعلم ما الذي ستصبح عليه الأمور. شاهد الجميع وهم ينظرون بقلق إلى بعضهم بعضًا ثم تابع: «لنفترض للحظة فقط أن القاتل واحد **مِنَّا** بالفعل. نحن بحاجة إلى معرفة مكان كل واحد مِنَّا بعد ظهر اليوم. لقد رأى برادلي كانديس على قيد الحياة عندما أخذ صينية الغداء من المكتبة. متى كان ذلك يا برادلي؟».

- الواحدة والنصف تقريبًا.

- كنا جميعًا في الردهة هنا معًا باستثناء جيمس وبرادلي حتى الساعة الثانية عندما ذهبتُ مع هنري لأجلب الخشب، وبدا أن كل واحد منكم تحرك كما يحلو له. تجمعنا هنا لاحتساء الشاي في تمام الرابعة ثم ذهبنا جميعًا إلى منزل الجليد وعدنا معًا باستثناء جيمس.

صمت ديفيد ثم أضاف: «لقد عدت بالطبع يا برادلي لتبحث عنها، بينما بقينا جميعًا في منزل الجليد».

رمق الجميع بنظرة واضحة ليقول بعدها: «لكن دعونا نركز على مكان كل واحد بين الساعة الثانية والرابعة تقريبًا. أنا كنت في غرفتي بمفردي».

ثم وضَّحت جوين: «وأنا كنت مع رايلي في غرفتنا».

فأردفت لورين: «وأنا كنت مع إيان في غرفتنا أيضًا».

ليقول ماثيو بدوره: «كنت في غرفتي فأنت أخبرتني أن أظل هناك. خرجت فقط عندما سمعت تلك الصرخة، وقت عثوركم على جثة كانديس».

أخبرهم هنري: «أنا كنت هنا في الردهة، وغلبني النوم على المقعد قليلًا، ثم صعدت لأغتسل قبل الرابعة بقليل».

أومأت بيفرلي وأكدت على كلامه بقولها: «لقد كنت في غرفتنا، ونزلت إلى الردهة لوقت قصير حتى أتحدث مع هنري، لكني صعدت إلى غرفتنا قبله حتى جاء هو قبل الرابعة بقليل».

ثم قال جيمس: «أنا كنت في المطبخ وكان برادلي يساعدني».

فعلق ديفيد بضجر: «لذا، هذا لا يساعدنا كثيرًا، أليس كذلك؟».

***

كسر هنري حاجز الصمت الذي أعقب حديثهم وقال: «إن كنت تعتقد أن القاتل واحد مِنَّا، وإن كان ينبغي لي أن أخمن فأنا أراهن أنه ماثيو».

التفت له ماثيو في صدمة. لقد فكر هنري في الأمر طوال رحلة بحثهم الطويلة الباردة في الفندق. إذا كان من الممكن أن يكون القاتل واحدًا منهم، فربما حان الوقت لتصحيح الأمور قليلًا. لقد قرر أن يلعب دور محامي الشيطان[1] فقال بنبرة لطيفة بعدما التفت إلى ماثيو: «أنت القاتل الأكثر احتمالًا، ربما قتلت دانا بعد شجارك معها وكانديس اكتشفت الأمر، فكان عليك إسكاتها».

شاهده الجميع في حذر، لكن لم يحاول أحد منهم الدفاع عن ماثيو، إلا أن لورين سألت هنري: «وكيف اكتشفت كانديس الأمر؟».

- لا أعلم. لقد بدت لي متطفلة نوعًا ما. أو ربما...

بدأ يفكر بصوت عالٍ هنا وهو يتابع: «ربما كانت كانديس تؤلف كتابًا عن ماثيو، رجل الأعمال الشهير الثري، أو عن دانا التي كانت على وشك أن تتزوجه وتشاجرت دانا معها على قمة الدرج. دفعتها كانديس لأسفل الدرج، وعلم ماثيو أنها من قتلت دانا حتمًا فخنقها».

قال له إيان: «هذا يبدو مستبعدًا للغاية».

(1) هو دور يخالف فيه الشخص رأي الأغلبية ويعارضهم معارضة زائفة، فيفكر الشخص بصوت عالٍ مع من أمامه ليلفت انتباههم إلى عيوب وثغرات قراراتهم أو أفكارهم.

- القتل شيء مستبعد، ونحن لا نتعامل مع أمر عادي الآن. هناك قاتل بيننا هنا، شخص لديه أسباب جيدة بما يكفي لقتل دانا وكانديس. أنا أحاول معرفة ما هي تلك الأسباب.

التفتت لورين إلى ماثيو وقالت بتردد: «لقد كانت كانديس تحدِّق إليك وإلى دانا وقت العشاء الليلة الماضية».

نظر إليها ماثيو في تجهم وتحرك في مقعده بتوتر ثم علق على كلامها: «حقًّا؟ أنا معروف للغاية في عالم الأعمال. أعلنت كل صفحات أخبار المجتمع عن خطبتنا. لذا، أجل من المحتمل أن تكون قد تعرفت عليَّ وعلمت من أنا».

- لقد علمتْ من أنت وأخبرتنا جميعًا وقت الإفطار هذا الصباح.

رد ماثيو عليها بغضب: «لكن أنا لم أكن أعرفها ولا حتى دانا. إن كانت تؤلف كتابًا عنا، فنحن لم نكن على علم بالأمر، ولم يكن لدينا ما نخفيه أيضًا، لذا لم نكن لنهتم قط».

قالت له رايلي بعدها: «لكن ربما كان لدى دانا ما تخفيه، شيء أنت لا تعلم بشأنه بينما علمت كانديس ربما وكانت تكتب عنه فتشاجرتا على الدرج ودفعتها كانديس».

أردف ماثيو بسخرية: «لكن إن كنت لا أعلم بشأنه، لماذا سأستنتج أن كانديس دفعتها من فوق الدرج ثم أقتلها؟».

فقال هنري: «ربما علمت بشأنه، فنحن لدينا كلمتك فقط».

مال ماثيو إلى الأمام، وقال بِتَرَوٍّ: «أنا لم أقتل أحدًا».

ذكرت رايلي بنبرتها الحادة: «لقد أحضرت مسدسًا، ربما علمت أن كانديس ستكون هنا، وربما خططت لقتلها طوال الوقت، ولكن ما حدث لدانا سبق خطتك».

ليقول ماثيو: «لست مضطرًّا إلى سماع هذا الكلام».

قطعت بيفرلي كلامهم قائلةً: «انتظروا.. ربما تعني حقيقة أن كانديس ميتة أيضًا أن ماثيو لم يقتل دانا، وأنه لا علاقة له بهذا. هل فكرتم في هذا من قبل؟».

توجهت إلى هنري وتابعت: «ألا يجعل هذا فكرة أنه المذنب أقل احتمالًا؟».

فقال هنري: «ربما».

اعترفت جوين: «هذا ما كنت أفكر فيه نوعًا ما، إن كانت الجريمة تقتصر على دانا إذن هو القاتل أجل، أنا آسفة يا ماثيو، ولكن أنت تبدو وكأنك أوضح مشتبه فيه، بخاصة منذ أن سمعتك بيفرلي تتشاجر معها في وقت متأخر من الليلة الماضية».

التفتت إلى الجميع ثم تابعت: «لكن بمجرد أن ظهرت جريمة أخرى، ألا يقلل هذا احتمال ارتكاب ماثيو للجريمة على ما يبدو؟».

أيَّدها إيان قائلًا: «لديها وجهة نظر نوعًا ما».

راقب هنري الجميع بحذر. لم يكن متأكدًا من أي شيء، ولكنه سيراقب كل شيء باهتمام شديد.

***

قال ماثيو: «إن كان بإمكانكم التوقف عن توجيه أصابع الاتهام إليّ للحظة فهناك ما أود ذكره».

يعلم أن كلامه بدا عنيفًا بعض الشيء وهو لا يأبه بذلك، فهم اتهموه فعليًّا بارتكاب جريمة قتل، *يا إلهي!*

سأله ديفيد: «ما هو؟».

- أعتقد أن جيمس وبرادلي يخفيان شيئًا.

بدا جيمس متفاجئًا تمامًا، بينما احمَرَّ وجه برادلي بوضوح قبل أن يسأل جيمس متلعثمًا: «ما الذي تقصده؟».

مال ماثيو نحو جيمس وبرادلي اللذين كانا يجلسان معًا وقال: «هذا فندقكما، ربما تعلمان شيئًا لا يعلمه بقيتنا».

سأله جيمس في حالة دفاع: «مثل ماذا؟».

- لا أعلم، ولكني رأيتكما تتهامسان. ما الذي كنتما تتهامسان بشأنه؟

قال له جيمس بعدما تغيرت معالم وجهه: «لم نكن نتهامس».

- بل كنتما تتهامسان، لقد رأيتكما.

تدخل إيان ليقول: «آه، يا إلهي، لديهما فندق ليديراه».

التفت ديفيد لجيمس بوجه جاد وسأله: «هل من الممكن بأي شكل من الأشكال أن يكون هناك شخص قد يرغب في إيذائك أو إيذاء فندقك؟».

شاهد ماثيو جيمس من كثب، ورأى برادلي بطرف عينه يهز رأسه. هز جيمس رأسه أيضًا بقوة وأجاب: «لا، وإن كنت أعتقد أن هذا ممكنٌ كنت سأخبركم».

غرق ماثيو في مقعده مرة أخرى وهو غير راضٍ وغير مقتنع، وأردف: «أنا لا أصدقك».

نقل نظره من جيمس إلى برادلي، ثم عاد لينظر إلى جيمس وأضاف: «ما زلت أعتقد أن هناك شيئًا لم تخبرانا به».

***

شاهد ديفيد جوين وهي تنهض بقلق من مقعدها وتتجول نحو النوافذ. كان المكان أكثر ظلمة بجانب النوافذ، لكنه استطاع رؤيتها في الظلام. نظرت إلى الخارج بلا هدف، فما من أحد قادم. ترك ديفيد مقعده وذهب إليها. يمكنه الشعور ببقية المجموعة تشاهده، لكنه لا يهتم.

التفتت إليه وهو يقترب منها. بدت عيناها مضطربتين، وهي تهمس دون مقدمات: «هناك شيء يجب أن أسألك بشأنه».

قال ديفيد لنفسه ها هي ذي، ستسأله عن زوجته. لقد كانت تصغي لرايلي وهو متأكد من هذا. كان عليه أن يخبر جوين بماضيه أولًا. كان ينبغي له أن يخبرها الليلة الماضية، لكن الوقت لم يكن مناسبًا. لا يخبر المرء امرأة منجذب إليها بشدة أن الشرطة اعتقلته مرة في جريمة قتل.

قال بنبرته المنخفضة وتعبير وجهه الصريح: «اسألي عن أي شيء».

سيخبرها بالحقيقة وسيترك الأمر لها لتصدقه أم لا. لا يمكنه أن يخفي هذا، فالأمر منتشر على الإنترنت.

نظرت جوين إلى الآخرين الجالسين بجانب النار، وهمست له: «ليس الآن، لكننا يجب أن نتحدث على انفراد في وقت ما».

أومأ لها، فهذا سيمنحه بعض الوقت ليحضِّر ما سيقوله. كيف له أن يصيغ الأمر وهو لا يريد أن يخيفها فتبتعد عنه.

***

كل ما أرادته بيفرلي هو أن تعود للمنزل. أرادت أن ترى طفليها، فهذا الفندق لم يعد جميلًا فاخرًا بالنسبة إليها، بل مظلمًا، باردًا، ومروعًا. ارتعدت عندما تذكرت القبو. بدا وكأنه يمكنه أن يصبح مكانًا لتصوير فيلم رعب. لقد شعرت أنها **تعيش** في فيلم رعب. لا يمكن لهذا أن يحدث حقًّا، ليس لها، فهي سيدة عادية للغاية تعيش حياة عادية جدًّا، بل ومملة. لم يحدث لها أي شيء استثنائي قط وأحبت هذا الأمر من صميم قلبها.

إنه لأمر فظيع أن يظل جسد دانا مستلقيًا عند نهاية الدرج. هذا كثير عليها حقًّا. شعرت بدموعها على وشك الانهمار لكنها منعتها.

أرادت أن ينقلوا هذه الجثة من مكانها فهي تعتقد أن رائحتها بدأت تفوح. لقد ظلت هكذا منذ وقت ما من الليلة الماضية. لا بد أنها تتحلل الآن، ولا بد أن هذا سبب الرائحة. ألا يشم رائحتها أحد غيرها؟ دائمًا ما كانت حاسة الشم لديها حادة للغاية. إنها حساسة، دائمًا ما كانت كذلك. ابنها تيدي مثلها أيضًا فهو لا يحب ورقة العلامة التجارية التي في ملابسه وصعب الإرضاء فيما يتعلق بجواربه. رفعت رسغها إلى أنفها وحاولت أن تشم رائحة عطرها المتلاشي.

وجدت نفسها تحدِّق إلى جثة دانا المغطاة بالملاءة الخفيفة مع مرور الوقت. لم تستطع النظر إليها حتى من قبل، لكنها تحدِّق إليها الآن لأنها خائفة منها ولا تريد أن تدير ظهرها لها. إنه شعور غير منطقي، لكن هذا ما شعرت به، إنها تنهار.

اعتقدت أنها رأت شيئًا يتحرك على الجثة في الظلام. هناك جسم معتم وصوت حفيف. يبدو وكأن جسد دانا يتحرك قليلًا أسفل الملاءة الآن. لقد سمعت عن هذا الأمر، سمعت عن تحرك الأجساد بعد الموت وتغير وضعها لأنها تكون مملوءة بالغازات، فحدقت بتركيز أكبر.

ما هذا؟ هل هذا فأر؟ صرخت وقفز هنري في مكانه على مقعده.

صاحت بيفرلي وهي تنهض وتشير إلى هناك: «يوجد فأر هناك بجانب الجثة».

التفتوا جميعًا وحدقوا حيث تشير. قال جيمس في دفاع وهو ينهض من مقعده: «هذا مستحيل».

ذكرت لورين بعدم راحة وهي تضع قدميها تحتها على الأريكة: «لقد اعترفتم سابقًا أن لديكم فئران».

قال لها جيمس: «لكن ليس هنا بالأعلى!».

- لكن هناك جثة هنا بالأعلى وربما... تجذب الفئران إليها.

ارتعدت بوضوح ثم أضافت: «يا إلهي، لا يمكنني تحمل هذا!».

وافقت بيفرلي لورين، فهي لا يمكنها تحمل الأمر أيضًا. بدأت تنتحب وترتجف وتوجَّهت لتدفن وجهها في صدر هنري بحكم عادتها على مدار السنين. أحاطها بذراعيه ورغم أنها ما زالت غاضبة منه فإن هذا أشعرها بالطمأنينة.

قال هنري بشكل قاطع: «علينا أن نخرج هذه الجثة من هنا!».

فرد عليه ديفيد: «لا ينبغي أن نحركها حقًّا».

صاح هنري: «اللعنة على ما ينبغي وما لا ينبغي. يوجد جثة هنا وهي تتحلل وتجذب الفئران وهذا يخيف زوجتي!».

رفعت بيفرلي رأسها من على صدر هنري ونظرت إلى ماثيو لتجده أصبح شاحبًا. شعرت بالأسف فجأة على انفعالها فقالت: «أنا آسفة...».

إلا أن ماثيو تجاهلها وأخذ المصباح الزيتي من على طاولة القهوة وذهب به إلى جثة دانا. رفع الضوء نحوها ونظر إلى الأسفل بحثًا عن فأر. إنه منظر مروع، لكن بيفرلي لم تجد أنها قادرة على النظر بعيدًا.

وضَّح ماثيو بتجهم: «لا أرى أي فئران. لا يوجد أي منها، لا بد أنكِ كنتِ تتوهمين».

نهض إيان ووقف بجانبه ثم أردف برفق: «ربما ما زال علينا أن ننقلها من مكانها».

التفت ونظر إلى ديفيد الذي نظر في أرجاء الغرفة كأنه يقيس الحالة المزاجية للحضور. أومأ أخيرًا كما لو كان يعلم أنهم يفوقونه عددًا. أخرج هاتفه من جيبه وسحب الملاءة ثم التقطت بضع صور للجثة. أصدر صوتًا يدل على الإحباط وقال: «والآن نفد شحن هاتفي بالكامل».

رفع نظره إلى الجميع وتابع: «حسنًا، أين سنضعها؟».

اقترح برادلي بشكل مبدئي: «في مخزن الحطب؟».

علق ماثيو قائلًا: «لا، قد يوجد... فئران هناك».

فكرة التهام الفئران لدانا أصابت بيفرلي بالغثيان، ثم اقترح جيمس: «ماذا عن منزل الجليد؟ إنه بارد ومغلق بإحكام كامل. لا يوجد ما... يزعجها هناك».

بلع ماثيو ريقه أخيرًا وأومأ لهم. شعرت بيفرلي بشفقة شديدة تجاهه. شاهدتهم بينما وضع ديفيد الملاءة على الأرض بجانب الجثة ثم أمسك بقدمي دانا في حين أمسك ماثيو بكتفيها وحملاها على نحو أخرق ليضعاها على الملاءة. سقط رأسها إلى أحد الجوانب فجأة، قبل أن يلفا الملاءة حولها بإحكام ليجعلا حملها أسهل عليهما. ارتدى كل من برادلي، وماثيو، وديفيد معاطفهم وأحذيتهم ليبدؤوا رحلتهم الحزينة الغريبة بالجثة إلى منزل الجليد.

ثم أجهشت بيفرلي بالبكاء بمجرد أن غابوا عن مرمى بصرها.

الفصل الحادي والعشرون

السبت، الساعة الثامنة والنصف مساء

وضع ديفيد قطعتين أخريين من الخشب في النار وجعل ألسنة اللهب تشتعل جيدًا بعد عودتهم من منزل الجليد. التفت بعدها للآخرين على مضض وجلس بجوار النار التي جعلت وجوههم تتوهج في ضوئها. جلس ماثيو بعيدًا عن الآخرين مع حزنه والشك الذي يتوجهون به إليه.

كانت الغرفة مظلمة تمامًا وانبعث الضوء فيها من النار والمصباح الزيتي الوحيد ذي النور المرتجف. نفد الزيت من المصباح الآخر، وأخبرهم برادلي بإحراج أنه لا يوجد المزيد من المصابيح فهم لم يتوقعوا أن يتعين عليهم استخدام المصابيح الزيتية.

حركت رايلي الخاتم في سبابتها بتوتر، واعتقد ديفيد أن هذه هي طريقتها في فرك يديها قبل أن تسأل: «ما الذي سنفعله؟».

ظن ديفيد أنه يجدر على أحدهم إعطاؤها مشروبًا آخر أو إحدى تلك الحبوب التي وجدوها بالأعلى، لكنه قال: «سنبقى معًا، سوف نجتاز هذه الليلة».

دوى صوت العاصفة من حولهم واصطدمت بالنوافذ كأنها تسخر منه، قبل أن يتابع: «وفي الصباح عندما تشرق الشمس أظن أنه ينبغي لنا أن نحاول الوصول إلى الطريق الرئيسية».

تبين بعض الإيماءات بين الظلال فوجَّههم بقوله: «سنظل هنا في الردهة وإن احتاج أي أحد أن يذهب إلى الحمام سنذهب معًا في مجموعات وعند الفجر سنذهب من هنا. قد تخرج فرق تنظيف الطرق بحلول ذلك الوقت ونحصل على مساعدة منهم، لكن علينا أن نبقى معًا. لن يحدث شيء لأي أحد إن بقينا معًا، اتفقنا؟».

حدَّق الجميع إليه، وأجابوه بإيماءات واحدًا تلو الآخر، حتى رايلي التي لعقت شفتيها بتوتر فتابع ديفيد: «ما زال الطقس باردًا هنا، يجب أن نبقى دافئين».

صمت ليفكر للحظة ثم أردف: «ينبغي لنا أن نجلب مزيدًا من البطانيات من الغرفة».

قالت جوين بعاطفة: «أنا لن أذهب إلى أعلى».

تشتت انتباه ديفيد للحظة من مدى القلق الذي بدا عليها، ولكنهم جميعًا خائفون. لم يكن لديه أي فكرة كيف له أن يبقيهم على قيد الحياة باستثناء أن يبقيهم معًا في مكان واحد يوفر فيه الدفء والطعام لكنه قال: «لا بد أن هواتفنا جميعًا تبقي في بطاريتها أقل القليل، لقد نفد شحن هاتفي».

رأى الإيماءات تأتي من كل مكان في حين قال ماثيو: «ما زال هاتفي يعمل إلى الآن، لكنه لن يصمد لفترة طويلة».

التفت ديفيد لإيان وبرادلي وقال لهما: «لماذا لا نذهب إلى الأعلى الآن ونحضر بعض البطانيات».

أومأ كل منهما واتجه الثلاثة الرجال إلى الدرج الرئيسي في الظلام، بينما حمل برادلي المصباح الزيتي لينير لهم الطريق وترك الآخرين بجانب ضوء النار.

***

حدَّقت جوين إلى الظلام خلفهم. تذكرت بطريقة أو بأخرى قصة هانسيل وجريتل وهما تائهان في الغابة المظلمة ويحاولان شق طريقهما إلى المنزل،

حيث لم يكن مرغوبًا بهما حتى. لقد أصابتها هذه القصة الخيالية بالرعب عندما كانت طفلة، وهي تشعر الآن وكأنها داخل القصة نفسها، في الغابة المظلمة، وتخلَّى عنها من يحبونها. ارتجفت وتركت خيالها يأخذها بعيدًا.

***

شاهدت رايلي ما يحدث وانتظرت بقلب ينبض بسرعة كمحرك يفرط في الدوران لدرجة قد تجعله يحرق نفسه. أصغت لكل صوت بسيط، لصوت الرياح وهي تصطدم بالزجاج، وأجيج النار، والصوت المروع الذي تصدره جذوع الأشجار وهي تتحرك فجأة في المدفأة، لكنها كانت تصغي إلى شيء آخر، شيء غير متوقع. ظلت تصغي لتسمع شيئًا لا يتعين عليها أن تسمعه.

سحبت البطانية أكثر حول جسدها وأخبرت نفسها أن عليهم الصمود حتى الصباح ثم يمكنهم أن يحاولوا الخروج من هذا المكان اللعين. حاولت أن تفكر فربما يكون هناك رابط ما هنا وهم لا يعلمون بشأنه مثلما اقترح ديفيد. إن كان هناك من عرف دانا أو كانديس سابقًا فهو لا يعترف بذلك. من الممكن أن يكون ماثيو مُحِقًّا وهناك ما يخفيه جيمس وبرادلي. لقد رأت جيمس وبرادلي يتهامسان أيضًا، أو ربما كان ماثيو يحاول صرف الانتباه عنه ببساطة.

علمت أنها أصبحت تركز اهتمامًا قليلًا على ديفيد بايلي، لكنه بقدر ما تعتقد أنه قد يكون قتل زوجته فهي ليست خائفة منه الآن على وجه الخصوص.

تمنت فقط لو تبقى جوين بعيدة عنه.

السبت، الساعة التاسعة وخمس دقائق مساءً

استقروا على أرائكهم وكراسيهم حول المدفأة، وأكلوا وجبة جهزها جيمس وبرادلي على عجالة بينما ظل ديفيد برفقتهما في المطبخ، كما حضَّر جيمس إبريقًا كبيرًا آخر من القهوة.

لا يريد أحد أن ينام الليلة، لا يريد أي منهم أن يغمض جفنيه حتى. جلسوا جميعًا في صمت مشحون ولم يتكلموا عن الحقيقة التي يتجاهلونها.

التوت جوين بجسدها في محاولة منها أن تجد وضعًا مريحًا أكثر على الأريكة. لا تعلم من القاتل أو أين هو. لا يمكنها أن تتحمل التفكير في الأمر أكثر من هذا. لقد تيبَّست رقبتها من التوتر وأرادت فقط أن تنجو. سيحاولون شق طريقهم ليخرجوا من هنا قبل أي شيء في الصباح وهي متمسكة بهذا الأمل.

جلسوا جميعًا ملتحفين بالبطانيات وأصابعهم حول أكواب القهوة لتمدهم بالدفء. كانت هناك زجاجة من كحول الكاهلو قد أُخذت من عربة البار، ووُضِعَت على طاولة القهوة وتناوبوا على إضافتها إلى قهوتهم.

اعتقدت جوين أن فكرة الثمالة قد لا تكون جيدة، ولكن الكاهلو مذاقه جيد ومنحهم شعورًا بالهدوء. لاحظت بامتنان أن ديفيد لم يضع أي شيء في قهوته حتى يبقى يقظًا. إنه حاميهم وهي تؤمن بديفيد أكثر من ماثيو الذي يحمل مسدسًا ونادرًا ما يتركه من يده. كان يلعب به دون كلل وتمنت لو يضعه جانبًا، تمنت لو يخبره ديفيد أن يضعه جانبًا أو يأخذه منه فهو يصيبها بالتوتر.

حاول بقيتهم الآن التحدث عن أشياء أخرى، مثل الفنادق الأخرى التي مكثوا فيها في بلدان أخرى أو أي شيء يشغل بالهم في تلك الليلة الطويلة والمظلمة التي تنتظرهم. وجدت عينيها تنجرفان نحو ديفيد أكثر فأكثر كلما حل الليل. ظلت تفكر فيما دار بينهما الليلة الماضية. نظر إليها بين الحين والآخر وفي الواقع أصبح ينظر إليها بصورة متزايدة.

يبدو داكن البشرة وقويًّا بجانب الضوء الهزيل المنبعث من المدفأة والمصباح الزيتي. لم يكن حليق الذقن، لكن اللحية ناسبته جيدًا وانسدلت خصلة من شعره إلى الأمام على جبهته على نحوٍ راقها. أرادت أن تعيدها للوراء. تمنت لو جلسا بالقرب من بعضهما بعضًا، لو تشاركا الأريكة، لكنها تشاركتها مع رايلي.

تساءلت كيف سيراها ديفيد إن علم حقيقتها. لن تخبره بالأمر، ليس الآن. هناك شخص واحد فقط يعرف حقيقتها وحقيقة ما فعلته وهي تجلس بجانبها، ولكن رايلي لن تقول أي شيء.

الفصل الثاني والعشرون

سكبت رايلي الكاهلو في قهوتها بمعدل أكبر من البقية. إنهم يظنون بالفعل أنها تعاني مشكلةً في شرب الكحول، ربما هي كذلك لكن هذا الأمر يبدو هيِّنًا مقارنةً بالمشكلات التي يعانونها جميعًا الليلة. لقد أرادت فقط أن تخفف من وطأة ما تشعر به.

لاحظت الطريقة التي تبادل بها جوين وديفيد النظرات وقررت أنها لن تتقبل هذا، فهي يمكنها أن تصبح لئيمة قليلًا عندما تحتسي بعض كؤوس الكحول. قالت وهي تغامر بالمشاركة في المحادثة الهادئة: «إذن، ربما علينا أن نعرف بعضنا بعضًا أكثر قليلًا».

نظرت إلى ديفيد مباشرة وهي متأكدة تمامًا من الطريقة التي تبدل بها حاله الليلة الماضية على مائدة العشاء. إنه يعلم أنها تعرف حقيقته وتعلم من هو. يمكنها أن تشعر بجوين ينتابها التوتر بجانبها، وكذلك الغضب لكنها وجدت لورين وقتها تقول: «بالتأكيد، ولِمَ لا؟».

حدَّقت إلى رايلي التي أمامها على طاولة القهوة والتحدي في عينيها ثم سألتها: «لِمَ لا تخبريننا أنتِ قليلًا عن نفسكِ يا رايلي؟ ما الذي يزعجكِ إلى هذا الحد مثلًا؟».

نظرت رايلي إليها وهي تشعر بالدهشة والخروج عن مسار الأمور الصحيح. لم ترُقها لورين، لقد رأتها تدير عينيها من قبل والآن تصعب الأمور عليها، **كيف لها أن تجرؤ؟**

ترددت رايلي وهي غاضبة من لورين ثم قالت لها بنبرة تهديد: «أنتِ لا تريدين معرفة هذا».

- بالطبع أريد.

قالت رايلي لنفسها إنها لعينة لحوح، وصمتت ثم قالت بنبرة عدوانية: «لقد رأيت أشياء ستصيبك بالغثيان لذا لا تتجرئي على الحكم عليَّ».

- أنا لا أحكم عليكِ، أريد فقط أن أفهمك. أتذكر المرة الأولى التي تقابلنا فيها وجئنا إلى هنا وظننت أنك ربما كنتِ مضطربة بطريقة ما لأنك بدوتِ خائفة حتى **قبل** أن يحدث أي شيء من هذا.

مالت لورين إلى الأمام في الظلام وتابعت: «لذا، هل تعلمين شيئًا عمّا يدور هنا؟ لأنني **لا أثق بكِ**».

تجمدت رايلي في مكانها وهي عاجزة عن الكلام. لا يمكنها أن تصدق ما تتهمها به.

اعترضت جوين من جانبها وبدت غاضبة بوضوح وهي تقول لها: «ما الذي تقولينه؟ ليس لها أي علاقة بهذا!».

- حقًّا؟ ربما لا تكون هي من تقتل الناس، لكني لن أُفاجَأ إن كانت تعلم شيئًا! انظروا إليها!

صار الجميع يحدِّق إلى رايلي الآن وبدأت تشعر بالاضطراب، ولكنها حاولت أن تسيطر على نفسها. قال ماثيو محدقًا إليها: «لديها وجهة نظر، لقد كنتِ متوترة للغاية منذ أن وصلنا جميعًا إلى هنا ويمكن للجميع أن يرى هذا. اعتقدتُ أن هناك خطبًا ما بكِ، وكذلك ظننت... وكذلك ظننت دانا».

علق إيان بهدوء: «ربما ينبغي لنا جميعًا أن نتوقف».

اعترضت رايلي: «لا أعلم أي شيء عمّا يحدث هنا!».

فقالت جوين بنبرة جريئة غاضبة: «أخبريهم... أخبريهم ما مررتِ به وإلا سأخبرهم أنا!».

نظرت رايلي إلى جوين بامتنان، وتنهدت بقوة، ثم قالت لتوضح الأمر بحذر: «أنا صحفية».

ترددت ولوقت طويل قليلًا، وأخذت جرعة أخرى من شرابها الذي كان كاهلو أكثر منه قهوة في هذه المرحلة، ثم قال هنري بشكل استفزازي: «أجل؟ وماذا في ذلك؟».

وجهت رايلي نظراتها إليه وهي تشعر أنها محاصرة. لم تفكر في هنري حقًّا من قبل، ولكنها صارت تحتقره فجأة. نظرت في أرجاء الغرفة وهي تحتقر كل من فيها باستثناء جوين، صديقتها الوحيدة هنا، قبل أن تتابع: «كنت متمركزة في أفغانستان، في كابول معظم الوقت. قضيت ثلاث سنوات هناك ورأيت أمورًا مروعة».

بدأ صوتها يرتجف وهي تردف: «رأيت الكثير من المدنيين يُقتَلون، ومنهم أطفال ورُضَّع. رأيت القنابل تمزق الأوصال لتبقى ملقاة على الأرض فحسب. شهدت الكثير من الوحشية...».

صمتت لأنها لم تستطع قول المزيد. صار صوتها همسًا الآن وشعرت بجوين تحضنها بوضع ذراعها حول كتفيها. ركزت على ضغط ذراع جوين حولها واحتوائها لها لتقول بعدها: «ثم أخذوني رهينة».

قالت جوين وهي مصدومة بوضوح: «ماذا؟ أنتِ لم تخبريني بهذا قط».

خفضت رايلي بصرها وحدَّقت إلى ساقيها وهي توضِّح: «ظل هذا الأمر سرًّا. لقد احتجزوني لستة أيام حتى تفاوضوا على إطلاق سراحي. كانوا يوجهون مسدسًا إلى رأسي كل يوم ويتظاهرون بأنهم سيطلقون النار عليَّ، ثم يختارون شخصًا آخر بشكل عشوائي ويطلقون النار عليه في الحال».

صار جسدها يرتجف بالكامل الآن مما جعلها تشعر بالخزي رغم علمها أنه لا ينبغي لها أن تشعر بهذا فواصلت حديثها: «اعتقدتُ أنه يمكنني فعل هذا، كانت تلك القصص مهمة ويجب أن يقصها أحدهم. لذا تمسكت بالأمر قدر استطاعتي. حاولت التأقلم مع الوضع حتى بدأت أنهار».

انتظرت للحظة ثم عادت لتتلعثم بصوت هامس: «لكن بعد ذلك... لم يعد بمقدوري أن أستمر في هذا العمل».

ظلت جوين تدلك ظهرها ببطء في دوائر كبيرة لتمنحها شعورًا بالطمأنينة، بينما التزم البقية الصمت تمامًا.

ركزت رايلي على إحساسها بتدليك جوين لظهرها في دوائر ثابتة. في الواقع بوحها بهذا الكلام منحها شعورًا جيدًا. لقد سئمت من التظاهر بأنها بخير بينما ينظر إليها الجميع ويبدو عليهم بوضوح كأنهم يعتقدونها فقدت صوابها. صاروا يعلمون السبب الآن على الأقل. ذكَّرت نفسها أن ما من شيء لتخجل منه وأن مرضها دليل على إنسانيتها. حاولت في المرة التالية التي تحدَّثت فيها أن يبدو صوتها أكثر واقعية: «لقد عدت إلى وطني وأحاول أن أتعافى، أعاني اضطرابَ ما بعد الصدمة وأتناول أدوية لعلاجه. تستمر هذه الصور المرعبة في التبادر إلى ذهني، ولا أعرف أبدًا متى تظهر أمامي. أسمع صوتًا... كأن شيئًا يجوب ذهني، كأنني عدت إلى هناك، في الفوضى، في انتظار بدء عمليات القتل».

رفعت عينيها بعد ذلك ونظرت إلى كل واحد منهم، لاحت وجوههم الشاحبة في الأفق فوق بطانياتهم الداكنة، كأن رؤوسهم بلا أجساد وتطفو في الهواء.

اقتربت جوين بوجهها من وجه رايلي وهمست: «آه يا رايلي... أنا آسفة، أنا لم أدرك هذا... لم يكن لدي أدنى فكرة عمَّا حدث لكِ».

ارتجفت يدا رايلي فشبكتهما معًا وأضافت: «في الليلة الماضية عندما كنت أغفو ظننت أنني سمعت صرخة، لكني تجاهلتها لأنني لم أظنها حقيقية. أنا أسمع صرخات في رأسي كل ليلة عندما أحاول النوم».

خفضتْ نبرة صوتها لتهمس ثانيةً وقالت: «وأسمعها كل ليلة في أحلامي».

عندما صمتت ساد الصمت بالكامل باستثناء صوت أجيج النار، حتى الرياح هدأت للحظة.

قالت لورين بعدها: «أنا آسفة للغاية».

أمَّا هنري فلم يقل شيئًا في حين لعب ماثيو بمسدسه في توتر.

***

انكمشت بيفرلي في بطانيتها وهي تشعر بالبرد من رأسها إلى أخمص قدميها. أصابها الاشمئزاز مما قالته رايلي. شاهدت جوين تدلك ظهر رايلي

التي كان رعبها الواضح معديًا. صارت بيفرلي خائفة مما بالخارج ويختبئ في الظلال. لا تعتقد أن القاتل أحد هؤلاء الناس الجالسين حول النار. تعتقد أنه في الخارج، في حالة انتظار. شعرت وكأنها فأر محاصر لامع العينين يعلو صدره ويهبط بسرعة مع كل نفس.

جلس هنري بجانب المدفأة في الظلام. فكرت في طفليهما تيدي وكيت. كيف سيتأقلمان إن لم يعد والداهما إلى المنزل؟ أرادت فقط أن تعود للمنزل مع هنري، هذا ما أخبرت به نفسها. أرادت أن تعود الأشياء لما اعتادت أن تكون عليه.

***

احتسى ديفيد قهوته حتى آخر قطرة رغم أنها صارت باردة الآن. يجب أن يظل مستيقظًا وهو لم ينَم إلا لوقت قليل للغاية الليلة الماضية فأحس بالحرقة والحكة في عينيه. دقق النظر إلى قطيع خرفانه الصغير أو هكذا يراهم. يبدون كالخراف لأنهم جميعًا خائفون، ولا يعرفون ماذا يفعلون.

جعله ماثيو يشعر بالقلق. يبدو مضطربًا بعض الشيء. يَوَدُّ ديفيد لو يبعد المسدس عنه، لكنه لا يريد الاشتباك معه فلا يمكنه التنبؤ بما قد يفعله ماثيو.

لا يمكنه توقع ما قد يفعله أي منهم. ما كشفته رايلي عن نفسها منطقي. تاريخها وتجربتها يفسران شخصيتها المتقلبة، وعيناها الخائفتان اللتان تمسح بهما المكان باستمرار، وتوترها، واحتساؤها للكحول. علم أنها صحفية، ولكن إن كانت قد مكثت ثلاث أو أربع سنوات في أفغانستان، فربما لا تعرف عنه أي شيء على الإطلاق، شعرت بالغيرة فقط لأنه كان مهتمًا بجوين بدلًا منها، وربما جوين ليست لديها فكرة عن ماضيه. لكنها أخبرته أن هناك ما تريد التحدث معه بشأنه ولا شك أنه بشأن زوجته المقتولة، أو -وهذا ما خطر على باله الآن- قد يكون شيئًا يتعلق بها. قد تكون مرتبطة بشخص ما ولم تخبره الليلة الماضية.

لن يحظى بأي إمكانية لوجود أي نوع من المستقبل مع جوين إن لم يجتازوا هذه الليلة. يحتاج إلى التفكير في المشكلة التي تواجهه الآن واللعنة على رايلي وما قد تعتقد أنها تعرفه.

حاول ديفيد النظر إلى الموقف بطريقة تحليلية، بالطريقة التي كان لينظر بها إلى قضية. السيناريو الأكثر ترجيحًا هو أن ماثيو خطيب دانا قد قتلها. تجادلا وقد يكون دفعها إلى أسفل الدرج. ربما لم يقصد دفعها، ولكنه بمجرد أن دفعها أدرك أنه قتلها. هذا احتمال.

أمَّا كانديس... فربما كانت تعلم شيئًا عن ماثيو أو دانا، أو ربما علمت شيئًا عن وفاة دانا... قد تكون رأت أو سمعت شيئًا ما. هل كانت تتجسس على دانا وماثيو؟ لقد علمتْ من هما، ربما كانت تتجسس عليهما من وراء الباب، واسترقت السمع إلى مشاجرتهما، ثم توارت عن الأنظار عندما فتحا الباب ورأت -أو سمعت ربما- ماثيو وهو يدفع دانا من أعلى الدرج، لكن إن كان الأمر كذلك، فلماذا لم تقل شيئًا؟

ربما كانت خائفة للغاية من قول أي شيء قبل وصول الشرطة وانتظرت الوقت المناسب. قد يكون هذا السبب الذي قُتلت لأجله.

إن كان عليه إبداء رأيه فهو يتفق مع هنري في هذا الشأن، هو يعتقد أيضًا أن ماثيو هو القاتل على الأغلب. لقد كذب بشأن الشجار، وهو الشخص الأكثر احتمالًا لقتل دانا. قد تكون كانديس علمت شيئًا أو لها علاقة بهما بطريقة ما، وربما يحاول ماثيو إثارة الشكوك حول جيمس وبرادلي تزامنًا مع تعزيز وجهة النظر التي تشير إلى وجود شخص آخر في الخارج.

أو ربما هناك أحد في الخارج يقتلهم من أجل المتعة وإن كان هناك مثل هذا الشخص ويقتلهم لأنه يستطيع قتلهم أو يرغب في ذلك... فلن يصبح أي منهم في أمان.

الفصل الثالث والعشرون

السبت، الساعة العاشرة وعشرون دقيقة مساءً

حاولت جوين أن تسترخي على الأريكة. شعرت أنها آمنة نسبيًّا هنا وهي محاطة بالآخرين. شاهدت ماثيو بعين واحدة، بدا حذرًا على نحو مفرط وظل يمسح بعينيه الفراغ المظلم من خلفهم وكأنه يتأهب لأي خطر إلا أن تأثير اهتمامه لا يبعث الهدوء على الإطلاق، بل العكس. إنها تثق بديفيد أكثر، وحضوره جعلها تشعر بالأمان. سحبت البطانية أكثر حول رقبتها وانطوت على نفسها. شعرت بارتياح لأن حقيقة أمر رايلي قد أصبحت مُعلنة للجميع. لم تكن تعلم أنها تعاني اضطرابَ ما بعد الصدمة ولا أنها أُخذت رهينة. تعتقد أن ما حدث سيساعد رايلي بجعل الناس يفهمونها ومن ثم يدعمونها، وستحاول هي أيضًا أن تكون أكثر دعمًا لها. الصدمات تغير البشر، فكرت وهي جالسة في الظلام أنه عليها أن تعلم هذا.

إن نجوا من هذا -وقالت لنفسها إنهم بالطبع سينجون فَهُم جميعًا معًا الآن ولا يوجد ما سيفرقهم- فسيتعين عليها بعدها أن تخبر ديفيد بحقيقتها، لكنها أرادت أن تسأله في البداية عن **حقيقته هو**. تمنت -ومن المخيف إلى أي مدى تتمنى- ألا يكون هو ذلك الشخص الذي تظنه رايلي. تمنت لو أنه شخص آخر تمامًا، وأن تكون رايلي قد اختلط عليها الأمر بينه وبين شخص

آخر. رغم أن رايلي عادة ما تكون على حق بشأن الأمور. عليهم أن يخرجوا من هنا أولًا. أغمضت عينيها وَدَعت دعاءً صغيرًا متوسلة لقدوم الشرطة.

الأحد، الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق صباحًا

بدأت الأمور تنكشف عند منتصف الليل. كانت الردهة هادئة، لكن لم ينَم أي منهم.

شعرت رايلي أن هذا الصمت لا يُطاق. تحتاج إلى أي محادثة حتى تبقي الصور المروعة بعيدًا عن ذهنها. ظلت تنظر في الظلام إلى البقعة التي اعتادت جثة دانا أن تستلقي فيها وتذكرت وجهها الفظيع الذي سُلبت منه الحياة. تذكرت كانديس والوشاح الملتف بشدة حول عنقها. لا تريد أن تفكر في جرائم القتل التي ارتُكِبَت أو ما قد يحدث لبقيتهم. لذا فكرت في ديفيد بايلي بدلًا من ذلك. ظلت تركز انتباهها عليه حتى صار الأمر كرغبة ملحة لا يمكن مقاومتها. لم تستطع منع نفسها. مالت نحو ديفيد الذي كان يقظًا تمامًا مثلها ويجلس أمامها على الناحية الأخرى من طاولة القهوة ثم همست له: «أنا أعلم من أنت».

ظنت للحظة أنه سيتجاهلها أو يتظاهر أنه لم يسمعها. أوشكت على إعادة عبارتها بصوت أعلى لكنها وجدته يميل تجاهها وقتها. يمكنها أن ترى وجهه ثابتًا في وهج المصباح الزيتي.

رد عليها في نبرة منخفضة، لكنها لم تكن همسًا: «ما الذي تعتقدين أنك تعلمينه؟».

شعرت رايلي بتوتر جوين بجانبها. وضعت جوين يدها على ساقها من أسفل البطانية لتمنعها لكنها تجاهلتها وقالت: «علمت أنني ميَّزت اسمك الليلة الماضية، لكني لم أستطع أن أعرف أين رأيته إلا أنني ظللت أفكر في الأمر حتى تذكرت هذا الصباح».

لم تعد تهمس وكانت على دراية بإصغاء الآخرين الذين صاروا منتبهين الآن. حدَّق إليها وهو ينتظرها لتقولها ففعلت: «أنت ذلك المحامي الذي ألقت الشرطة القبض عليه لقتل زوجته».

حمل الصمت حول الموقد فجأة طابعًا مختلفًا: إنه صمت مشحون بصدمة الآخرين الذين سمعوا هذا لأول مرة، ثم قطعه قول ديفيد بحزم: «ألقت القبض عليَّ **وأخلت سبيلي**».

علقت رايلي بهمس عالٍ وشعور بالرضا: «إذن، إنه **أنت**».

إنه لشعور جيد أن تكون مُحِقًّا. التفتت لتنظر إلى جوين وأرادت أن تشمت بها، لكن جوين نظرت إليها بشيء أشبه بالكراهية وهذا أصابها بالاندهاش للحظة لكنها قالت لها: «لقد أخبرتك!».

فقال ديفيد بنبرة أكثر حزمًا: «لقد سقطت عني التهم. أنا لم أفعل هذا».

نظر إلى جوين الآن ليقيس رد فعلها بينما قالت رايلي: «سقوط التهم فحسب لا يعني أنك لم تفعلها، بل يعني فقط أنهم لم يستطيعوا إثبات التهمة عليك».

ابتسمت ابتسامة ماكرة وأضافت باستخفاف: «دائمًا ما يفعلها الزوج».

فقالت جوين: «اصمتي».

نظرت إليها رايلي في دهشة وقالت لها: «أنا أسدي إليك معروفًا، لقد أخبرتك أن هذا الرجل مثير للمشكلات».

- لقد قال إنه لم يفعلها.

لتقول رايلي في سخرية: «آه، وأنتِ تصدقينه؟».

سألت لورين وهي تنظر إلى ديفيد في صدمة: «لقد قُتلت زوجتك؟».

فاعترف ديفيد: «أجل، لكنني لم أفعلها».

ساد صمت طويل مملوء بالصدمة حتى استوعب الجميع ما قيل، ثم سأله إيان: «هل أمسكت الشرطة بالجاني؟».

- لا.

قال هنري بنبرة اتهام: «مهلًا، لمَاذا ينبغي لنا أن نصدقك؟».

ثم رفع صوته وأضاف: «نحن نجلس هنا في انتظار قتل أحد آخر لنكتشف أن زوجتك قد قُتلت؟».

عاد إيان ليقول: «لنهدأ جميعًا، لِمَ لا ندعه يخبرنا بقصته؟».

فقالت رايلي دون أن تبعد عينيها عن ديفيد: «يمكنني أنا أن أخبركم بالقصة. لقد نشرتها جميع الصحف، ولا بد أن يكون بعضكم سمع عنها. يعود محامي دفاع محترم في مدينة نيويورك إلى منزله في وقت متأخر بإحدى الليالي ليجد زوجته ممددة في بركة من الدماء داخل مطبخ منزلهما الراقي الذي يقع في ضاحية مترفة. لقد تعرضت للضرب حتى الموت».

مالت نحو ديفيد في عدوانية وأضافت: «كان رأسها محطمًا وظهرها مكسورًا حسبما أعتقد. هل ما فهمته صحيح حتى الآن؟».

لم يجبها، لكنه حدَّق إليها في تبلد بينما تابعت هي: «لقد ادعى أنه عاد إلى المنزل ووجدها ميتة، لكن المشكلة كمنت في عدم اتصاله بالشرطة إلا بعد ساعة تقريبًا. لم يكونا على وفاق كما أنها أمنت على حياتها بمبلغ مليون دولار. ألقت الشرطة القبض عليه على الفور تقريبًا، لكنه **وكَّل محاميًا جيدًا للغاية** وهذا لأنه، كما ترون، يعرف أشخاصًا مهمين».

جلست وهي تشعر بالرضا ونظرت إلى جميع من في الغرفة واحدًا تلو الآخر باستثناء جوين التي لم تجرؤ على النظر إليها. لقد كانوا جميعًا يصغون إليها بانتباه، والآن التفتوا إلى ديفيد وحدَّقوا إليه.

***

سمع ديفيد رايلي وهي تسرد القصة بطريقتها الاتهامية الساخرة فصار يعلم كم تبدو قصته مروعة. علم أن الجميع يحدِّقون إليه وشعر بغضب لأن عليه أن يدافع عن نفسه... من جديد. دائمًا ما اضطر إلى الدفاع عن نفسه. كره رايلي في هذه اللحظة. لا يكرهها لأنها كشفته -فقد اعتاد تعرف الناس عليه بعد كل شيء، وعلى همسهم بشأنه فقد كانت القضية وصمة عار شهيرة للغاية- لكن بسبب دوافعها القبيحة فقط. أرادت رايلي أن تمنع اقترابه من جوين. كان سيخبر جوين بنفسه، لكنها سمعت القصة الآن بأسوأ طريقة ممكنة.

ما حدث له لن ينتهي أبدًا، سيظل يدافع عن نفسه دائمًا وسيظل هناك من لا يصدقونه دائمًا. لقد تعلم أن الناس يصدقون ما يريدون تصديقه ومن المخيف حقًّا مدى سهولة تصديقهم له.

عاد يومها من العمل إلى المنزل في وقت متأخر، مثل معظم الليالي التي يكون فيها في منتصف إحدى القضايا. يستطيع تذكر تفاصيل تلك المحاكمة بالكاد الآن، فهو لم ينهها على أي حال، بل تولى أمرها شخص آخر من الشركة. أدى مقتل زوجته العنيف إلى التحقيق معه والقبض عليه لذلك لم يعمل لأشهر بعد ذلك.

يذكر عودته في تلك الليلة إلى المنزل الذي كان مظلمًا بالكامل تقريبًا، بينما تبقَّى مصدر ضوء واحد فوق الشرفة، أمَّا في الداخل، فجاء الضوء الوحيد من المطبخ، وكان ضوء الموقد. عادة ما كانا يتركانه مشتعلًا طوال الليل، كنوع من الضوء الليلي في الطابق الأول.

دخل من الباب بهدوء مثلما كان يفعل دائمًا في تلك الأيام. لم ينادِها قائلًا: «باربرا، لقد عدت إلى المنزل» مثلما اعتاد أن يفعل في الماضي عندما كانت تسعد برؤيته. خلع معطفه وعلقه في خزانة الصالة، وأول ما فكر فيه هو أنها أوت للفراش بالفعل من دونه. من الصحيح تمامًا أنهما لم يكونا على وفاق في ذلك الوقت، ولا يمكنه إنكار أنهما كانا يعانيان مشكلات زوجية كما لم يمكنه إنكار أن حياتها كان مؤمنًا عليها. لم يهم أنه كان ميسور الحال وقتها بالفعل على ما يبدو، وظنوا أنه حتى الأشخاص الآمنين ماديًّا جشعهم لا ينتهي أبدًا. كان هذا بمنزلة ضربة ضده وقد أصابته الدهشة وقتها، فهو قد أمَّن على حياته بنفس المبلغ، ولكن هذا لم يهم أيضًا. اعتقدوا أن بوليصة تأمين على الحياة بقيمة مليون دولار كانت مبالغًا فيها.

جلس في غرفة المعيشة بإرهاق، لقد أنهكته المحاكمات وجلس هناك لبعض الوقت يفكر كيف سارت الأمور في المحكمة في ذلك اليوم، وكيف قد تسير غدًا، ثم فكر في حياته وكم كانت الأمور صعبة مع باربرا. كانت طاقته مستنفدة للغاية حتى على أن ينهض ويذهب إلى المطبخ ليسكب شرابًا لنفسه وهذا ما كان سيئًا للغاية له بعدما تطورت الأمور. نهض في النهاية وشق طريقه عبر غرفة المعيشة وغرفة الطعام المظلمتين ليصل إلى المطبخ. بدأ عندها فقط يشعر بالخوف تقريبًا عندما وصل إلى المطبخ، رغم أنه كان لا يزال لا يعلم السبب. اشتبه أنه يشم رائحة دماء في مرحلة ما رغم أنه لم يكن على دراية بذلك. وصل بعدها إلى باب المطبخ ورآها...

كانت مكومة على أرضية المطبخ بملابس النوم. بدا كأنها تعرضت للضرب وهي تعد لنفسها كوبًا من الشاي العشبي. كان يوجد كوبٌ على طاولة المطبخ وبجانبه عبوة شاي مفتوحة، لكنها على الأرض غارقة في دمائها. هناك من ضربها حتى الموت، حطم رأسها، وأوسع وجهها ضربًا. تمددت إحدى ذراعيها أسفلها وبدت مكسورة بوضوح.

إحدى الأفكار الأولى التي خطرت على باله وسط الرعب الذي أصابه بالشلل هي إن كانت عانت قبل موتها أم لا. تساءل إن كانت الضربة الأولى قد باغتتها، وإن كانت قد قتلتها، لكنه كان يعرف باربرا جيدًا، وشك أنها قاومت بضراوة. تناثَرَ الدم في كل مكان، لقد قاومت بالطبع. لم تكن باربرا وديعة قط، لقد كُسرت ذراعها بالتأكيد. اتضح فيما بعد –بعدما أخبروه لاحقًا- أن ظهرها قد كُسر أيضًا. لقد تلقت ركلات وحشية بعد موتها وهذا سبب آخر دفعهم إلى الاشتباه به لأنها بدت كجريمة عاطفية. رغم ذلك ربما فعل القاتل هذا لتبدو الجريمة بهذه الطريقة، هذا ما فكر فيه ديفيد في ذلك الوقت. لقد حاول أحدهم الإيقاع به.

تحدث أخيرًا وقال: «أغلب ما قلتِه صحيحٌ. كنت أعمل لوقت متأخر في تلك الليلة. كان المنزل مظلمًا عندما عدت إليه، وافترضت أن باربرا زوجتي أوت إلى الفراش».

أخذ نفسًا عميقًا وأطلق زفيرًا ثم تابع: «لم نكن على وفاق، وتحدثنا عن الانفصال. هذا لم يكن سِرًّا، لقد أخبرت بعضًا من صديقاتها، وأخبرتُ أنا صديقًا أو اثنين في العمل. من الصحيح أيضًا...».

نظر إلى رايلي مباشرة وهو يقول: «أنها أمَّنت على حياتها بمبلغ مليون دولار كما فعلتُ أنا. كان هذا التأمين موجودًا لسنوات عدة منذ وقت مبكر من زواجنا».

نظر إلى كل أفراد المجموعة ووقعت عيناه على جوين في النهاية. حاول أن يتبين تعبير وجهها، ولكنه لم يستطع بسبب الظلام الشديد. كانت تتكئ على الأريكة التي أمامه في الظل عندما تابع: «أنا لم أقتلها، كانت ميتة بالفعل عندما وصلت. وجدتها مستلقية على أرض المطبخ ومغطاة بالدماء».

تردد ثم أردف: «لقد أشعلت الإضاءة العلوية. كانت أسوأ لحظة مرت عليَّ في حياتي».

صمت للحظة ليستعيد قوته قبل أن يقول: «ظننتها تلقت طعنات عديدة لوجود الكثير من الدماء، لكني لم أجد سكينًا. كانت قد تعرضت لضرب مبرح».

غطى وجهه بيديه ثم أزاح يديه عن وجهه ببطء مرة أخرى وواصل حديثه: «اتصلت بالطوارئ فورًا وقلت إنني أتيت من العمل إلى المنزل ووجدتها هكذا، لكني أخطأت في تلك المكالمة لأنني لم أذكر جلوسي بمفردي في غرفة المعيشة لساعة تقريبًا قبل أن أجدها. لم أفكر في ذكر الأمر، كنت تحت ضغط شديد ولم أفكر بشكل صحيح. أخبر جاري من المنزل المجاور الشرطة بعدها أنه لاحظ الوقت الذي سرتُ فيه بسيارتي -في الطريق- وركنتها. لقد رأى الأضواء وعلم الوقت بالضبط. عندما سألوني وقتها عن الفرق ما بين وقت عودتي إلى المنزل ووقت اتصالي بالطوارئ، أخبرتهم بالحقيقة على الفور، لكنهم اشتبهوا بي واعتقلوني، فبعد كل شيء...».

نظر إلى رايلي باستياء وتابع: «كنت زوجها وعلم الناس أن زواجنا كان يمر بأزمة ثم أثار أحدهم ضجة كبيرة بشأن بوليصة التأمين».

أخذ نفسًا عميقًا مرة أخرى وقال: «كان جحيمًا لا يُطاق، كابوسًا لا يُصدق. قُتلت زوجتي واعتقلتني الشرطة بسبب ذلك، وُضعت في السجن، ورفضوا الإفراج عني بكفالة، رغم أنني لم أفعلها».

عم الصمت لوقت طويل حتى استوعب الجميع ما سمعوه للتو، ثم علقت جوين بصوتها المنخفض: «لكنهم أسقطوا التهم عنك».

نظر إليها ليجدها مالت إلى الأمام قليلًا، ثم قال: «أجل، لم يجدوا أي دليل ضدي. افترضوا أن لدي دافعًا لكنهم لم يجدوا ولو دليلًا ماديًّا صغيرًا ليثبتوا الجريمة عليَّ. إن كنت قد قتلتها، لتلطخ جسدي بالدماء وملابسي كذلك. حاولوا أن يعرفوا كيف استطعت قتلها وتنظيف نفسي وتدمير أي دليل في تلك الساعة، لكن لم يصلوا إلى أي شيء، لم يصلوا إلى سلاح الجريمة حتى. أكثر ما أدانني هو أنني لم أملك حجة غياب. جلست بمفردي في غرفة المعيشة تلك الساعة. حددوا أن وقت الوفاة كان قريبًا للغاية من وقت عودتي إلى المنزل.

لا بد أنني فوَّتُّ لقاء من فعل ذلك ببضع دقائق. سأل ضباط التحقيق الجار إن كان قد رأى أي شيء، لكنه كان بالخارج يلعب بأوراق اللعب إلى أن رآني أصل إلى المنزل مباشرةً، لذا لم يكن ذا عون. أمَّا الجار القاطن في المنزل المجاور لنا من الجانب الآخر فكان خارج المدينة، والجيران المقابلون لنا في الشارع يخلدون إلى النوم باكرًا، فلم يرَ أي أحد شيئًا».

نظر بتمعن إلى أفراد المجموعة الصغيرة الجالسين من حوله ويصغون إليه بأعين متسعة ليقول بعدها: «كان يمكن لأي أحد أن يركن سيارته في الشارع ويسير إلى الباب الأمامي أو يتسلل من الخلف. لم يُسرق شيء من المنزل ولم يجدوا أي أثر للاقتحام، لكن ربما سمحت باربرا لأحدهم بالدخول إن كانت تعرفه. لم تكن خائفة من أي أحد أيضًا. ربما كانت في علاقة غرامية، أنا لا أعلم. لم أشك في شيء كهذا قط، ولم تجد الشرطة شيئًا من هذا القبيل كذلك».

هز ديفيد رأسه ببطء وأضاف: «هناك من أراد قتلها بوضوح، أو ربما أراد الإيقاع بي، لا أرغب بشيء أكثر من اكتشاف هويته».

عبس بشدة وقال: «كان عليهم أن يسقطوا التهم، لكن هذه –الوصمة- أصبحت جزءًا من حياتي. أتمنى لو كان بمقدوري أن أقول إنني اعتدتها، لكنني لم أعتدها ولا أعتقد أنني سأفعل أبدًا».

نظر إلى الجميع واحدًا تلو الآخر ثم ختم حديثه بقوله: «لا يمكنني أن أجعل أيًّا منكم يصدقني. لقد قلت الحقيقة، لكني اكتشفت أن الناس تصدق ما تريد تصديقه، ولا يمكنني فعل أي شيء حيال هذا الأمر».

الفصل الرابع والعشرون

أصغت جوين لجانبي قصة ديفيد برعب. صار جسدها أبرد بكثير مما كان عليه قبل أن تلتف بالبطانية الآن. بدا هذا أسوأ مما توقعت. ظننت في البداية أنهم ربما اعتقلوه لمجرد أنه زوج القتيلة، وسرعان ما أدركوا خطأهم، لكن هذه القصة تبدو غير مقنعة للغاية، وغير مرضية. لم تكن هناك أدلة كافية لإحالته إلى المحاكمة... **لكن هل تصدقه؟** كانت رايلي محقة في شيء واحد، لا بد أنه وكَّل أفضل محامي دفاع ممكن.

كان قبول الساعة المفقودة التي بين موعد وصوله إلى المنزل واتصاله برقم الطوارئ أمرًا مزعجًا للغاية. إنه محامي دفاع جنائي، يعرف ماذا يفعل، يعرف كيف يدمر الأدلة أو يتخلص منها. إنها لا تعرف ما ينبغي لها أن تصدق.

***

تحرك هنري في مقعده وهو لا يشعر بالراحة. صارت أنفاسه قصيرة وأصبح هذا الوضع برمته لا يُصدَّق على نحو متزايد. كل هذه الاكتشافات غريبة، رايلي وقصصها عن احتجازها كرهينة، ورفع مسدس أمام رأسها، والأطراف المقطوعة في الشوارع. لا عجب أنها غريبة للغاية. وهذا الشيء الذي بخصوص ديفيد قد صدمه للغاية، *يا إلهي، هل قتل زوجته؟*

ظن هنري أنه ينظر إلى الأمر من منظور مختلف قليلًا عن الآخرين. نظر إلى زوجته التي تجلس على مسافة قريبة منه وترك نظره يستقر عليها. لا يشك أن ديفيد قد قتل زوجته لأنه يمكنه تفهم الأمر. يمكنه فهم الدافع الذي يجعلك ترغب في قتل زوجتك، ترغب في إنهاء الأمور فقط وأن تستطيع المضي قدمًا دون كل هذا الانتقاد. يود لو يمد يده إلى المدفأة ويمسك المحراك الحديدي -الذي كان على بعد ذراع واحد منه- ثم يضرب به زوجته المطمئنة على رأسها. يعلم كيف سيكون شعوره بالضبط، كيف سيكون ملمس المحراك في يده لأنه كان يشعل النار من وقت لآخر. تخيل أنه ينحني وكأنه يثير ألسنة اللهب ثم يغير مساره ويلتف فجأة ثم يرفع ذراعه ويخفض المحراك بأقصى سرعة وقوة لديه ليهشِّم عقلها. هل سترفع رأسها في الوقت المناسب لتدرك ما الذي يفعله؟ كيف سيبدو وجهها؟ سيتعين عليه أن يصيبها من أول مرة. تساءل إن كان المحراك سيفي بالغرض وسيكون ثقيلًا بما يكفي. هل سيكون لديه ما يكفي من القوة في ذراعه؟ كم مرة سيتعين عليه أن يضربها ليصبح متأكدًا؟ ربما عليه استخدام شيء أثقل...

أدرك هنري أنه يقبض يديه بإحكام أسفل البطانية.

طرف بعينيه بسرعة كأنه يقضي على هذا الخيال الذي هرب به بعيدًا. لن يفعل هذا بالطبع، حتى إن لم يكن هناك أحد يشاهده هنا لن يفعلها. الأفكار ليست كالأفعال، إنهما ليسا الشيء نفسه على الإطلاق. رغم ذلك يمكنه تفهُّم الدافع. لذا لا يصعب عليه اعتقاد أن ديفيد ربما قتل زوجته.

لاحظ أن زوجته تحدِّق إليه في الظلام، وتساءل للحظة بقلق إن كان يمكنها قراءة أفكاره. تبادرت إلى ذهنه بعدها فكرة ما، وقبل أن يفكر فيها تمامًا قال بصوت عالٍ: «ربما كانت كانديس تعرف ديفيد، ربما كانت تؤلف كتابًا عنه».

مال نحو ديفيد وأردف: «لقد قلت إن القضية قد نشرت في جميع الصحف».

علق ديفيد على كلامه باستخفاف: «هذا أمر سخيف».

- أتظن ذلك؟ ربما علمت شيئًا عن قضيتك، وكانت ستنشره في كتابها، لكنك اكتشفت أنها ستأتي إلى هنا فأتيت لتضع حدًّا للأمر.

تدخلت جوين بغضب وقالت له: «هذا هراء! وكيف لك أن تفسر موت دانا إذن؟ لماذا قتلها؟ هذا سخيف».

- لا، ليس كذلك لأن نظريتي كالتالي: تشاجر ماثيو مع دانا ودفعها إلى أسفل الدرج، وديفيد قتل كانديس لأنها كانت تؤلف كتابًا لفضحه. الجريمتان ليس لهما علاقة ببعض، إنها محض مصادفة.

انتقدته بيفرلي: «من تظن نفسك؟ هيركيول بوارو؟».

رمق هنري زوجته بنظرة بغيضة، ثم قالت لورين ببطء: «لقد لاحظت فعلًا أن كانديس ظلت تحدِّق إلى ديفيد خلال عشاء الليلة الماضية. وجهت انتباهها لماثيو، ودانا وديفيد فقط. كنت تدير ظهرك لها يا ديفيد لكنها ظلت تحدق إليك قطعًا».

***

قال إيان ليكسر الصمت المطبق الذي ساد بعدها: «ربما حان وقت احتساء مشروب آخر؟».

نهض إيان وسحب عربة البار ليقربها منه عندما لم يتحرك برادلي من مقعده. كان من الصعب عليه أن يرى في الضوء الخافت فالتقط المصباح الزيتي من على طاولة القهوة، ورفعه فوق عربة البار ثم قال: «ما زال الكثير من المشروبات هنا».

سكب إيان المشروبات وأعطاها للجميع ثم جلس في مكانه بجانب لورين مرة أخرى، وأردف وهو مستغرق في تفكيره: «أنا أيضًا لديَّ قصة لأرويها. إنها ليست بالأمر الكبير حقًّا، ليس بها أسرار غامضة ولم أُتَّهم بقتل أي أحد. لم تعتقلني الشرطة في حياتي قط، ولم أكن في منطقة حرب ولا رأيت أناسًا يُذبحون قط. حظيت بطفولة عادية للغاية، ونشأت في ولاية «آيوا» مع والديَّ وإخوتي».

صمت للحظة ثم تابع: «لكن، عندما بلغت سن الثالثة عشرة أخي الصغير مات. كان في العاشرة من عمره وكان الأمر قاسيًا».

سألته جوين: «ما الذي حدث؟».

- لقد غرق في بركة محلية.

- أنا آسفة للغاية.

أومأ وخفض بصره إلى المشروب الذي في يده وأضاف: «كانت أمي غاضبة للغاية وذهب هو إلى البركة بمفرده. لم يكن مسموحًا له بالذهاب وحده، لكننا جميعًا كُنَّا نقوم بأشياءَ أخرى وذهب هو على أي حال. هكذا كان طبعه، عنيدًا وصعب المراس. لم يصغِ إلى ما يقال إليه ودائمًا ما فعل ما يريد من دون أن يأبه بالعواقب مطلقًا. ذهبنا للبحث عنه عندما لم يعد على العشاء. لم يكن أمرًا غير مألوفٍ فنحن كُنَّا دائمًا ما نعود للمنزل في وقت متأخر عن موعد العشاء».

تردد للحظة وأخذ جرعة من شرابه ثم قال: «كنت أنا من وجدته».

مدت لورين يدها، وأمسكت بيده لتضعها فوق ساقيها؛ لقد أخبرها بهذه القصة من قبل. تابع إيان سرد قصته: «لم يتجاوز والداي الأمر حقًّا قط، لقد حطمهما هذا كثيرًا. لذا، أظن أن هذه كانت الواقعة الحزينة في طفولتي، التي كانت طبيعية بخلاف ذلك».

علقت رايلي بتعاطف صادق: «هذا أمر مأسوي».

فقال إيان وهو يمد يده ليأخذ كأسه: «لقد حدث هذا منذ وقت طويل».

***

ظل ديفيد يراقب إيان بعناية، لقد راقبهم جميعًا وهو يحاول التظاهر بالعكس. ثمة شيء يزعجه بشأن الطريقة التي سرد بها إيان القصة. اعتاد ديفيد مقابلة الموكلين الماهرين للغاية في الكذب وعادة ما كان يمكنه معرفة أمر كذبهم من الطريقة التي تتجه بها أعينهم إلى أعلى وإلى اليسار ومن ترددهم وتعبيرات وجوههم العابرة. انبعث من المصباح الزيتي ضوء كافٍ ليرى وجه إيان. إن طلب منهم أحد أن يبدي رأيه حول إذا ما كان إيان يقول الحقيقة عن أخيه أم لا فستكون إجابته لا.

يعلم أنه لا يمكن أن يعرف دائمًا إن كان من أمامه يكذب أم لا، ولقد تبين أنه على خطأ من قبل كما أنه متعب ومرهق والظروف من حوله غريبة للغاية بالنسبة إليهم جميعًا. هناك شيء ما بشأن إيان الآن -الرجل الذي رآه دافئًا ومنفتحًا وغير معقد حتى الآن- شيء جعله يحذر.

الفصل الخامس والعشرون

هناك نوع من الحميمية القوية والغريبة في هذه الغرفة مع ارتجاف شعلة المصباح الزيتي وصوت النار وجلوسهم جميعًا بجانب بعضهم بعضًا ملتفين في البطانيات بسبب خوفهم من الذهاب لغرفهم. إنها أجواء جذابة، لكن لورين قالت بهدوء: «أخشى أنني ليست لديَّ أسرارٌ غامضة أيضًا».

هذا لم يكن صحيحًا تمامًا. لقد نجت من عائلة مختلة وفترة مريعة وقصيرة قضتها في دار رعاية، لكنها نجت. لقد صنعت شأنًا لنفسها، وليس عليها أن تشارك هذا مع أي أحد لا ترغب مشاركته معه. ابتسمت بإرهاق وأضافت: «بالطبع مررت ببعض الأمور الصعبة في حياتي، وأنا لن أشاركها معكم. إنها مشكلات عائلية كالمعتاد، ولا أظن أن هناك من خرج من عائلته سالمًا، لكنني بالتأكيد ليس لدي ما أخفيه».

سألتها رايلي لتحثها على الحديث: «لا شيء على الإطلاق؟».

تفقدت لورين رايلي بعينيها لتجدها تنظر إليها وكأنها لا تصدقها. يبدو أن رايلي متحاملة عليها. هذا تصرف معقول، فلورين كانت قاسية قليلًا عليها قبل فترة قليلة. أخبرتها تقريبًا أنها تعتقد أن هناك خطبًا خطيرًا بها. صاروا الآن على الأقل يعلمون ما هو هذا الخطب، ولماذا تتصرف على هذا النحو.

رغم هذا، فهي لن تقبل أي معاملة سيئة من رايلي، فسألتها مباشرةً: «لماذا يصعب تصديق هذا؟».

رفعت رايلي كتفيها وأشاحت بنظرها بعيدًا فقررت لورين أن تتغاضى عن الأمر، لكن هنري سألها: «وماذا عن الحبوب المنومة إذن؟».

فوجئت لورين وأجابته: «أعاني صعوبةً في النوم، دائمًا ما كنت كذلك، ولهذا آخذ حبوبًا منومة».

أومأ إيان بجانبها وقال: «هذا صحيح».

التفتت رايلي إلى جوين بعدها على نحو مفاجئ وقالت: «إن كان هذا وقت الاعتراف حقًّا، لماذا لا تخبرين الجميع **بسرك** الغامض للغاية؟».

دُهشت لورين وشاهدت جوين تتجه إلى رايلي بنظرة جادة، لكن رايلي كانت قد شربت كأسها من النبيذ بسرعة كبيرة، ويبدو أنها تفقد قدرتها على السيطرة على نفسها وربما فقدت حسها السليم أيضًا.

لاحظت لورين أنها في حالة سكر تام وصارت تشعر بفضول كبير فجأةً بشأن ما سيحدث بعدها. تساءلت ما الذي تعرفه رايلي عن جوين، فهي تود أن تعلم.

***

ردت جوين عليها بقولها: «اغربي عن وجهي يا رايلي».

صار قلبها يخفق بقلق. لا تريد أن تصبح تحت بؤرة الضوء ولا تريد أن تشارك ماضيها مع أي أحد. إنها لا ترغب في قول كل شيء أمام مجموعة الغرباء هذه ولا أمام ديفيد، ليس بهذه الطريقة بالتأكيد. رغم ذلك تساءلت ما الذي ستشعر به عندما تزيح هذا الحمل عن كتفيها وتعترف إلى أحد آخر غير رايلي. قد تشعر بالحرية وربما تستطيع مسامحة نفسها وقتها. لن تسيطر عليها رايلي بهذا السر بعدها، وربما لن تعودا صديقتين.

نظرت أمامها على نحو غامض إلى وجه ديفيد الوسيم. أرادت أن تخبره وأرادت أن ترى رد فعله. إنها تنظر إليه، ولا تعلم حتى ما طبيعة الرجل الذي تنظر إليه. قد يكون رجلًا قتل زوجته ويتحلى بذكاء كافٍ ليُخفي آثاره بنجاح.

لقد اقترح هنري أنه قد يكون قتل كانديس وهي لا تعلم وتتمنى لو لم يأتيا هنا إلى هذا المكان المروع البائس، وتمنَّت لو أنها لم تقابل ديفيد الذي جعلها في حالة اضطراب قط، ولا أيًّا من هؤلاء الأشخاص الآخرين أيضًا.

سألها ديفيد: «هل أنتِ بخير؟».

كان اهتمامه بها مغريًا للغاية، لكن عليها أن تحترس منه. شعرت أنها أصبحت باردة بلا مشاعر فجأة قبل أن تقول: «أنا بخير».

تعلم أن صوتها بدا قاسيًا كأنها تدفعه بعيدًا. أرادت أن تدفع أولئك الناس الفظيعين بعيدًا عنها، بخاصة ماثيو الذي يعبث بالمسدس باستمرار. لكنها قالت لنفسها إنه حتمًا لأمر مربك للغاية أن تفقد شخصًا فجأة وبوحشية، شخصًا يعرفك أكثر من أي شخص آخر، شخصًا كنت تعتمد عليه لترسيخ عالمك.

الأحد، الساعة الواحدة وعشر دقائق صباحًا

تراجع ديفيد في مقعده وهو مرهق ومنزعج من توبيخ جوين. عبث ماثيو بالمسدس جعل الجميع في حالة توتر.

قال ديفيد على نحو مفاجئ: «اترك هذا المسدس يا ماثيو إنه يُقلق الجميع».

توقفت يداه عن الحركة، لكنه لم يترك المسدس وقال بدلًا من هذا: «يمكنكم جميعًا أن تجلسوا هنا وتنتظروا، أمَّا أنا فسأذهب لألاحق هذا اللعين».

نهض فجأة من مقعده وسأل: «أين ذلك الكشاف؟».

قال له ديفيد بحزم: «لا يمكنك فعل هذا، لا يمكنك أن تذهب إلى أي مكان بمفردك أو حتى مع المسدس. هذا خطير للغاية».

نظر ماثيو بازدراء إلى بقيتهم وأردف: «لماذا أهتم؟ هل ستعطونني الكشاف أم لا؟».

ذكَّره ديفيد وهو ينتزعه: «لقد نفدت بطاريته تقريبًا، لا تفعل هذا».

هذا ما كان يخشاه ديفيد، انقسام المجموعة. أعتقد أن عليهم البقاء معًا. لا يريد أن يخرج ماثيو بمفرده. لا أحد يريد أن يتجول رجل عصبي ومجهد في أرجاء المكان حاملًا مسدسًا في يده. قطيعه الصغير يتفكك. قد يكون هناك شخص ما بالخارج، ينتظر أن يشق أحدهم الصف ويركض في الظلام ليكون ضحيته التالية. **أو قد يكون القاتل هنا في متناول يده.**

أينبغي له أن يترك ماثيو يذهب؟

ربما سيُقتل ماثيو بالخارج ليعلموا بعدها أن القاتل ليس واحدًا منهم. أغراه استخدام ماثيو كطُعم للقاتل، لكنه أدرك هذا وشعر بالاشمئزاز.

سألهم ماثيو: «هل يرغب أي أحد في القدوم معي؟».

تصارع ديفيد مع نفسه، أعليه أن يذهب معه أيضًا ويترك البقية بمفردهم؟ نظر إلى الآخرين ليجدهم يشاهدون ماثيو بقلق. لم يجِبه أي أحد فقال: «حسنًا، سأذهب بمفردي».

ثم قالت جوين: «لكن... كيف تعتقد أنك ستجده؟ لقد فتشنا أرجاء هذا الفندق. ابقَ هنا معنا. سنخرج جميعًا في الصباح إلى الطريق».

صمتت، ثم أضافت: «أرجوك».

نظر إليها في النهاية بعدم اكتراث، واتجه إلى الدرج ثم ابتلعه الظلام ببطء.

***

شاهدت بيفرلي ما يحدث في قلق، بينما عمَّ على البقية صمتٌ مشحون بالتوتر. تبقى تسعة أشخاص حول المدفأة: جوين وديفيد يجلسان أمام بعضهما بعضًا، لورين وإيان يتشاركان إحدى الأرائك، هي وهنري يجلسان على مقعدين متقابلين. أمَّا رايلي فتركت الأريكة التي كانت تتشاركها مع جوين وانتقلت قرب المدفأة بينما جلس جيمس مع برادلي بالقرب من بعضهما بعضًا.

تساءلت بيفرلي إن كان ماثيو قد ذهب إلى الموت للتو.

نهض ديفيد فجأة وتمتم بسبة ثم تبع ماثيو إلى الظلام الدامس فقالت رايلي: «يا له من أحمق».

تمنت بيفرلي بشدة أن يعود ديفيد؛ فهي تريد أن تخرج من هنا على قيد الحياة. تريد أن تنجو الليلة ولا تتحمل أنه تخلى عنهم.

***

تسبب موت دانا في تزعزع استقرار ماثيو بالكامل. صعد الدرج المظلم بسرعة ووصل إلى الطابق الثالث من هذا الفندق القديم حاملًا الكشاف الذي ألقى نوره الباهت على السجادة المزخرفة بالزهور.

وقف في الممر وتعجب كم المكان باردًا ومظلمًا هنا، إنه بارد كالمشرحة. سمع صوتًا خلفه فنظر وراءه نحو الدرج الذي تلاشى في اللون الأسود. أطفأ الكشاف الضعيف وأصبح لا يرى شيئًا على الفور. وقف في مكانه بلا حراك تمامًا وأصغى بحرص وهو يُميل رأسه. سمع ديفيد بعدها وهو يناديه. يبدو أنه تحته في الطابق الثاني تقريبًا.

لم يُجِبه ماثيو، سيريده ديفيد أن يعود مع الآخرين فقط، ولكن ماثيو لا يشعر أنه جزء من هذه المجموعة الصغيرة. ليس عليه أن يتبع قواعدهم كما أن لديه مسدسًا. ظل قلبه يخفق وهو يشق طريقه بهدوء في الممر الذي على يمينه، وأدار كل مقابض الأبواب في طريقه. كانت يداه متعرقتين ووجد جميع الأبواب موصدة بالطبع. عاد إلى نهاية الممر باتجاه الدرج، ونظر إلى غرفة الجلوس المظلمة. وقف ثابتًا للحظة، ورأى ضوءًا ضعيفًا للغاية قادمًا من النوافذ؛ كانت الغرفة أقل ظلامًا من الممر لكن كل ما استطاع تمييزه هو شكل الأثاث الضعيف، الكراسي والأرائك التي كانت فارغة وتبدو كأنها تنذر بالشر. سمع بعدها أحدهم يصعد الدرج إلى الطابق الثالث. دلف بسرعة إلى غرفة الجلوس ووقف خلف الجدار بثبات كأنه حارس وأحكم قبضته على المسدس. إنه ديفيد، يمكنه سماعه يناديه بهدوء. انتظر ماثيو حتى بحث ديفيد في هذا الجانب من الدرج -ومر بغرفة المعيشة ونظر داخلها، لكنه لم يرَ شيئًا- ثم سار ببطء إلى نهاية ممر الجانب الآخر من الدرج. اعتقد ماثيو بعد فترة قصيرة أن ديفيد قد نزل من درج الخدم حتمًا.

اتبع ماثيو خطاه إلى الجانب الآخر من الممر. وجد باب خزانة خدمة تنظيف الغرف غير موصد وفتحه بيده. دلف إلى الخزانة وأضاء الكشاف الضعيف لفترة وجيزة ثم أطفأه مرة أخرى.

استمر في سيره إلى نهاية الممر حتى وصل إلى الدرج الخلفي. دفع الباب وفتحه ليجد نفسه على بسطة الدرج الضيقة. أغلق الباب خلفه، ووقف مصغيًا بلا حراك. أضاء الكشاف من جديد بعدما اقتنع بأن ديفيد لم يعد على الدرج الخلفي. غامر بنزول الدرج ببطء نحو بسطة الطابق الثاني بينما كانت جميع حواسه في حالة تأهب.

أطفأ الكشاف مجددًا وفتح مدخلًا للطابق الثاني بحذر. لم يعد يسمع نداء ديفيد. لقد استسلم على الأغلب وعاد إلى الردهة. كانت الغرفة التي تشاركها مع دانا هنا في الطابق الثاني.

حدَّق إلى نهاية ممر الطابق الثاني وأصغى لأي صوت. المكان مظلم للغاية من دون نور الكشاف، ولا يمكنه معرفة إن كان يوجد أحد آخر معه هنا. سار بهدوء إلى نهاية الممر واختلس النظر إلى خزانة خدمة تنظيف الغرف وغرفة المعيشة ثم عاد إلى الدرج الخلفي ليجد نفسه فجأة في الطابق الأول مرة أخرى. أدى درج الخدم إلى ممر مظلم خارج المطبخ. شق طريقه في صمت وسار الممر كله في الجزء الخلفي من الفندق ثم انعطف فوجد أنه أمام المكتبة. دلف إلى المكتبة ورأى أضعف بصيص من ضوء القمر ينبعث الآن عبر الأبواب الفرنسية ثم حدَّق إلى أرجاء الغرفة للحظة فحسب.

وقع نظره على كتاب كبير فوق منضدة القهوة. أضاء الكشاف ورأى صورة لسفينة من القرن التاسع عشر عالقة في الجليد. تساءل من كان يقرأ هذا الكتاب ومسح أرجاء الغرفة بضوء الكشاف ثم أطفأه ثانيةً. وقف عند المدخل بعدما فقد اهتمامه. إن كان يسير في الطريق الصحيحة فسيجد غرفة معيشة أخرى ثم ينتهي به المطاف في الردهة مرة أخرى. لم يرد هذا، لذا انعطف يسارًا بدلًا من ذلك وسار بطول الجانب الخلفي من الفندق. تعرف هذه المرة على الباب المؤدي إلى مخزن الحطب. تردد ثم دفع الباب لينفتح.

الفصل السادس والعشرون

كانت رايلي سعيدة برحيل ديفيد. اعتقدت أنه متهور، لكنها سعيدة برحيله فربما يتسبب في قتل نفسه. سمعت صوتًا مكتومًا لإغلاق أحد الأبواب في مكان ما بالفندق فأصابها التوتر وقالت بخوف: «ما كان ذلك؟».

أجابها هنري بتوتر: «إنه في الغالب ماثيو أو ديفيد فحسب».

جاهدت لتسمع ما يدور خارج دائرتهم الصغيرة لكن كل ما استطاعت سماعه هو صوت الرياح تصطدم بالنوافذ. سواء أكانت العاصفة ستهدأ غدًا أم لا، عليهم محاولة شق طريقهم -بغض النظر عن مدى بطئهم، أو مدى صعوبة الأمر عليهم- ليصلوا إلى الطريق الرئيسية ويحاولوا طلب المساعدة.

فكرت في دونا طبيبتها النفسية التي تساعدها على استعادة شعورها بالسيطرة على حياتها، أو على الأقل تحاول فعل ذلك. حاولت رايلي بمساعدة دونا أن تتعلم كيف تتعامل مع أفكارها السلبية. لن تكون سعيدة بالتأكيد بالطريقة التي تستخدم بها رايلي الكحول للتأقلم في هذه العطلة الأسبوعية، لكنها مُحاصرة في فندقٍ ناءٍ مع مجموعة من الغرباء وهناك أناس يُقتلون. تخيلت أنها في مكتب دونا وتخبرها بكل ما حدث معها. كانت لتقول: *لقد مررت ببعض الأمور الفظيعة.*

أجل، هذا ما حدث. كانت ستقول لها: *سيخدعك عقلك أحيانًا بسبب هذا.*

سألتها جوين فجأة: «هل أنتِ بخير؟».

صارت جوين تقف أمامها بطريقة ما. لا تتذكر أنها رأتها تتحرك من على الأريكة، لكنها أصبحت تجلس في وضع قرفصاء أمامها الآن، وتنظر إلى عينيها باهتمام شديد بينما يعتلي القلق وجهها.

همست رايلي: «لا أعلم».

حدَّقت إليها جوين في قلق لتكرر رايلي كلماتها بسرعة عاجلة: «لا أعلم».

إنها في مكان غريب، هذا الجحيم ليس خيالًا، بل حقيقة. هذا المكان حقيقي لكنه أيضًا حالة ذهنية. شعرت أنها تنهار كأنها تنزلق في حفرة، يمكنها الشعور بخوفها يسيطر عليها. تشعر بجنون الارتياب وأنها بحاجة إلى التصرف. لا تريد حدوث هذا. يا إلهي ليس هنا، ليس الآن. أمسكت يد جوين بقوة وقالت لها: «ابقي معي».

- بالطبع.

جلست جوين بجانبها ويبدو أنهما نسيتا ما بينهما من توتر، إلى الآن على الأقل ثم وعدتها جوين: «أنا لن أتركِكِ».

***

شعر ماثيو بالفزع عندما كان داخل مخزن الحطب، وسمع صوت خشخشة مفاجئًا قادمًا من ناحية الباب من الخارج. التفَّ ليتجه ناحية الصوت فتعثر في شيء وسقط منه الكشاف قبل أن يضيئه. صار أعمى تمامًا، لكنه شعر بشيء في الظلام، شيء يتحرك. تخبط ماثيو من البرد والتوتر فأمسك بمسدسه ورفعه ثم أطلق رصاصة في الظلام على نحو عشوائي.

***

تبع ديفيد ماثيو قدر استطاعته. تحسس طريقه في بداية ونهاية ممر الطابق الثاني، ثم شق طريقه إلى الطابق الثالث عبر الدرج الرئيسي. سار إلى نهاية الجانب الغربي من الممر ونادى ماثيو بهدوء، ثم اتجه إلى الجانب الشرقي وفي النهاية وجد نفسه أمام درج الخدم.

دفع الباب لينفتح وأصغى بعناية. كان المكان في الدرج الخلفي هادئًا تمامًا ومظلمًا ظلامًا دامسًا. تمنى بشدة لو كان بحوزته مصدر للضوء، عليه أن يجد ماثيو فهو لم يكن يعي ما يفعله. من المحتمل أن يطلق النار على أي أحد.

ناداه برفق: «ماثيو؟».

لم يتلقَّ أي إجابة، لكن قد يكون هناك في بئر الدرج المظلم، ربما أطفأ الكشاف. أردف مرة أخرى: «إنه أنا ديفيد».

انتظر وأصغى لكن ما من رد. تقدم بحذر نحو بئر الدرج. تحسس على نحو أخرق ليمسك بسياج الدرج وبحث عن أول درجة بقدمه حتى وجدها. بدأ ينزل الدرج ببطء وهو يتحسس طريقه قبل كل خطوة ويصغي بعناية. أين ماثيو حقًّا؟ كان ديفيد محبطًا من مدى صعوبة معرفة ما يحدث في الظلام. كان الظلام مطلقًا لدرجة تجعله مربكًا. كان الأمر أشبه بالطفو في الفضاء من دون أي شيء يحدد مكانك. شعر أنه تائه، راوده هذا الشعور منذ أن اكتشفوا جثة دانا ذلك الصباح.

وجد طريقه إلى بسطة الطابق الثاني وشعر بالتردد. عانى صداعًا شديدًا وفكر باشتياق في زجاجة الأسبرين التي حملها معه في حقيبته بغرفته في النهاية الأخرى من الطابق الثاني.

فتح ديفيد الباب المؤدي إلى الطابق الثاني المظلم وشق طريقه إلى غرفته في النهاية الأخرى من الممر، بينما أرهف سمعه لأي صوت. تخبط وهو يضع المفتاح في الباب عندما وصل إلى غرفته ثم فتحه وهو يشعر بالراحة. كانت غرفته مظلمة كالممر. عبر بصيص من ضوء القمر إلى الداخل من ستائر النوافذ المفتوحة ثم اختفى. أغلق ديفيد الباب خلفه وتحسَّس طريقه في الأرجاء بحثًا عن حقيبته على الأرض بجانب طاولة السرير. بحث عن الأسبرين ثم سار نحو الحوض. سكب لنفسه بعض الماء في الكوب معتمدًا على حاسة اللمس وابتلع الحبوب وهو يشعر بالراحة، لأنه بمفرده ولو لدقائق قليلة. تمنى لو ينتهي كل هذا وينتهي قضاؤه لوقت طويل للغاية مع الآخرين تحت ضغط كبير. كان مرهقًا للغاية وأراد أن يتمدد على الفراش ويختبئ

أسفل الأغطية، ولا ينهض أبدًا. أمضى دقيقتين بدلًا من ذلك -رغم البرد- في رش الماء المثلج البارد على وجهه.

غادر غرفته عندما شعر بتحسن بسيط وعاد إلى درج الخدم وهو عازم على مواصلة بحثه عن ماثيو في ممر الطابق الأول الممتد بطول الجزء الخلفي من الفندق. قد يكون في المطبخ، أو في القبو، أو في أي غرفة أخرى في الطابق الأول.

كان يهبط الدرج الخلفي عندما سمع دوي الطلقات النارية. شعر بصدمة تجتاح جسده بالكامل، شعر بموجة من الخوف وتجمَّد في مكانه. حاول أن يركز على المكان الذي أتى منه صوت الطلقات. ظن أنها من مكان ما في الطابق الأول، من مخزن الحطب ربما. تعثر على بقية الدرج لينزل بأسرع ما يمكنه. صار يتنفس بصعوبة، ماذا لو حدث شيء لماثيو؟ ماذا لو فات الأوان قبل وصوله؟

***

شعر ماثيو بانطلاق الرصاصة من المسدس الذي يمسكه ثم التفّ وهرب. لم يكن متأكدًا مما رآه ولا يعلم ما الذي أطلق النار عليه كما أنه لا يرغب في البقاء ليكتشف. أحكم قبضته على المسدس وفَرَّ هاربًا من مخزن الحطب بأسرع ما يمكن، ليتجه إلى نهاية الردهة المظلمة. تعثر في طريق عودته إلى المكتبة ثم توقف وهو يتنفس بصعوبة وحاول الاستماع إلى أي شيء بجانب شهقاته الصاخبة.

***

قاد صوت الرصاصة رايلي إلى الجنون في النهاية. انتفضت على نحو مفاجئ ودفعت جوين. حاولت جوين أن تهدِّئَها، لكن رايلي كانت في حالة هياج شديد واندفعت فجأة نحو الباب الأمامي كأنها بحاجة إلى الهرب. أدركت جوين أن رايلي لا تعلم ما الذي تفعله وأنها تتفاعل مع ما يحدث فحسب بالركض على نحو عشوائي.

نادتها جوين بلا جدوى: «رايلي! توقفي!».

لكن رايلي فتحت الباب وهربت في الليل العاصف، بعدما تركت الباب مفتوحًا خلفها. ترددت جوين لثانية فقط، نظرت إلى الآخرين نظرة يائسة طلبًا للمساعدة ثم أخذت معطفها من حامل المعاطف وتبعت رايلي إلى الخارج. انتعلت حذاءها الرياضي، ولم تكن تملك مصدرًا للضوء فتوجب عليها أن تتحسس طريقها. كان الظلام دامسًا والقمر مختبئًا خلف الغيوم. أسرعت جوين خلف رايلي وهي خائفة من الخروج إلى الظلام، ولكنها لا يمكنها ترك رايلي بمفردها. تمنت لو كان ديفيد معها.

يمكنها سماع رايلي في مكان ما أمامها بهذا البرد، يمكنها سماع هرولتها فوق الجليد وسقوطها ونهوضها من جديد، كما يمكنها سماع أنفاسها الثقيلة المذعورة. تبعتها جوين إلى الحديقة الجليدية واستطاعت بالكاد أن تظل واقفة باستقامة. اصطدمت بقوة في فرع الشجرة المكسور الذي نسيت أنه هنا، وسقطت لتخدش الأرض بيديها المجردتين. أدركت جوين أن رايلي تركض بلا وجهة كحيوان خائف، أنها تركض فحسب. قد لا تكون على علم بمكانها حتى، لا بد أن تصل إليها وتهدئها ثم تقنعها بالعودة إلى الداخل حيث الأمان.

سمعت أصواتًا خلفها، توقفت بسرعة ونظرت إلى الوراء لترى جيمس وبرادلي يظهران على نحو غير واضح عند المدخل، ورأتهما قادمين للمساعدة. أغلق الباب خلفهما وصار كل شيء مظلمًا مجددًا. يمكنها سماعهما خلفها يسارعان للحاق بها. نظرت وراءها ولم تر شيئًا إلا عندما أصبحا قريبين منها تقريبًا. رأتهما بعدها يقتربان أكثر نحوها في الظلام وشعرت بامتنان شديد لأنهما لحقا بها. لم يكن معهما مصدر للضوء أيضًا، وأصبح الثلاثة يسبحون في الظلام.

سألها برادلي: «في أي اتجاه ذهبت؟».

أجابت جوين بتوتر: «لا أعلم، لقد كانت أمامي لكني لم أعد أسمعها ولا أعلم إلى أين ذهبت».

فُتح باب الفندق الأمامي مرة أخرى وتبينت جوين بالكاد في الضوء الخافت المنبعث من الباب المفتوح أن لورين وإيان قادمان للانضمام إليهما. فكرت جوين في هنري وبيفرلي وهما يجلسان في الردهة بمفردهما في

عداء بارد. ماذا لو حدث لهما شيء؟ لكنها لا تهتم حقًّا. إنهما ليسا مشكلتها، واجبها الأول هو مساعدة رايلي. قد يكون القاتل هنا بالخارج في مكان ما، وقد تقع رايلي تحت يديه مباشرة. حولت نظرها بعيدًا عن الفندق ونظرت إلى الظلام ثم صاحت: «رايلي!».

وقف الجميع بلا حراك في إصغاء، لكن كل ما سمعوه هو تخبط الأشجار في الرياح.

قال برادلي: «علينا أن نتفرق».

تحرك إلى يمينها بينما تحرك جيمس إلى يسارها.

تقدمت على الجليد نحو ممر السيارات في حين كان خط الأشجار يلوح في الأفق على يمينها. ظلت تنزلق وتسقط، وتجمدت يداها اللتان لا ترتدي فيهما قفازين من ملامسة الأرض الجليدية. إلى أين ذهبت رايلي؟

لم يعد بإمكانها رؤية أي شخص الآن. إنهم هناك، لكنهم جميعًا ابتعدوا في الظلام مرة أخرى. صارت الأشجار والشجيرات أجسامًا تهددها في الظلام. قالت جوين لنفسها إنه يتعين عليهم العثور على رايلي بينما ظلت تنزلق إلى الأمام على نحو مثير للقلق.



الفصل السابع والعشرون

ظل قلب ديفيد يخفق بصوت عالٍ للغاية، وتحولت أنفاسه إلى حشرجة قصيرة وصاخبة لدرجة أنه لم يتمكن من سماع أي شيء يعلو صوت خوفه فوق صوته.

تحسس طريقه ولمس حائط ممر الطابق الأول بيده اليمنى وهو يشق طريقه إلى باب مخزن الحطب. أخذ نفسًا عميقًا عندما وصل ودفع الباب ليفتحه. تلفظ باللعنات مرة أخرى لأنه ليس معه مصدر للضوء ثم قال: «ماثيو؟ هل أنت هناك؟».

ليقابله صمت تام، ولا يتمكن من رؤية شيء.

***

ركضت رايلي بعشوائية في الظلام الجليدي البارد. لقد سيطر عليها خوف فظيع وصار يقودها. ركضت، وانزلقت، وسقطت ونهضت مرة أخرى وهي تتبع غريزتها وتبحث عن مكان لتختبئ فيه، مكان منخفض يمكنها أن تجثم فيه حتى لا يراها أحد. إنها بحاجة إلى الاختباء، شعرت بالغابة أمامها فاتجهت إليها. أخبرها شيء في مكان ما بثنايا عقلها أن عليها أن تظل مختبئة ولا تصدر أي صوت. وصلت إلى حافة الغابة وزحفت إلى بعض الشجيرات. جلست على الأرض وجعلت جسدها ككرة صغيرة ثم أغمضت

عينيها بقوة وظلت تتأرجح بجسدها للأمام والخلف وهي تضع يديها على أذنيها في محاولة منها للانعزال عن كل شيء.

***

لم تشعر جوين بهذا الخوف في حياتها قط.

شعرت ببعض الراحة لمعرفتها أن الآخرين في الخارج هنا معها، حتى وإن لم يكن بمقدورها رؤيتهم. بدا لها الأمر وكأنها بمفردها في فراغ مظلم. لا يمكنها تحمل التفكير في ديفيد وما قد يعنيه صوت هذه الرصاصات. هل مات شخص آخر؟ تساءلت إن كان سيتبقى أي أحد على قيد الحياة على الإطلاق عمًّا قريب. أرادت أن تعيش، ولكن تمنت ألا تكون آخر من يموت إن تحتم عليها الموت. لا تعتقد أنها ستتحمل هذا فهي لا حول لها ولا قوة. فكرت في فتاحة الخطابات الصغيرة الحادة التي كانت على مكتب الكتابة في غرفتها وتمنت لو كانت بحوزتها الآن.

واصلت السير وتجاوزت الحديقة إلى ممر السيارات. نادت مع كل خطوة غادرة تقدمتها على الجليد: «رايلي! أين أنت؟».

تقدمت خطوات قليلة أخرى على ممر السيارات ثم توقفت لتصغي. لا يمكنها أن ترى شيئًا ولم تسمع صوتًا قادمًا من أمامها. كم تتمنى لو كان لديها كشاف! سمعت عواءً بريًّا فجأة. اعتقدت أنه صوت القيوط[1]، أو الذئاب. وقفت عند هذا الحد وهي غارقة في الرعب. كيف آلت الأمور إلى ما هي عليه؟

أدركت فجأة أنها لا تستطيع سماع أي أحد آخر فنادت بسرعة: «برادلي؟».

لكن برادلي لم يُجِبها، لم يُجِبها أحد. ربما لا يستطيعون سماعها بسبب الرياح العاتية. خفق قلبها بجنون وأصبحت تتنفس بصعوبة، التفتت ونظرت إلى الوراء نحو الفندق حيث سمعت الآخرين آخر مرة. صاحت ثانية بصوت أعلى مصاب بالذعر: «برادلي؟ لورين؟».

لم تسمع أي إجابة. لا يمكنها أن تفكر، إنها وحيدة تمامًا. توقفت عن الحركة لأنها لا تعرف أين الجميع، ولا تعلم إن كان هنا بالخارج قاتلٌ.

---

(1) ذئاب برية صغيرة تعيش في شمال أمريكا.

شعرت بألم شديد في صدرها ثم اعتقدت أنها سمعت صوتًا كأن هناك ما وقع بقوة، لكنها لم تستطع تحديد مصدر الصوت. صار كل شيء مشوهًا مع هذا الظلام الذي يبدو كالفراغ والرياح التي تدور حولها. لم تعد تثق بحواسها وظلت في مكانها دون أن تفعل شيئًا للحظة. توقفت عن الحركة لمدة لا تعلمها؛ لقد فقدت كل إحساس بالوقت. وقفت ربما لدقيقة، أو لعشر. إنها خائفة وباردة للغاية لدرجة أنها لا تعتقد أنها تستطيع التحرك. صار عليها أن تنتظر حتى يهدأ ألم ضلوعها.

بدأت تتحسس طريقها إلى الفندق مرة أخرى بجسد ضعيف وذراعين ممدودتين بحثًا عن برادلي، أو جيمس، أو لورين، أو إيان، عن أي أحد يمكنه أن يقلل شعورها بالوحدة، وشعورها بالرعب. كانت تدرك حتى وهي تفعل هذا أنها تترك رايلي لتواجه مصيرها، رايلي، صديقتها الخائفة والضعيفة المشوشة، رايلي التي تحتاج إليها.

لكنها لا تهتم. لا يمكنها الآن أن تفكر في أي شخص سوى نفسها. وقفت للحظة في الظلام، وارتجفت بشدة وهي تصغي بعدما صارت مقتنعة الآن بأن القاتل قريب منها وأنه قتل بقيتهم دون أي صوت. فرَّت بعدها إلى الفندق وسارت بتهور على الجليد، ظلت تنزلق وتبكي وهي خائفة من أن تكون التالية. اتجهت إلى الفندق الذي بدا ضخمًا في الظلام وهي يائسة، للعودة إلى الردهة، وإلى ضوء النار.

***

جلس هنري وزوجته بمفردهما بلا حراك في الردهة في صمت وخوف. شاهدها تحدِّق إلى النار التي بدأت تضعف فاحتاج إلى إضافة قطعة خشب أخرى.

ديفيد في مكان ما هناك يبحث عن ماثيو الذي يحمل مسدسًا وقد يكون القاتل، بينما رايلي وجوين بالخارج. يمكنه أن يتفهم لماذا شعر جيمس وبرادلي أن عليهما اللحاق بالسيدتين، ولكن بمجرد أن فعَلَا ذلك لم يرَ سببًا يضطر لورين وإيان إلى اللحاق بهما أيضًا. شعر بالغضب منهما لتفضيلهما

رايلي وجوين عليه هو وبيفرلي. تركوهما هو وبيفرلي الآن ليدافعا عن نفسيهما، ماذا لو جاء القاتل للنيل منهما؟

شاهد زوجته بعناية، لم يعد يشعر بذرة مودة تجاهها. إنه يحب ابنه وابنته وهذا لم يتغير، لكن ثمة شيء بشأنها، شيء بشأنها يملؤه بالاشمئزاز. فكر في ساقيها البيضاوين المترهلتين، الأوردة التي تشكِّل خرائط صغيرة على طولهما، وصدرها المتدلي. فكر في النظرة الدائمة على وجهها التي تدل على استيائها. كما لو أن الحياة يجب تحمُّل أعبائها فحسب.

لكن كان الأمر أكثر من ذلك، يتعلق بالطريقة التي تراه هي بها. تراه رب أسرة زائد الوزن، أحمق قليلًا، شخص حياته انتهت تقريبًا ولن يفعل أي شيء مثير للاهتمام مرة أخرى. كان مجرد وجودها بجانبه وهو يعلم أنها تعتقده هكذا يجعله يكرهها. ما الذي قالته له؟ **إنها مجرد مرحلة.** إنها تقلل من شأنه، دائمًا ما كانت تفعل هذا. جيلي لا تفعل هذا، إنها معجبة به وتراه مثيرًا للاهتمام وجذابًا. لقد أخبرته أنها تريد قضاء بقية حياتها معه وأنها لن تسأم منه كما تقول بيفرلي.

زوجته لا **تريد** قضاء بقية حياتها معه، لكنها ستفعل. إن لم يحدث هذا، كل ما كانت ستفكر فيه هو الواجب، طغيان الواجبات. يجب أن أفعل هذا أو يجب عليك أن تفعل ذلك. **يجب أن توجد في المنزل أكثر. يجب أن تقضي مزيدًا من الوقت مع الأبناء. يجب أن تحاول الحصول على ترقية.**

نهض ليحرك النار ومد يده اليمنى ليمسك المحراك.

بدا الوقت كأنه يتباطأ على نحو غريب، فأمسك المحراك بقوة. إنها جالسة هناك وسيكون الأمر في غاية السهولة. لا يوجد أحد هنا ليراه، ويمكنه أن يركض إلى الخارج ليلحق بالآخرين، ويختلق قصة ما...

أحكم قبضته بقوة على المحراك.

***

تحسس ديفيد طريقه على أرض مخزن الحطب وظل ينزلق بقدميه على الأرض تحسبًا لوجود ماثيو هنا في مكان ما على الأرض. ناداه، ولكنه لم يتلقَّ أي إجابة فأجبر نفسه على النزول على يديه وركبتيه وتحسس أرجاء الأرض

المغطاة بنشارة الخشب بحثًا عن ماثيو. وصل إلى الجذع الذي يستخدمونه لقطع الخشب. تحسس سطحه الخشن بيديه المتوترتين وكل ما وجده هو الكشاف.

***

انكمشت رايلي في الغابة وارتجف جسدها بالكامل من الخوف والبرد، لتعيش بعضًا من أسوأ لحظات حياتها مرة أخرى. انقضت عليها ذكريات الضحايا وهم يصرخون ويعانون ويموتون. ضغطت بيديها أذنيها في محاولة لحجب الضوضاء عنهما، لكنها لم تنجح لأن الضوضاء داخل رأسها. أغلقت عينيها بإحكام لتتوقف عن الرؤية، لكن هذا لم يجدِ نفعًا، لأن الصور في خيالها.

***

سمع ماثيو صوت أحد يقترب من المكتبة، شخص يحاول ألا يصدر صوتًا. ابتعدت الغيوم لتُظهر القمر دون سابق إنذار خارج الأبواب الفرنسية، وتسلل بصيص من الضوء الخافت إلى المكتبة. وقف ماثيو أمام الباب ممسكًا بالمسدس ويعلم أن هناك عدة رصاصات متبقية فيه.

رأى ديفيد يظهر عند الباب بعدها وقال: «آه، إنه أنت».

شرح له ما حدث: «ظننت أنني سمعت أحدهم في مخزن الحطب...».

- من الأفضل أن تعطيني المسدس.

فأعطاه ماثيو المسدس.

الأحد، الساعة الواحدة وخمس وأربعون دقيقة صباحًا

فوجئت جوين تقريبًا عندما فتحت الباب وتعثرت إلى الردهة، لأنها وجدت هنري وبيفرلي ما زالا في مكانيهما تمامًا كما تركتهما باستثناء أن هنري كان يقف بجانب النار ويحمل المحراك في يده. فوجئ وألقى المحراك من يده فجأةً ليصدر رنينًا وهو يسقط على الأرض. لقد توقعت أن تجدهما ميتين تقريبًا.

ظهر ديفيد فجأة من الظلام القريب من الدرج ومعه ماثيو، فكادت أن تفقد وعيها من شعورها بالارتياح. نقل هنري نظره من جوين إلى ديفيد وسأله: «ماذا حدث؟».

أجاب ديفيد بوضوح: «لا شيء، نحن بخير، أين ذهب الجميع؟».

همست جوين بينما ارتجف جسدها بالكامل: «في الخارج».

أردف هنري: «ركضت رايلي إلى الخارج عندما سمعت صوت طلقات النار، وذهب البقية للحاق بها».

أضافت جوين: «لا يمكننا العثور عليها فهي لا تجيبنا. السماء مظلمة للغاية... ما يزال الآخرون بالخارج يبحثون عنها».

لم يكن بإمكانها التوقف عن الارتجاف بينما قال ديفيد وهو يبدو يائسًا: «يا إلهي، من الأفضل أن نخرج، يجب أن نجدها».

توجه إلى جوين وقال: «ابقي هنا مع هنري وبيفرلي».

- لا، أنا آتية معك.

ستبقى بالقرب من ديفيد، ستكون بأمان معه وعليهم أن يجدوا رايلي. تمتم هنري بسؤال: «هل ستتركوننا هنا فحسب؟».

ولم يُجِب عليه أحد.

الفصل الثامن والعشرون

انزلق ماثيو من الشرفة واختفى في ظلام الليل. شاهده ديفيد وهو يسير، وتساءل ما هي الحكمة من تفرقتهم جميعًا في اتجاهات مختلفة، لكن عليهم أن يجدوا رايلي، والوقت عامل جوهري. يمكنهم تغطية مساحة أكبر من الأرض إن تفرقوا. كان الجو شديد البرودة بالخارج هنا، فسأل ديفيد جوين: «هل ترتدي معطفًا؟».

هزت جوين رأسها وتمتمت: «ترتدي كنزة فقط».

تلفظ ديفيد بكلمات السباب بصوت خافت. شقا طريقهما ببطء ولم يسمع ديفيد شيئًا سوى دويِّ الرياح فصاح: «هل من أحد هناك؟».

مزقت الرياح الكلمات في فمه حتى ضاعت فحاول مجددًا وهو يضم كفيه حول فمه: «أهناك أي أحد؟».

أتى صوت إيان من مكان ما باتجاه ممر السيارات: «أنا هنا».

فصاح ديفيد: «هل هناك أحد آخر؟».

أجابت بعدها لورين بصوت أوضح قليلًا أتى من مكان ليس ببعيد للغاية: «أنا هنا في الجانب الشرقي قرب الأشجار، ولم أرَها».

قال ديفيد لنفسه بضجر إن هذا مستحيل. إنه لا يستطيع رؤية ما أمام وجهه مباشرة من دون الكشاف، وبقيتهم لا يملكون أي مصدر للضوء على

الإطلاق. كان يمكنه بالكاد أن يرى أين يضع قدميه وهو يسير فالتفت إلى جوين وسألها: «ما الذي ستفعله باعتقادكِ؟ إلى أين يمكنها أن تذهب؟».

نظرت إليه جوين بذهول وكان وجهها قريبًا من وجهه عندما قالت: «لا أعرف، لا أعتقد أنها تفكر على الإطلاق ولا أعلم إن كانت ستجري من ممر السيارات إلى الطريق، أم ستختبئ بين الأشجار. ليست لديَّ فكرة».

علَّق ديفيد على كلامها بيأس: «هناك أشجار في كل مكان».

ضم يديه حول فمه ونادى: «برادلي؟ جيمس؟».

صاح جيمس ليرد عليه: «أنا هنا».

بدا أن صوته آتٍ من يمين ديفيد أي من جانب الفندق الغربي ثم أردف جيمس: «لم أرَها أيضًا، لكنك لا يمكنك أن ترى أي شيء هنا وهي لا تجيب. أين ذهب برادلي؟».

شعر ديفيد بالقلق فجأة. لماذا لم يجب برادلي؟ ربما ذهب إلى الغابة بالفعل ولا يمكنه سماعهم فشق هو وجوين طريقهما إلى الأمام بخطى غير ثابتة نحو الغابة.

كانا قد عبرا الحديقة تقريبًا وأصبحا عند الأشجار عندما سمع ديفيد صرخة مكتومة وصوت شخص يسقط، ثم سمع بعدها صرخة ثاقبة نابعة من ألم مطلق. أتى الصوت من مكان ما خلفهما على اليمين فنادى ديفيد بقوة: «جيمس!».

التفت وحاول أن يسرع تجاه الصوت. سمع جوين تلهث وتهرول خلفه. سمع جيمس وهو ينادي: «برادلي!».

اقشعرَّ بدن ديفيد لما كان في هذه الكلمة من يأس. تعثر ديفيد وانزلق أسرع وأسرع، كان في حالة هياج وهو يرغب في الوصول إليهما، وترك جوين خلفه تسعى جاهدة للحاق به. رغم هذا، أراد ديفيد أن يغمض عينيه ويحجب كل شيء عنه عندما رأى جيمس أخيرًا. اختار ضوء كشافه الضعيف جسد جيمس المعتم وهو ينحني فوق برادلي الذي استلقى هامدًا على الأرض، ميتًا على ما يبدو، فوق الثلج المغطى بالجليد.

اقترب ديفيد حتى أصبح أمامهما تقريبًا. كان برادلي ملقًى على وجهه في الثلج. لقد ركض إلى الخارج من دون قبعة وهناك جرحٌ بالغٌ بشعٌ ووحشيٌّ في قاعدة جمجمته بينما تناثر الدم على الثلج في كل مكان.

رفع جيمس نظره إليه وكان وجهه لا يمكن التعرف عليه من حزنه ثم صرخ: «ساعده! عليك أن تساعده!».

جثا ديفيد على ركبتيه في الثلج بجانبه وسلَّط الضوء الضعيف على وجه برادلي. كانت عيناه مغمضتين وشفتاه زرقاوين، وبدا ميتًا. تفقد ديفيد نبضه، لكنه لم يشعر بشيء. تمنى للحظة أن يكون هذا لأن يديه ترتجفان ويشعر ببرد شديد وخدر، لكن من دون فائدة، فلا يوجد نبض. لقد مات برادلي.

أخذ جيمس ينوح على نحو فظيع، كان أكثر صوت مروع سمعه ديفيد في حياته، صوت شقاء عالٍ ويائس. إنه صوت أب فجعه موت ابنه الوحيد. لم يستطِع تحمل الأمور؛ رفع نظره إلى جوين ورأى خوفها يرتد إليه. أصابته حالة من الصدمة وأراد أن يبكي هو أيضًا.

سمع الآخرين يقتربون بشكل صاخب. سلط الضوء نحوهم ليرى ماثيو ومن خلفه لورين. صاحت لورين قبل أن تصل إليهم وقبل أن تتمكن من رؤية أي شيء حقًّا وسألت: «ماذا حدث؟».

فحذرهم ديفيد: «تراجعا».

نهض ديفيد ليقف على قدميه بترنح، ثم أمال الضوء في أرجاء المكان. رأى شيئًا معتمًا ملقى في الثلج. ترنح نحوه ليجده جسمًا معتمًا ملطخًا بالدماء. لقد رآه من قبل، يبدو مألوفًا له. نظر إليه لفترة أطول قليلًا ثم تعرف عليه. إنها ممسحة الأحذية الحديدية التي كانت في الشرفة الأمامية. هناك من التقطها واستخدمها حتمًا لقتل برادلي. **من فعلها؟ متى؟ أهو شخص غريب؟ أم أحد الذين أتوا للبحث عن رايلي؟**

اِلتفَّ مجددًا نحوهما ثم اقتربت لورين أكثر في دائرة ضوئهم الصغيرة وتوقفت فجأة. خفضت نظرها إلى برادلي في الثلج ووالده الذي ينحني فوقه. همست فجأة وهي تستوعب الأمر كله: «آه، يا إلهي، هل هو...؟».

فقال لها ديفيد بفتور: «إنه ميت».

- آه يا إلهي، دعني...

قال ديفيد مرة أخرى: «تراجعي».

ثم أضاف: «لا يوجد ما يمكنكِ فعله من أجله، لقد فات الأوان».

صارت تتحدث على نحو هستيري وهي تقول له: «هل أنت متأكد؟ لا يمكن أن يكون ميتًا! لا يمكن!».

حاولت أن تتجاوزه لتصل إلى برادلي وأردفت: «ربما ما زال حيًّا! ربما ما زال بإمكاننا مساعدته!».

هز رأسه ووقف أمامها ليسد طريقها. بدأت تبكي وتضرب صدر ديفيد بيديها وهي تجهش بالبكاء فقال: «لا يوجد ما يمكننا فعله».

سمع أحدهم يقترب ويتنفس بصعوبة وهو يتقدم نحوهم. لاح إيان في الأفق أمامهم واستوعب المشهد ثم قال: «أوه، لا».

***

شاهد إيان جيمس وهو يبكي وينهار على جثة ابنه. اهتزت كتفاه على نحو متقطع وهو يبكي. ذكَّره هذا ببكاء والدته الأبدي، وحزنها المستمر فابتعد.

قال ديفيد في النهاية بصوته المنخفض: «لا يمكننا أن نتركه في الخارج هنا».

لم يكن عليه أن يقول ما يفكرون فيه جميعًا: إن تركوه هنا طوال الليل، فستنال منه الحيوانات. قال إيان لنفسه إن القيوط أو الذئاب قد تهجم عليه، والله يعلم ماذا يوجد غيرها.

جلس جيمس في الثلج أخيرًا وعيناه تحملان نظرة شاردة، ثم سألهم ديفيد: «هل تبقى شحن في هاتف أي أحد منكم؟ أود أن ألتقط صورة له قبل أن ننقله من مكانه».

هز الجميع رؤوسهم فقال ديفيد: «اللعنة».

سأل إيان ديفيد في هدوء: «ما الذي سنفعله به؟».

- أعتقد ينبغي لنا أن نأخذه إلى منزل الجليد، سيكون من الأسهل أن نأخذه عبر الفندق بدلًا من أن نلتف حول المبنى.

أومأ إيان بضجر واتجه إلى لورين ثم أشار إلى نفسه وإلى ديفيد وماثيو وهو يقول: «ساعدي جيمس ليعود إلى الداخل، نحن سنتولى هذا الأمر».

أومأت وانتظرت ديفيد وهو يحث جيمس ببطء على النهوض على قدميه مرة أخرى. بمجرد أن مضيا قدمًا، لحقت بهما جوين بيأس بعدها بينما حاول الرجال الثلاثة التقاط جثة برادلي وحملها. رغم هذا كان الأمر مستحيلًا. لا يمكنهم أن يحملوه ويحافظوا على استقامتهم فوق الجليد. انتهى الأمر بجره تاركين خلفهم مسحة من الدماء على طول طريقهم فوق الثلج. رفعوه بعدها إلى الشرفة ثم إلى الردهة في الداخل.

وضعوه على الأرض لدقيقة حتى يستريحوا. استقام إيان والتقط أنفاسه، ثم رفع بصره ليرى بيفرلي وهنري يحدِّقان بذعر إلى جثة برادلي. أصاب كليهما بالصدمة وعجزا عن الكلام. أشاح إيان بنظره بعيدًا ثم نظر إلى الجثة مرة أخرى ليقول ديفيد لهما بعدها: «سنأخذه إلى منزل الجليد».

***

خرجوا مرة أخرى ليبحثوا عن رايلي لأطول فترة يمكنهم فيها تحمل البرد. ظلوا قريبين للغاية من بعضهم بعضًا هذه المرة، رغم أنهم خائفون من بعضهم. مع ذلك، لم ترد رايلي على نداءاتهم اليائسة. كان البرد قارسًا والظلام دامسًا، فصارت مواصلة البحث مستحيلة. لا يمكنهم العثور عليها، ولن يجدوها أبدًا فهي لا تريد أن يعثر عليها أحد.

الأحد، الساعة الثالثة وعشر دقائق صباحًا

شاهدتهم بيفرلي وهم يعودون في صمت من دون رايلي. تغاضوا عن خلع معاطفهم وأحذيتهم وتراخوا واحدًا تلو الآخر نحو النار في هزيمة.

ظنت بيفرلي أن رايلي ماتت حتمًا مثل برادلي المسكين. إنها ممتنة تقريبًا لأنهم لم يجدوها فهي لا تعتقد أنها تستطيع تحمل رؤية جثة أخرى. لم تكن

قريبة للغاية إلى هذا الحد من الموت قط. تشعر وكأن الموت يقف فوقها، وينتظر اللحظة المناسبة فقط. إنه شعور فظيع.

ظنت بيفرلي أنها لمحت نظرة غريبة على وجه إيان في الظلام وهم يجلبون برادلي إلى الداخل. ثمة شيء قاسٍ في عينيه لم تشاهده من قبل وأصابها بالقشعريرة. لم تكن متأكدة مما رأت فقد كان تعبيرًا عابرًا للغاية. قد تكون تخيلت الأمر.

***

انهارت جوين على الأريكة وهي تشعر بالخدر. رايلي بالخارج إمَّا ميتة وإمَّا في طريقها إلى الموت. هذا كله خطأ جوين، لم يكن ينبغي لهم أن يأتوا. نظرت إلى يديها، كانتا ترتجفان. بدأت تدرك أن أي واحد منهم تقريبًا قد يكون القاتل.

***

حدَّق هنري إلى النار بحزن. مات ثلاثة أشخاص –وربما تكون رايلي قد ماتت أيضًا- لكن زوجته ما زالت هنا.

لقد فشل بعدما قاطعته جوين في آخر لحظة. لقد تردد لوقت طويل. يا له من جبان! لكنهم ربما كانوا سيعودون بعدما ينتهي من تحطيم رأسها بالضبط، وكانوا لينقَضُّوا عليه مثل قطيع من الضباع بعدها.

ظهرت زوجته بجانبه في صمت، وجثت على ركبتيها بجانب كرسيه مما جعله يقفز في مكانه. بدا الأمر تقريبًا كأنها تقرأ أفكاره.

همست له بصوت منخفض للغاية لدرجة أنه مال بأذنه إلى الأسفل بجانب شفتيها حتى يسمع ما أرادت إخباره به: «هنري».

يمكنه شم رائحة أنفاسها. تساءل إن كان بإمكانها معرفة ما يفكر فيه قبل أن تردف: «أعتقد أنني أعرف من هو القاتل».

فرفع رأسه ونظر إلى عينيها الخائفتين اللامعتين في الظلام.

الفصل التاسع والعشرون

لا تروق إيان الطريقة التي ظلت بيفرلي تنظر إليه بها. لقد ذهبت إلى زوجها ومالت عليه ثم همست له بشيء في أذنه. هذا مثير للاهتمام فهو عادة ما يراها تبقى على مسافة جيدة من زوجها مؤخرًا. تساءل عمَّا كانت تخبره به، ربما تخبره بشيء عنه.

جلس إيان في الظلام يفكر بين الظلال.

***

يود هنري أن يعرف من المسؤول عن تلك الجرائم. لقد ظن حقًّا أنهما ماثيو وديفيد وأن الجريمتين منفصلتان، لكن قتل برادلي يغير الأمور.

لقد همست زوجته في أذنه، وكادت أن تقنعه الآن بأن رجلًا مجنونًا هو من يرتكب هذه الجرائم. تعتقد أن إيان هو القاتل وأن ثمة خطبًا ما به، ولكن إن كان هو من ارتكب جرائم القتل، فبيفرلي تعتقد أن لورين تعرف حتمًا. إنهما دائما معًا، وكانت لتعرف هذا.

أعطى هنري بعض الاعتبار لهذا الكلام. تتسم زوجته بالكثير من الصفات المزعجة، لكن الغباء ليس واحدًا منها. نظر إلى إيان الآن بنظرات حادة في محاولة منه لرؤية ما تراه زوجته. حاول أن يتخيله يقتل شخصًا ما.

لم يواجه صعوبة في تخيل إيان كقاتل، لأن هنري تعلم شيئًا أو اثنين في هذه العطلة الأسبوعية. تعلم أنه هو نفسه بداخله نزعة للقتل. لم يجد تخيل أي شخص آخر كقاتل أيضًا أمرًا جللًا لهذه الدرجة بعد كل شيء.

تساءل إن كانت لورين تتستر على إيان. تفقدها باهتمام جديد من الجانب المقابل في الغرفة. لا يعلم إلى أي مدى ستذهب من أجل الحب. الحب أصعب بكثير من الكراهية في فهمه والتنبؤ به.

***

تحركت لورين في مكانها على الأريكة على نحو غير مريح. ما زالت الرياح تدوي وتصطدم بالنوافذ. المكان مظلم في الردهة، ومصباح الزيت يزودهم بشعلة خافتة في هدوء على طاولة القهوة، والنار بحاجة إلى من ينتبه لها مرة أخرى.

كم سيطول الأمر حتى تصل الشرطة؟

تفقدت الجميع وهم جالسون حول النار. فكرت لورين في مدى اختلاف الوضع عمَّا كان عليه وقت وصولهم أول مرة، وتذكرت ساعة الكوكتيل مساء الجمعة. كم كان الجميع مبتهجين وهادئين. فكرت في برادلي وهو يمزج المشروبات بمرح، وفي ماثيو الوسيم -الذي تغير حاله الآن- وفي حبيبته المتألقة اللامعة، التي ترقد في منزل الجليد الآن. فكرت في كانديس وجرح الوشاح الذي حول رقبتها.

تود أن تعرف من الذي يعتقده ديفيد القاتل فهي لا تعرف ما الذي سيحدث بعد ذلك.

***

ترنح جيمس من الصدمة والحزن. ظلت الأحداث تجول في ذهنه، وتذكر كيف بدأ برادلي بتجارة المخدرات منذ عامين. أعتقد أنه رأى فرصة ليجني منها مالًا بسهولة، ولكن الأمر لم يسِر كما توقع. تخلَّصَ جيمس من فتوره وانتفض من على كرسيه وصرخ: «من الذي فعلها؟ من منكم قتل ابني؟».

شعر بحزن وغضب عارمين فتساءل بنبرة اتهام ثائرة وهو ينظر إلى كل واحد منهم على حدة: «لماذا؟ لماذا بالله عليكم قد يقتل أي أحد ابني؟».

كان بوسعه أن يرى أنه أخافهم.

نهض ديفيد واقترب منه وحاول أن يهدئه لكن جيمس لا يريد أن يهدأ، بل يريد إجابة لكن قال ديفيد: «أنا لا أعرف يا جيمس. أنا آسف للغاية، ولكننا سنكتشف الأمر وسنعرف من الذي قتل ابنك».

- واحد منكم قتل ابني!

ذكّرته لورين وهي ترتجف: «إلا إن كان هنا أحد آخر».

فصرخ جيمس: «لا يوجد أحد آخر هنا!».

لينهار بعدها على كرسيه ويدفن وجهه بين يديه ويجهش بالبكاء.

الأحد، الساعة الثالثة والنصف صباحًا

ظلت لورين مستيقظة تمامًا رغم تأخر الوقت إلى هذه الساعة. أخذ كل واحد منهم ينظر إلى البقية بقلق ثم يشيح بنظره بعيدًا عنهم. هذا ما فعله الجميع عدا هنري وبيفرلي. جلسا بجانب بعضهما بعضًا الآن ليشاهداها هي وإيان باهتمام شديد. شعرت أن هذا مثيرٌ للأعصاب وتساءلت عمَّا يفكران فيه.

سألت لورين هنري في النهاية بنبرة حادة: «لماذا تحدِّق إلينا بهذه الطريقة؟».

ليشيح هنري بنظره عنهما بسرعة ويقول: «أنا لا أحدِّق».

فاتهمته لورين: «بل كنت تحدق، هل لديك ما ترغب في قوله؟».

احتدمت الأجواء بسبب التوتر، ولكنها لا تهتم. تريد أن تعلم لماذا ينظر إليهما بهذه الطريقة وتريده أن يتوقف عن هذا إلا أن بيفرلي هي من تكلمت لتفاجئها: «اعتقدتُ أنني رأيت شيئًا».

التفت ديفيد إلى بيفرلي وسألها: «ماذا؟ ماذا رأيتِ؟».

- رأيت شيئًا على وجه إيان.

فسألها ديفيد بنفاد صبر: «ما الذي تتحدثين عنه؟».

- رأيت إيان ينظر إلى برادلي عندما أحضرتموه إلى الداخل.

علقت لورين بحدة: «لقد كنا جميعًا ننظر إلى برادلي، وماذا في ذلك؟».

قالت بيفرلي بتوتر: «إنها الطريقة التي كان ينظر إليه بها».

سألها إيان: «ما الذي تقصدينه بهذا؟».

نظرت بيفرلي إلى إيان وقتها بجرأة أكبر وأجابت: «كنت تنظر إليه... كأنك... كأنك سعيد أنه مات».

بدا إيان مصدومًا وسألها: «ماذا؟».

ثم أضاف في اعتراض: «هذا سخيف!».

تعجبت لورين وتوجهت بنظرها من إيان إلى بيفرلي لتحدِّق إليها وهي تقول: «كيف تجرُئين! لقد كنت بجانبه هناك ولم يفعل شيئًا كهذا».

هاجمتها بيفرلي وقالت بيقين: «أنا أعلم ما رأيته».

- أنتِ تتخيلين أشياء.

نظرت لورين بعدها إلى إيان قبل أن يدافع هنري عن زوجته ويقول: «زوجتي لن تختلق شيئًا كهذا».

احمَرَّ وجهه في ضوء النار وبدا عدوانيًّا وهو يتساءل: «لماذا قد تفعل هذا؟».

ولم تستطِع لورين التفكير في إجابة.

***

ذُهل ديفيد من انفعال بيفرلي هذا. إنه يشك في مصداقية ما قالته، فلا يوجد من يعلم أفضل منه كم يصعب الاعتماد على شهود العيان بشكل ملحوظ. إنهم يرون سيارة سوداء ويعتقدون أنها حمراء، وتفوتهم أشياء أمامهم مباشرة، ويرون أشياء ليست موجودة من الأساس.

إلى أي مدى تظهر بيفرلي خوفها؟ لقد بدت متماسكة إلى حد ما حتى الآن. رغم هذا لقد كان هو نفسه يشك في إيان منذ أن شعر أنه ربما كذب

بشأن موت شقيقه الصغير. تساءل بشأن الحبوب المنومة وكم يمكنهم الاعتماد على أن لورين تعرف حتى أين كان إيان ليلة مقتل دانا. إنه يود أيضًا أن يعلم المزيد بشأن إيان، ويود أن يضغط عليه.

***

شاهدت جوين هذا الحوار بفزع. يبدو أن بيفرلي تتهم إيان أنه القاتل، وهو ما يبدو مستحيلًا فهو ساحرٌ للغاية، ومن السهل الانسجام معه، ويتمتع بابتسامة رائعة. خطر على بالها فجأة عبارة لشكسبير (من أين كانت هذه العبارة؟) **قد يبتسم المرء.. يبتسم ويكون شريرًا**. تصلب جسدها فجأة وصارت كل عضلاته متيبسة ومشدودة. قد يكون إيان هو من فعلها. قد يكون قتل دانا بينما لورين غارقة في سبات عميق بسبب حبوبها المنومة. لقد كان في الأعلى مع لورين عندما قُتلت كانديس، وكان يركض في الأرجاء بالظلام مثل البقية عندما قُتل برادلي. لقد كان الظلام دامسًا، كان بإمكانه أن يفعلها. ربما تكذب لورين لتتستر عليه. أحكمت جوين قبضتيها ونظرت إلى ديفيد الذي جلس أمامها على طاولة القهوة، لكنها لم تعرف ما الذي يفكر فيه قبل أن تجده يقول: «ثمة شيء يزعجني».

التفت الجميع لينظروا إلى ديفيد الذي كان يشاهد إيان وتابع: «شيء بخصوص قصة شقيقك».

سأله إيان بحدة: «وما علاقة هذا بأي شيء آخر؟».

- الأمر فقط أن شيئًا ما لم يكن حقيقيًّا تمامًا.

سأله إيان وهو يلعق شفتيه بتوتر: «ما الذي يجعلك تعتقد هذا؟».

شاهدت جوين هذا وشعرت بالغثيان.

أكد ديفيد وهو يميل إلى الأمام ليخرج من الظلام: «عادةً ما أعرف حينما يكذب أحدهم. هل يوجد شيء آخر في تلك القصة؟ شيء لم تخبرنا به؟».

انتظر للحظة ثم أضاف: «إن كان هناك شيء كهذا، فمن الأفضل أن تشاركه معنا الآن».

***

ابتلع إيان ريقه وفكر في وضعه. لقد أمسك به ديفيد وهو يكذب. لقد كذب بالفعل بشأن شقيقه ويشعر أنه محاصر. قال إيان بنبرته المنخفضة المضطربة: «حسنًا».

نظر إلى المحامي ثم تابع: «أنت محق، لم أقل الحقيقة الكاملة بشأن أخي».

قال هنري: «أنا لا أرى مدى أهمية هذا الآن. من يهتم بما حدث لشقيقه؟».

نظر ديفيد إلى هنري حتى يصمت وقال: «أريد أن أعلم لماذا كذب».

قال إيان بتوتر: «أنا لم أخبر أحدًا بهذا من قبل قط».

نظر إيان إلى لورين نظرة خاطفة وقال: «لقد كنت في الثالثة عشرة من عمري، وجيسون أخي في العاشرة. كان يمكنه أن يصبح صعب المراس، لم أحب الخروج معه ولا أن أبقي عينيَّ عليه. أراد جيسون أن يذهب إلى البركة في هذا اليوم ولم يكن مسموحًا له أن يذهب بمفرده، لذا ذهبت معه، ولكن عندما وصلنا هناك تشاجرنا على شيء غبي. لقد كان عنيدًا للغاية فغضبت وغادرت. تركته هناك بمفرده. لم أعتقد أنه كان سينزل إلى الماء وكان هو يدرك هذا جيدًا».

توقف وأخذ نفسًا أخرجه في زفير بطيء، ثم تابع: «عندما عدت للمنزل في وقت لاحق لم نجده. عدت إلى البركة ووجدته يطفو هناك بعدما مات. علمت أن هذا خطئي لأنني تركته. لم يكن ينبغي لي أن أتركه هناك، وكان عليَّ أن أعيش مع هذا الذنب طوال حياتي. لقد كذبت على والديَّ. لم يعلما أننا ذهبنا إلى البركة معًا. تركتهما يصدقان أنه ذهب بمفرده وأن عثوري عليه كان مجرد مصادفة فحسب. كل تلك الأعوام وأنا أعيش مع شعوري بالذنب ووالداي لم يعرفا بعد».

رفع نظره إلى بقيتهم وأضاف: «لا أعلم إن كنت مذنبًا بموجب القانون. لقد تركته هناك بمفرده وكذبت بشأن هذا من وقتها. ربما علمت أنه سينزل إلى الماء. لقد أخبرتكم بنفس القصة التي سردتها للجميع، حتى لوالديَّ».

نظر إلى ديفيد وكان خائفًا من النظر إلى لورين وهو يقول: «هذه هي المرة الأولى التي أقول فيها حقيقة الأمر».

انهار للوراء في مقعده وهو مرهق وأردف: «والآن أصبحتم جميعًا تعلمون».

الفصل الثلاثون

شاهدت لورين إيان حبيبها بعينين خائفتين، ثم نظرت إلى المحامي وحاولت أن تخمن ما يفكر فيه. بدا كأنه يصدق إيان الآن، لكنها لا تعلم ما الذي عليها أن تصدقه. ربما حدث الأمر كما قال إيان، وربما دفع إيان شقيقه إلى الماء، ربما دفعه في الماء إلى الأسفل. لقد أخبرها عن شقيقه الأصغر من قبل، أخبرها بالنسخة الأصلية، أو الكذبة.

كان يجلس بجانبها فتلامس جسداهما، لكنها ابتعدت عنه الآن. نظر إليها في ذعر، التقت أعينهما فأشاحت بنظرها وسألته: «لماذا لم تخبرني بالحقيقة؟».

- أنا لم أخبر والديَّ حتى! لم أستطع إخبارك... خشيت أن أفقدك.

نظر إليها بتوسل وأردف: «أنا لم أقصد أن يحدث هذا. أتظنين أنني لم ألُم نفسي كل يوم من وقتها؟ هل تعتقدين أنني لم أشعر بالذنب في كل مرة أفكر في والديَّ وكل مرة أتحدث إليهما؟».

أشاحت بنظرها بعيدًا عنه فقال: «بربك يا لورين، لا تدعي هذا يفرق بيننا».

لم تُجِبه للحظة، ثم التفتت إليه في الظلام وقالت: «كان ينبغي لك أن تخبر والديك بالحقيقة».

قالت هذه العبارة بطريقة بدت تقية بعض الشيء ورد إيان في دفاع: «لقد كنت طفلًا».

ابتعدت لورين عن إيان على الأريكة وتحدثت بتوتر دون أن تنظر إليه. شعرت أن الجميع يحدِّق إليها فأخذت نفسًا عميقًا وقالت: «أنت لست طفلًا الآن ويجب أن نقول الحقيقة يا إيان فهي سوف تظهر إلى العلن في النهاية».

سألها إيان بخوف: «ماذا؟».

وسأل ديفيد: «ما الذي تريدين إخبارنا به؟».

قالت على مضض: «عندما صعدنا إلى الأعلى بعد الغداء -أعلم أنني قلت إننا كنا معًا، ولكنني- ذهبت إلى غرفة الجلوس الصغيرة التي في الطابق الثالث لأكون بمفردي قليلًا وأقرأ. قال إيان إنه سيأخذ قيلولة وأنا لم أكن معه».

شعرت بإيان يتحرك على الأريكة بجانبها في قلق ثم أردفت: «لم نكن معًا طوال فترة ما بعد الظهيرة مثلما قلنا».

سألتها بيفرلي: «لماذا كذبتِ؟».

- لأنني لم أعتقد...

تردد صوت لورين ثم تابعت: «ما زلت لا أعتقد أن لإيان أي علاقة بهذا الأمر».

قال إيان: «هذا صحيح، لقد ذهبت لورين لتقرأ في غرفة الجلوس بعد الظهر، بينما كنت وحدي في غرفتنا. ربما كان علينا أن نقول هذا، لكنني لست قاتلًا. هذا سخيف، إنه ليس أنا!».

توجه إلى لورين وسألها بصوت بدا قلقًا قليلًا: «أنتِ لا تظنين أنه أنا، أليس كذلك؟».

- لا.

هزت رأسها، ولكنها بدت غير متأكدة وعلمت هذا. يمكنها أن تسمع هذا في صوتها، وربما بإمكانهم جميعًا الشعور بهذا.

تساءل إيان: «لماذا قد يعتقد أي أحد أنه أنا؟».

نظر بتوتر إلى الجميع الجالسين بجانب المدفأة، وسألهم: «لماذا أنا؟ قد يكون القاتل أي أحد آخر».

همست لورين فجأة: «وقد يكون أنت، ربما كنت عمياء للغاية عن رؤية هذا».

همهم إيان: «ماذا؟».

بدا قلِقًا بصدق الآن وهو يقول: «يا لورين، بربكِ، هذا جنون».

- عندما قُتلت دانا، أنا افترضتُ فقط أنك كنت معي طوال الليل.

- لقد **كنت** معك طوال الليل! لم أغادر الغرفة قط، أقسم لك.

مرر أصابع يده في شعره بتوتر وسألها: «وكيف لكِ أن تعلمي؟ لقد كنتِ نائمة».

نظرت إليه بشك الآن وقالت: «هذا هو الأمر بالضبط يا إيان. أنت تعلم أنني آخذ حبوبًا منومة. لقد أخذت قرصين من المنوم ليلة الجمعة وأنت علمت أنني أخذتهما. كان في استطاعتك أن تغادر الغرفة لساعات من دون أن أعلم».

أخذ يمسح بيديه على فخذيه وقال: «لكن هذا لا يعني أنني فعلت هذا!».

- لذا لا يمكنك أن تثبت لي أنك بقيت في الغرفة طوال الليل.

نظر إلى الآخرين بقلق وقال: «وماذا في ذلك؟ لا يمكن لأي أحد منكم أن يثبت أين كان طوال الليل. لماذا توجهين إليَّ أصابع الاتهام؟ أعتقد أننا جميعًا بحاجة إلى التوقف هنا. لقد أصبحنا كلنا مرتابين قليلًا».

نظرت لورين إلى الآخرين في الغرفة، وقد توجهت أعينهم نحو إيان.

انكمشت بجسدها لتبتعد عنه أكثر وقالت: «لكني لم أكن معك في فترة ما بعد الظهيرة أيضًا».

- لذا تعتقدين الآن أنني قد أكون قتلتهم؟

هز إيان رأسه بغضب وتابع: «لا.. لا.. لماذا قد أقتل ثلاثة أشخاص؟».

نظر إلى الجميع في أرجاء المكان كأنه يريد من يؤيده وأردف: «عليك أن تكون مجنونًا لتفعل هذا!».

قالت بيفرلي: «ربما أنت مجنون».

التفتت لورين في دهشة إلى بيفرلي وهي تتابع: «لقد رأيت الطريقة التي نظرت بها إلى برادلي عندما أحضرت جثته إلى هنا».

اعترض إيان: «ماذا؟ لا أعلم ما الذي تتحدثين عنه!».

ثم قال وهو يحدِّق إلى بيفرلي: «أنتِ مجنونة».

فصاحت بصوتها الحاد بينما تراجع إيان في مقعده بوجه تعتليه نظرة خوف: «لست أنا المجنونة!».

بينما ظلت لورين تراقب كل شيء بعينين متسعتين.

***

قيَّمَ إيان الموقف ولم يرُقه على الإطلاق. لا تعجبه الطريقة التي يحدِّق بها الجميع إليه. قال إيان بنبرة أكثر هدوءًا: «أنا لست قاتلًا. أنا ولورين لم نكن معًا لبعض الوقت في فترة ما بعد الظهر، لكن هذا لا يعني أنني قتلت ثلاثة أشخاص بدم بارد. لا يوجد سبب لتشتبهوا بي».

نظرت إليه لورين بوجه شاحب وأردفت: «لكن كيف لك أن تكذب على والديك بتلك الطريقة طوال هذه السنوات؟ كيف أمكنك فعل ذلك؟ ربما أنت لست كما ظننتك».

ترنحت لورين وهي تنهض فجأة، وانتقلت إلى أريكة أخرى على بعد خطوات. جلست بجانب جوين ونظرت إليه بشيء من الخوف في عينيها.

ناداها إيان بتوسل: «لورين».

لكنها أدارت رأسها بعيدًا عنه ولم تنظر إليه حتى.

***

شاهدت جوين كل هذا وهي تشعر أنها ستصاب بالغثيان. أرادت أن تتقيأ لتتخلص من كل ما بداخلها من خوف، وحزن، وذنب. لا تعلم ما الذي تصدقه. لا تريد تصديق أن إيان قد يكون القاتل، ولكن عليها أن تعترف بأن هذا أمر محتمل.

لا بد أن يصمدوا حتى تصل الشرطة ثم يدعوها تحل الجريمة، لكن الله وحده يعلم متى تصل إلى هنا. لقد أصبحت خائفة أكثر الآن ولم تعد تشعر بالأمان وسط الأعداد الكبيرة. فكرت في رايلي التي في البرد بالخارج والتي ماتت على الأغلب. تساءلت إن كان سيموت أحد آخر.

***

ظل ماثيو يفكر في الظلام ويحدِّق إلى إيان بحقد. مال إلى الأمام فجأة، وسأله: «لماذا علينا أن نصدقك؟».

رد عليه إيان متذمرًا: «صدق ما شئت. ستصل الشرطة إلى هنا في النهاية وستصدقني. لا يوجد دليل على أنني قتلت أي أحد على الإطلاق، **هذا لأنني لم أقتل أحدًا**».

توجه إلى لورين وأضاف: «وأنتِ ستعلمين أيضًا أنني لم أفعلها».

شاهد ماثيو لورين التي تنظر إلى إيان وكأنها تريد أن تصدقه، ثم قال: «لقد كذبت بشأن شقيقك».

لم يُجبه إيان فأضاف ماثيو بعدما جعل صوته أكثر هدوءًا وتهديدًا: «ربما لم يحدث الأمر كما قلت، ربما قتلت شقيقك، ربما أغرقته عمدًا، لأنك أنت قاتل ربما. قد تكون هذه هي طبيعتك فقط!».

حدَّق ماثيو إليه باتهام، بينما ظل الجميع متجمدين في أماكنهم وهم يشاهدون إيان يرد: «لا».

- أنا لا أصدقك، أعتقد أنك قتلت دانا وليست لدي فكرة لماذا فعلت هذا.

قاوم رغبته في البكاء ثم قال: «أود أن أخنقك بيدي».

تحرك ديفيد كأنه يتأهب للتدخل.

وجد ماثيو نفسه يقف الآن، كما نهض ديفيد أيضًا ثم وقف أمامه ووضع يده على صدره. كان ماثيو أطول من ديفيد وتمتع بكتفين أعرض من كتفيه، ولكن ديفيد وضع يده بقوة عليه.

اعترض إيان: «أنا لم أقتلها! لم أقتل أي أحد!».

وقال ديفيد بحزم: «اجلس يا ماثيو».

تردد ماثيو ثم جلس على مضض.

***

ارتمى ديفيد على مقعده مرة أخرى بينما أخذ قلبه يخفق بسرعة. بدا للحظة أن ماثيو على وشك الهجوم على إيان. تحتدم المشاعر على نحو خطير وقد يصبح الناس خطيرين وغير متوقعين بسبب الخوف. علم ديفيد أن عليه ألا يقلل من حذره ولو لدقيقة واحدة.

***

ارتجفت بيفرلي أسفل بطانيتها وشاهدت الآخرين بحذر. إنها مقتنعة بأنها رأت تعبيرًا غريبًا يعتلي وجه إيان عندما نظر إلى جثة برادلي على أرض الردهة، والآن لورين نفسها تقول إنها لم تكن معه بعد ظهر اليوم الذي قُتلت فيه كانديس. هذا غير قصة شقيقه تلك التي أصابتها بالقشعريرة أيضًا. أي إنسان هذا الذي يمكنه أن يكذب على والديه بشأن شيء كهذا لأعوام؟ إنه شخص بارد المشاعر، هذه هي حقيقته. من الواضح أن ماثيو يعتقد أن إيان هو القاتل أيضًا.

سألت بيفرلي نفسها ما الذي قد يجنيه إيان -أو أي أحد آخر- من قتل هؤلاء الأشخاص. إن كانت هناك علاقة بين هذه الجرائم، فلا يمكن لأحد منهم أن يراها. أيًا كان من يفعل هذا فهو شخص مجنون، وهذا ما يخيفها أكثر من أي شيء آخر، لأنه إن كان هناك شخص ما يقتلهم من أجل المتعة، لأنه **يريد** أن يقتلهم أو لأنه لا يمكنه منع نفسه من قتلهم وليس لسبب حقيقي فسيصعب توقع أي شيء. لا يمكنك معرفة ما سيفعله، وعند أي حد سيتوقف. لا يمكنك معرفة حجم المخاطرة التي سيأخذها. ربما يخطط إيان لقتلهم جميعًا. ربما في وقت ما، قبل شروق الشمس، سيبدأ يضحك ويذبح بقيتهم.

ظنت بيفرلي أن هذه المغفلة لورين ربما أدركت أخيرًا ما قد يحدث فهي تبدو خائفة للغاية.

***

أرادت جوين أن تغمض عينيها وتنام. تمنت لو كانت في منزلها ونائمة في فراشها بأمان. تمنت لو تأتي الشرطة. لقد أنهكها الخوف، والحزن، والذنب. لا يمكنها التوقف عن التفكير في رايلي التي في الخارج بمفردها في هذا البرد القارس وهي المسؤولة عن إحضارها إلى هنا في هذا المكان الفظيع. شاهدت الآخرين خلسةً بعينين نصف مغلقتين، منتفختين من الدموع. انفطر قلبها على جيمس الذي فقد ابنه للتو. بدا كأنه لن يتعافى من هذا أبدًا. حسنًا، هكذا صارا اثنين على هذه الحال. حاولت أن تشعر بالتعاطف تجاه ماثيو، لكنها لا تثق به. بدا إيان خائفًا ولا يبدو أنه القاتل على الإطلاق، لكن ربما هذا كله مجرد تظاهر.

يجب ألا تنام، فهزت رأسها قليلًا في محاولة منها لتبقى مستيقظة.

لفتت جوين انتباه ديفيد أمامها، لكنها لا تستطيع أن تعرف ما يفكر فيه. هل يعتقد أن إيان هو القاتل؟ إن كانت لورين في غرفة الجلوس، فهم لا يمكنهم التأكد من مكان إيان وقت قتل كانديس. لكن في الوقت نفسه، لا يمكنهم التأكد حقًّا من مكان أي منهم وقت ارتكاب الجرائم. هذه هي المشكلة، كل شيء محير ومبهم للغاية، وهي متعبة جدًّا لدرجة أنها لا تستطيع التفكير في الأمر...

غفت للحظة ثم استيقظت بفزع. غيرت من وضعها وقاومت لتظل مستيقظة. هذه هي ليلتها الثانية بلا نوم تقريبًا. تمنت مرة أخرى لو أن بحوزتها شيئًا تحمي به نفسها. لكن الحقيقة هي أنها، حتى لو كان بحوزتها سكين، فهي لا تعتقد أنها كانت ستستخدمها. إن لاحقها القاتل أو لاحق أحدًا آخر، هل ستغرز السكين في عنقه؟ نظرت إلى إيان الذي كان يحدِّق إلى النار بتجهم. هل يمكنها غرز السكين في عنق إيان. تفقدت عنقه وتفاحة آدم التي تبرز منها قليلًا. شاهدته يبلع ريقه في ضوء النار، وهو لا يعلم أنها تراقبه ولا يعلم ما الذي تفكر فيه.

لا تعتقد أنها تملك الشجاعة لتفعل هذا. ارتجفت تحت البطانية الصوفية السميكة التي تغطيها هي ولورين. مدت يدها نحو يد لورين أسفل البطانية وأمسكت بها، فضغطت لورين يدها.

الأحد، الساعة الرابعة وخمس دقائق صباحًا

قال هنري في الظلام دون سابق إنذار: «ينبغي أن نقتله قبل أن يقتلنا».

شعر ديفيد بشعره يقف فزعًا. بدا الأمر كأن الجميع توقف عن التنفس. أخذ نفسًا عميقًا وقال بغضب وراء نبرته الهادئة: «لا تكن سخيفًا يا هنري. نحن لا نعلم إن كان إيان قد قتل أي أحد».

فقال هنري بشكل متهور: «إمَّا هو وإمَّا نحن!».

أدرك ديفيد أن هنري ليس في مزاج يجعله يصغي إلى المنطق. إنهم جميعًا في طريقهم إلى بلوغ نقطة الانهيار، ربما بلغها هنري للتو قبلهم. نظر ديفيد بسرعة إلى إيان الذي بدا مذعورًا. غضب ديفيد بعدها من تهور الفكرة وقال له: «لا يمكننا أن نقتله فحسب».

- ولِمَ لا؟ سيكون دفاعًا عن النفس!

هز ديفيد رأسه وقال بنبرة مرتفعة: «أيها الأحمق، هذه ستكون جريمة قتل بدم بارد. لا نعلم إن كان قتل أي أحد. انظر إليه، إنه يرتعد في مقعده. نحن سبعة وهو واحد. هل تعتقد حقًّا أن بإمكانك أن تقتله وتفلت من العقاب؟ هل تريد أن تكون القاضي وهيئة محلفين ومنفذ الحكم في آن واحد؟!».

لم يستطِع السيطرة على نفسه، لقد تملكه الغضب، وقال هذا بنبرة عالية وواضحة.

أسند هنري ظهره إلى مقعده على مضض واختفى وجهه في الظلام.

الأحد، الساعة الرابعة وتسع وخمسون دقيقة

رمش هنري بعينيه. راوده حلمٌ، حلمٌ مزعجٌ للغاية كان فيه مشلولًا ولا يمكنه الحركة أو التصرف. لقد راوده هذا الحلم من قبل، إنه حلم رمزي بالطبع، لكنه لم يبدُ حقيقيًّا إلى هذه الدرجة من قبل. كان مقيدًا في هذا الكابوس. لا يمكنه تحريك ذراعيه أو ساقيه ولا حتى أصابع يديه أو قدميه.

لا يمكنه تحريك لسانه الذي كان ثقيلًا في فمه. الشيء الوحيد الذي كان على قيد الحياة هو ذهنه.

أدرك الآن أن هناك شيئًا خاطئًا للغاية. لقد كان نائمًا، لكن هذا ليس حلمًا. حاول التحدث، لكنه لم يستطِع فتح فمه، لم يمكنه نطق أي كلمة. كان يصعب عليه بلع ريقه. اعتقد أن عينيه مفتوحتان، لكنه لا يستطيع تحريك جفونه، ولا يرى إلا الظلام. لا يمكنه رؤية أي شيء. يبدو الأمر كما لو أن فيلمًا أسود قد غطى عينيه، مثل تلك اللحظة التي تسبق فقدك للوعي. يعلم أنه يحتضر لكنه لا يستطيع إخبار أي أحد. أراد أن يتحرك ويتقلب لجذب انتباههم، لكنه كان عاجزًا عن ذلك. يعلم أين هو رغم أنه لم يعد قادرًا على الرؤية. ما زالت حاسة الشم لديه تعمل، وتعرف على رائحة الخشب الذي يحترق في المدفأة. لقد ذكره بأعياد الكريسماس عندما كان صغيرًا. لا يزال في ردهة فندق ميتشل، وقد نال القاتل منه أيضًا.

الفصل الحادي والثلاثون

الأحد، الساعة السادسة والنصف صباحًا

هرولت وعوت الحيوانات البرية في الغابة خارج الفندق. هدأت الرياح ليصبح صوتها كالأنين. بدأت السماء تنير من الشرق للتو، لكن ما زال وسطها مظلمًا وهادئًا مثل القبر. ومضت الثريا التي فوق رؤوسهم فجأة ثم أضاءت لتغمر الردهة بالضوء. تحرك بقية النزلاء ورفعوا نظرهم في دهشة. تعالت أصوات الأزيز والنقر، بينما عادت أجزاء عدة من الفندق إلى الحياة. لقد عادت الكهرباء.

نظر ديفيد الذي لم يغلق عينيه طوال الليل إلى جوين أولًا، وبدت أنها نائمة ورموشها الداكنة تتناقض مع وجهها الشاحب. كانت تتنفس بسلام للوقت الحالي على الأقل. انكمشت لورين بجانبها فانتقل بعينيه بعدها إلى بيفرلي التي كانت تنظر إليه وترمش في الإضاءة المفاجئة، ثم قال بعاطفة قوية: «لقد عادت الكهرباء، الحمد لله».

تحركت جوين على صوته وفتحت عينيها بينما نهضت لورين فجأة فوق الأريكة وقالت: «الحمد لله».

تحرك ماثيو وإيان تحت بطانيتهما، لا يعلم ديفيد إن كانا نائمين حقًّا، لكنهما يقظان تمامًا الآن. جلس جيمس في كرسيه وعيناه مفتوحتان، ولم يستطِع ديفيد أن يجزم إن كان قد نام على الإطلاق.

صرخت بيفرلي بعدها صرخة مفرغة فالتفت الجميع إليها بسرعة. كانت تحدِّق إلى هنري وصاحت: «هنري!».

ظهر الذعر على وجهها وهزت ذراعه لكن لا شك أن هنري قد مات. كان ثابتًا تمامًا في مقعده ورأسه مائل إلى الخلف، بينما كانت عيناه مغلقتين وفمه مفتوحًا. بدا وجهه شاحبًا بصورة بشعة في ضوء الثريا. صرخت بيفرلي مرة أخرى وهي تهزه بقوة أكبر في ذعر: «هنري!».

نهض ديفيد بسرعة وذهب نحو هنري، لكنه لم يجد أي شيء يمكن فعله. صارت بيفرلي تبكي الآن بهستيرية. رفع ديفيد بصره والتقت عيناه بعيني جوين ليرى بهما خوفًا خالصًا. نهض جيمس ببطء وتعثر في طريقه إلى مكتب الاستقبال. شاهده ديفيد يطلب الرقم بيدين مرتجفتين وأدرك أنه يحبس أنفاسه. شعر بارتياح عميق عندما بدا أن الهاتف يعمل أخيرًا.

تحدث جيمس إلى الهاتف بصوت مرتجف: «نحن بحاجة إلى المساعدة».

الأحد، الساعة السابعة إلا الربع صباحًا

كانت الرقيبة مارجريت سورنسن، الأربعينية ذات الجسد الممتلئ والشعر الأشقر المتجه إلى اللون الرمادي التي دائمًا ما تستيقظ باكرًا، تستمتع بقهوتها صباح الأحد في المنزل بمنامتها الصوفية الأحب إليها والأقل أناقةً، عندما تلقت مكالمة هاتفية من أحد ضباط مركز الشرطة. قال الضابط لاكلان بصوت حاد على غير المعتاد: «سيدتي، لدينا موقف حرج في نزل ميتشل».

إنه شخص هادئ بطبعه، ويجيد التعامل مع حوادث المنطقة على نحو خاص. سألته وهي تترك كوب قهوتها جانبًا: «أي نوع من المواقف؟».

- تلقينا مكالمة من جيمس هاروود صاحب الفندق هناك، وقال إن ثلاثة أشخاص على الأقل قد قُتلوا وربما أكثر.

سألته في ذهول: «هل هذه مزحة؟».

- لا أعتقد ذلك يا سيدتي.

يمكنها أن تعرف من صوته أنه يعتقد كل الاعتقاد أن هذه المكالمة حقيقية. قالت لنفسها وهي مصدومة: *يا إلهي*.

أخذ الضابط أنفاسًا سريعة وقصيرة بعدها، وقال: «يجب أن نذهب إلى هناك يا سيدتي».

- من معك هناك؟

- بيريز وويلكوكس. سنجهز عربات الثلوج. لا توجد طريقة أخرى للخروج حتى الآن.

- من الأفضل أن أخبر الرئيس. سأكون هناك خلال عشر دقائق.

من الجيد أنها تعيش في مكان قريب للغاية من مركز الشرطة، إنه عند الناصية تقريبًا.

الأحد، الساعة السابعة وخمس وثلاثون دقيقة صباحًا

دفعت الرقيبة عربة الثلوج بقوة على الثلج المغطى بالجليد في ممر السيارات الطويل المتعرج المؤدي إلى فندق ميتشل. لقد قادتها بأسرع ما يمكن طوال الطريق من البلدة.

إنها جريمة قتل ثلاثية، مثل هذه الأشياء نادرة بالأعلى هنا. إنهم حتى ليس معهم محقق في مركز الشرطة، وسيتعين عليها أن تتولى الأمر حتى تتمكن شرطة نيويورك من إرسال أحدهم.

أحاطها الضابط لاكلان بما حدث بصورة أوفى عندما وصلت إلى مركز الشرطة، لكن الحقائق كانت سطحية. مات ثلاثة نزلاء وابن المالك، وهناك نزيلة أخرى مفقودة. كانت مصدومة ولا تعرف ما الذي قد يتجهون إليه. إنها تعرف الفندق والعائلة. لقد مات برادلي الصغير، يصعب عليها أن تصدق هذا. ارتفع مستوى الأدرينالين في جسدها بشدة عندما اقتربوا من المنعطف النهائي في ممر السيارات الطويل.

أوقفت المحرك خارج الفندق على الحديقة الهشة المتلألئة، ثم وضعت يدها على مسدسها وأشارت إلى الضباط الآخرين الذين يركنون عرباتهم ليفعلوا مثلها. اقتربوا من المدخل الأمامي بحذر بينما انزلقت أحذيتهم الثقيلة على الجليد. كان المكان باردًا للغاية لدرجة أنها يمكنها رؤية أنفاسها.

لاحظت سورنسن مسحة من الدماء على الجليد القريب من الشرفة الأمامية، وأشارت إليه في صمت. تسللت على جانب درجات الشرفة ونظرت عبر النافذة. سحبت الباب الأمامي أخيرًا لفتحه وهي مستعدة بسلاحها. فُتح الباب بسهولة ودلفت إلى الردهة ثم توجهت عيناها بشكل تلقائي نحو المجموعة الجالسة حول المدفأة. رأت وجوهًا شاحبة تخرج من بطانيات وتحدق إليها. قالت لنفسها: *سأتذكر هذه اللحظة إلى الأبد.*

سمعت الضباط الثلاثة يأتون من خلفها، ثم استوعبت كل شيء بعينيها السريعتين. بدا الناس الجالسون حول النار منهكين وشُعثًا كأنهم لم يناموا، كأنهم نجوا من حصار ما. تعرفت على جيمس الذي صدمه موت ابنه الوحيد. شعرت بغصة من الشفقة تجاهه. عدَّت الثمانية الناجين الجالسين حول النار. لا، بل سبعة، فبعد إلقاء نظرة دقيقة وجدت جثةً على أحد الكراسي.

اقتربت من المجموعة الصغيرة وهي تغمد سلاحها، ثم قدمت نفسها: «أنا الرقيبة سورنسن وهؤلاء...».

أشارت إلى كل منهم بإيماءة، وتابعت: «الضباط لاكلان، بيريز، وويلكوكس. نحن هنا الآن وسنساعدكم».

حاولت أن تبدو مصدر ثقة وطمأنينة في آن واحد. تقدمت سورنسن إلى الأمام لتنظر إلى الرجل الميت من كثب. لا يمكنها أن تعرف بالنظر إليه فقط إن كان قد مات مقتولًا أم مات لأسباب طبيعية.

استقبلت الوجوه الشاحبة التي تنظر إليها، وتمنت بشدة لو كان الطبيب الشرعي والفريق الجنائي معها هنا. لم تكن لديها فكرة كم سيمضي من الوقت حتى يمكن العبور من الطرق وهي بمفردها هنا فقالت لهم: «أخشى أن جميعكم عليكم البقاء هنا حتى الآن، فلا يوجد طريقة لننقلكم جميعًا إلى البلدة بأمان. سنلقي نظرة على أرجاء المكان ثم سأطرح عليكم بعض الأسئلة. عندما يُزال الثلج من الطرق سنأخذكم إلى مركز الشرطة في البلدة

لتدلوا بأقوال رسمية. أريدكم جميعًا أن تساعدوني قدر استطاعتكم في الوقت الحالي».

تلقت إيماءات قليلة مرهقة ردًا على كلامها، فأضافت: «قبل أن ألقي نظرة على أرجاء المكان، أريد أن يحيطني أحدكم علمًا بما حدث، أريد نبذة سريعة فقط الآن».

وقعت عيناها على رجل في أواخر الثلاثينات فطن المظهر، فسألته بطريقة ودودة: «ما اسمك؟».

- ديفيد بايلي.

سحبت مقعدًا وجلست بجانبه، ثم أردفت: «ربما يمكنك أن تخبرني بهوية الجميع ثم تخبرني ماذا حدث».

أصغت له بتجهم وهو يسرد القصة، ثم قالت لهم جميعًا بعدما انتهى من كلامه: «سنبحث عن رايلي بأسرع ما يمكن».

***

أمرت الرقيبة بعدها بيريز وويلكوكس بالبقاء في الردهة لضمان سلامة الناجين. أبقت لاكلان معها ليدون الملاحظات، وليكون بمنزلة عينين وأذنين إضافيتين. انطلقت في جولة سريعة في الفندق ومحيطه وإلى جانبها لاكلان.

بدآ بالردهة، فأخرجت قفازين مطاطيْن من جيبها وارتدتهما، ثم سارت إلى نهاية الدرج وهي تشعر بأعين الناجين متجهة إليها.

جلست في وضع قرفصاء ولاحظت الدماء التي على حافة الدرجة. رفعت نظرها إلى أعلى الدرج ثم نظرت إلى الأسفل مرة أخرى.

أشارت إلى لاكلان ليتبعها، وصعدت الدرج دون أن تصدر صوتًا تقريبًا. تعجبت سرًا كم هذا الدرج هادئ. كان كل ما يمكنها سماعه هو صرير حذائها. واصلت الصعود إلى الطابق الثالث ومن خلفها لاكلان.

وصلا إلى الغرفة رقم 306 التي على يسار الدرج بالجانب الآخر من الممر. استخدمت المفتاح الذي سلمه لها جيمس، ثم فتحت الباب بحذر بيديها اللتين ترتدي فيهما القفازين. أشعلت الإضاءة العلوية ورأت في الداخل جثة

الضحية الثانية على الأرض، ولا يزال وشاحها ملتفًا بشدة حول عنقها. ألقت هي ولاكلان نظرة فاحصة عليها وهما حريصان على عدم إزعاجها.

توجها بعدها إلى الغرفة رقم 302، الغرفة التي لم تكن مُرتَّبة. رأت الفراش غير المرتب والحوض غير الممسوح. نظرت دون أن تنطق ببنت شفة إلى لاكلان الذي زم شفتيه. سيفتش الطب الشرعي هذه الغرفة تفتيشًا دقيقًا وشاملًا عندما يصل إلى هنا.

خرجا ونزلا الدرج، ثم شقًّا طريقهما عبر مخزن الحطب والبرد القارس ليصلَا إلى نهاية الممر المؤدي إلى منزل الجليد. أول ما رأته عندما دلفا إلى منزل الجليد هو جسد برادلي مستلقيًا قرب الجدار الخلفي، وهو الشيء الوحيد الملون في ديكور المكان الشفاف المتلألئ. وقفت وأخذت نفسًا عميقًا. كانت تعلم ما الذي ستجده، لكن ما زال من الصعب أن ترى برادلي متصلبًا وميتًا على الأرض الثلجية. ألقت نظرة من كثب، يا له من فتى جيد المظهر، ويا لها من ضربة بشعة على الرأس.

وُضعت بجانبه على الأرض جثة أخرى أمام الجدار. كانت ملتفة في ملاءة بيضاء بإحكام فقالت: «ربما علينا أن نكشف الملاءة عنها».

ارتدى لاكلان قفازين وسحب الملاءة جزئيًّا من عليها برفق. خفضا بصرهما إلى وجه السيدة المتجمد الذي شوهه الموت. يمكنها أن ترى أنها كانت جميلة وأنها ارتدت ملابس النوم وروبًا حريريًّا لونه أزرق داكن.

ارتجفت لا إراديًّا عندما رأتها ميتة وملقاة هناك في منزل جليدي بملابس خفيفة. قالت بعاطفة قوية: «يا إلهي، يا له من عرض مرعب».

مالت إلى الأسفل وفحصت جرح رأسها.

وقفت في النهاية ثم قالت: «أريد أن أرى المكان الذي قُتل فيه برادلي».

عادا إلى الداخل ثم خرجا من الباب الأمامي مرة أخرى.

اتبعا أثر الدماء في الخارج، وكانت البقعة التي قُتل فيها برادلي على بعد سبعة وعشرين مترًا ونصف تقريبًا من الفندق. كان هناك أثرٌ في الثلج الجليدي وبقعة دماء باللون الأحمر الداكن في المكان الذي سقط به برادلي. رأت ممسحة الأحذية في الجليد على بُعد خطوات قليلة. أعطتها نظرة شاملة

بعينيها المجردتين قدر المستطاع، ثم أشاحت بنظرها بعيدًا والأسى يحز في نفسها. نظرت إلى الفندق وقالت للاكلان: «ما الذي حدث بالضبط هنا؟».

فهز لاكلان رأسه.

عادت سورنسن إلى الردهة ثانيةً وسحبت بيريز وويلكوكس جانبًا وشرحت لهما الوضع: «عليكما أن تفتشا هذا الفندق بدقة من أعلاه إلى أسفله. تفقدا جميع الزوايا والشقوق، والخزائن، والأقبية، وكذلك السقيفة إن كانت هناك واحدة. خذا جيمس معكما، إن كان قادرًا على ذلك. تعاملا معه بلطف؛ لقد فقد ابنه للتو. تفقدا المكان بالخارج أيضًا وجميع الأبواب والنوافذ وكل المباني الإضافية. يجب أن نكون متأكدين تمام التأكد من أنه ما من شخص آخر هنا، وأنه ما من آخر **كان** هنا».

أجاب بيريز: «عُلم ويُنفذ».

فأضافت في تجهم: «في تلك الأثناء سنبحث أنا ولاكلان عن رايلي في المنطقة التي أمام الفندق، لا يمكن أن تكون قد ابتعدت كثيرًا».

***

وقفت في الخارج هي ولاكلان في الجانبين المتقابلين من الحديقة الواسعة حيث تبدأ الشجيرات ثم بدآ مسح المنطقة باتجاه بعضهما بعضًا، ثم عادا يبدآن من الجانبين مرة أخرى مع مواصلتهما في البحث. يجب عليهما أن يتحركا بحذر عندما يبلغان حافة الغابة، ويبحثان عن علامات تدل على مرور أحدهم من هذه الطريق. تذكرت سورنسن عمليات بحث أخرى في الغابة مثل هذه، للبحث عن الصيادين المفقودين وأحيانًا عن الأطفال المفقودين. عادة ما كانت تنتهي هذه العمليات نهاية سعيدة، لكنها لا تتوهم حدوث هذا هذه المرة. امرأة بمفردها ولا ترتدي ملابس ملائمة، لن يمر الكثير من الوقت عليها قبل أن تبدأ درجة حرارة جسدها بالانخفاض إلا إن كانت تعلم شيئًا عن الصمود بمفردها في غابات الشتاء وشكّت سورنسن في هذا الأمر. ما زاد الطين بِلة هو أن رايلي كانت في حالة ذعر، ولم تكن تفكر بشكل سليم، وأولى قواعد النجاة هي ألا تشعر بالذعر.

تكسَّرت الأغصان تحت حذائها، وجعلها الهواء البارد الحاد تشعر بضيق في صدرها. كانت تمسح الغابة، وهي تشعر دائمًا بوجود لاكلان الذي يتحرك بحذر على يسارها. عادة ما أحبت التجول في الغابة، ولكن ليس اليوم. بالإضافة إلى ما تشعر به دائمًا من وجود ضرورة مُلِحَّة خلال البحث الميداني –وما تشعر به من أمل وخوف في الوقت نفسه– كانت تعلم أنه قد يوجد قاتل هنا بمكان ما.

بدأت سورنسن تشعر بالبرد حقًّا لأنهما ظلا هنا لفترة من الوقت، ثم دلفا إلى مساحة صغيرة خالية من الشجر قليلًا، وازداد بها عمق الثلج. رفعت بصرها إلى نهايتها بحثًا عن علامات تشير إلى تَعَدٍّ بشري على ممتلكات الغير، لكنها لم تلحظ شيئًا، إلا أنه وقتها دعاها لاكلان: «ها هنا».

فعلمت من نبرة صوته فحسب ما في الأمر.

رغم ذلك أسرعت نحوه بأسرع ما يمكن على نحو أخرق في الثلج العميق. وقف لاكلان بجانب شيء أكثر قتامة من الثلج الأبيض، جسم متكوم بجانب صخرة كبيرة. رأت بعدما اقتربت أكثر أنها امرأة في الثلاثين تقريبًا وجهها أبيض وغريب، وشفتاها زرقاوان، عيناها مفتوحتان لكن تغطيهما قشرة من الجليد. ارتدت بنطالًا جينز وسترة رمادية، وأحذية الجري. كانت بلا معطف ولا قبعة، وجثمت بجانب الصخرة، بجسد متيبس مثل اللوح، تضم ركبتيها إلى صدرها وتضع ذراعيها حولهما كأنها مختبئة، أو تنتظر شيئًا حتميًّا، بينما كانت يداها موضوعتين داخل كُمَّيْها. كاد هذا أن يحطم فؤاد سورنسن، لكنها حريصة على عدم إظهار الأمر. مالت إلى الأمام لفحصها من كثب بدلًا من ذلك، ولم تجد علامات واضحة على وجود عنف. تراجعت إلى الخلف مرة أخرى ثم تمتم لاكلان: «تبًّا».

تجمعت الغربان وظلت تطير فوق رؤوسهم بلونها الأسود لتقابل لون السماء الشاحب، راقبت سورنسن الغربان للحظة، ثم قالت أخيرًا وهي تنظر إلى لاكلان: «لا توجد آثار لأي إصابات».

قال لاكلان وهو يهز رأسه: «لكن من الذي كانت تهرب منه إلى هنا من دون معطف؟».

– لا أعتقد أنها كانت تعرف حتى.

الفصل الثاني والثلاثون

الأحد، الساعة العاشرة وخمس دقائق صباحًا

عادت سورنسن مع لاكلان إلى الفندق لإبلاغهم بالأخبار السيئة. لا تعتقد سورنسن أن هناك من توقع بقاء رايلي على قيد الحياة، لكن الأمر صعب رغم ذلك. كان من الصعب على صديقتها جوين أن تتقبل الأمر كما هو متوقع. بكت جوين بصوتٍ عالٍ، وبدأت تهتز وتنحب على نحو خارج عن السيطرة. جلست سورنسن بجانبها ووضعت يدها على كتفها حتى هدأت.

تركت المجموعة أخيرًا هي ولاكلان وذهبا إلى غرفة الطعام حيث الخصوصية، وهناك سرعان ما أبلغها بيريز وويلكوكس أنهما متأكدان من عدم وجود أي شخص آخر في الفندق غير الأشخاص الذين يعلمون بشأنهم، وأنه لا توجد علامات تشير إلى مغادرة أي شخص. أخبراها أيضًا بشأن النافذة المكسورة وغصن الشجرة، لكنهما اعتقدا أن الغصن قد كسر زجاج النافذة بمفرده على الأرجح. هذا يعني، حسبما أدركت سورنسن، أنه من المرجح للغاية أن يكون القاتل أحد الموجودين هنا. يُعتبر كل واحد منهم مشتبهًا به في الوقت الحالي، فقالت للاكلان: «من الأفضل أن أحذرهم جميعًا للحفاظ على الأمان».

كان استجواب سورنسن الأول مع جيمس هاروود صاحب الفندق. استدعته إلى غرفة الطعام حيث جهزت طاولة للاستجواب.

تسرب بعض الدفء من المطبخ إليها، سيستغرق الأمر بعض الوقت حتى تعود التدفئة. فُتحت المصاريع حتى تملأ الغرفة بضوء النهار. بدا جيمس في حالة مزرية في الضوء الطبيعي. تساءلت كيف سيمكنه الاستمرار من دون برادلي. جلس أمامها بينما أخرج لاكلان الذي جلس بجانبها دفتر ملاحظاته. أخبرت جيمس بحقوقه، وأشار إلى أنه مستعد لمواصلة الاستجواب، فبدأت برفق: «أنا آسفة للغاية بشأن برادلي يا جيمس».

أومأ وزم شفتيه معًا بشدة في عبوس بالغ وهو يقاوم دموعه. علمت أنه ليس بغريب على المِحَنِ. لقد توفيت زوجته بالسرطان منذ أعوام، وتولى تربية ابنه بمفرده هذه السنوات القليلة الأخيرة، وقد عانى مع برادلي.

مالت إلى الأمام قليلًا وقالت: «قد يكون من الصعب أن تتحدث عن هذا يا جيمس، لكنك تعلم أنني أعرفك أنت وبرادلي منذ وقت طويل».

رفع بصره لها بعينين حمراوين فأردفت: «تعلم أنني كنت أحب برادلي».

أومأ لها وقال وبنبرة همس منكسرة: «لقد كنتِ طيبة معنا».

- لذا، لا تُسئ فهمي.

هز كتفيه بحذر كأنه يعلم ما ستقوله. لقد كان بالطبع يعلم ما ستقوله. إنها متيقنة أن الأسئلة نفسها تراوده، بخاصةٍ بعد مقتل برادلي.

نظرت إليه باهتمام وتعاطف ثم سألته: «هل كان برادلي متورطًا بأي طريقة بهذا... بهذا الوضع؟».

نظر إليها بعينين دامعتين وأخذ وقته قبل أن يجيبها بقوله: «لقد فعل برادلي أشياء كثيرة، لكنه لم يكن ليورط نفسه في شيء كهذا».

ارتجفت شفتاه ثم تابع: «كانت لديه مشكلاته وأنتِ تعلمين هذا. تعلمين كيف كان، لقد كان متهورًا ومحبًا للإثارة، أعتقد أنه منيع. اعتاد أن يقود بسرعة كبيرة، ويرافق أصحاب السوء، يتاجر في المخدرات».

تنهد بقوة ليردف بعدها: «لقد أحب المال وما يمكن أن يشتريه. لم يرغب أن يتعين عليه العمل بجد كبير ليجنيه ولم يعلم دائمًا متى يتجاوز حدوده، لكنه كان فتًى صالحًا».

اغرورقت عيناه بالدموع قبل أن يقول لها: «لم يكن ليفعل شيئًا سيئًا للغاية».

- يا جيمس أنا لا أقصد الإشارة إلى أن برادلي ربما كان له يد في هذه الجرائم، لكن ربما تدخل فيما لا يعنيه، ربما علم شيئًا قُتل بسببه.

قال جيمس في النهاية وهو يتنفس بصعوبة: «لقد تساءلت عن هذا، ظهرت في عينيه نظرة أعرفها، تلك النظرة التي ظهرت في عينيه في المرة التي قُبض عليه فيها وهو يبيع المخدرات، أتذكرين؟ دائمًا ما كان مغرورًا للغاية، لكنه يعلم متى يصبح واقعًا في ورطة. هذا ما بدا عليه بعدما وجدنا جثة كانديس».

هز رأسه وأردف: «وأنا ظننت أنه بدا متعبًا لأنه لم ينَم مثلًا تلك الليلة، الليلة التي سقطت فيها دانا من أعلى الدرج».

رفع نظره لها وتساءل: «ماذا لو كان رأى شيئًا؟ ماذا لو كان قد رأى من فعلها؟».

- هل سألته عن الأمر؟

أومأ وانهمرت الدموع على وجنتيه الآن دون قيود، ثم مسحها وسألته: «ما الذي قاله؟».

خفض بصره وأجاب: «قال إنه كان مرعوبًا من جرائم القتل، مثل أي شخص آخر، وأنا لم أضغط عليه».

وضعت يدها على كتفه وقالت: «أشك أنه كان هناك أي شيء يمكنك فعله لتغير الأمور يا جيمس».

أخذ نفسًا من أنفه بصوت عالٍ وأردف: «ربما إن كنت حاولت التحدث إليه بجهد أكبر، كنت سأغير الأمور.. أما الآن فهو ميت!».

تركته يبكي وهي تضع يدها على كتفه. مسح دموعه ونظف أنفه في النهاية ثم عاد لينظر إليها وقال: «غرفة رقم 302 والفراش غير المرتب».

- أجل؟

- مستحيل أن نكون نسينا هذه الغرفة، مستحيل ألا تكون رُتبت كما يجب بعد مغادرة النزيل الأخير. هذا لم يحدث من قبل قط، وبمجرد أن تتمكني من التحدث إلى سوزان المسؤولة عن خدمة تنظيف الغرف أعتقد أنك ستجدينها تقول الشيء نفسه.

- إذن ماذا حدث باعتقادك؟

- لا أعتقد أن هناك أي شخص في الفندق لا نعلم بشأنه، لم أعتقد هذا قط. أنا أعرف هذا الفندق عن ظهر قلب. إن كان هناك أحد آخر هنا، كنت سأشعر بالأمر بطريقة ما، أو برادلي كان سيشعر بالتأكيد. لقد كان واثقًا أنه ما من أحد آخر هنا، ربما علم من هو القاتل.

كبح رغبته في البكاء وتابع: «أعتقد أن القاتل واحد من النزلاء، وبغض النظر من هو فقد دخل تلك الغرفة وأحدث الفوضى فيها ليجعلنا نعتقد أن هناك شخصًا آخر في الفندق. هذا ما اعتقده برادلي أيضًا، هذا ما قاله لي».

نظر إليها بقسوة قائلًا: «أحدهم قتل ابني».

كانت قد توصلت إلى هذا الاستنتاج بالفعل. نظرت إليه بتعاطف وهي تنهض وقالت: «شكرًا لك يا جيمس، سنكتشف من فعل هذا».

طلبت من جيمس الخروج ونادت على ديفيد ليكون التالي.

قال ديفيد بايلي لها بأدب وهو يجلس على المقعد المقابل لها وللضابط لاكلان: «أجل أيتها الرقيبة».

- هل أجلب لك أي شيء؟ ماء؟

هز رأسه وأجاب: «أنا بخير».

كانت متأكدة تمام التأكد أنه ديفيد بايلي نفسه الذي اتُّهِم في جريمة قتل زوجته وأُطْلِق سراحه قبل سنوات قليلة. إنها تتذكر القضية وأنها ظلت بلا حل، لكنها لن تسأله عنها... الآن.

لقد أخبرها بالفعل بسرد موجز عمَّا حدث. وستقوده الآن بعدما أخبرته بحقوقه ليتناولا كل هذا مرة أخرى، كل خطوة مؤلمة وكل نقطة مروعة،

فبدأت بسؤاله: «هل سبق أن قابلت دانا هارت أو كانديس وايت قبل هذه العطلة الأسبوعية؟».

- لا، لم أقابلهما قط.

- هل سبق أن سمعت عنهما؟

هز رأسه وأجاب: «لا».

- هل قابلت من قبل أي أحد آخر كان هنا خلال هذه العطلة الأسبوعية؟

- لا.

مالت برأسها نحوه وسألته في النهاية: «ماذا تعمل؟».

- أنا مُحامٍ.

إنه هو إذن، فطرحت عليه سؤالًا آخر: «من باعتقادك ارتكب جرائم القتل في هذا الفندق؟».

تردد ثم أردف: «لا أعلم».

ظلت صامتة في انتظاره ليتابع فقال: «بدا الآخرون مثل بيفرلي وهنري وماثيو وبخاصة هنري مقتنعين الليلة الماضية أنه كان إيان. كانوا ينظرون إليه كأنهم يتوقعون أن يقتلنا جميعًا».

فرك عينيه بتعب قبل أن يتابع: «ربما كان من المريح أن يلقوا اللوم على شخص ما أخيرًا. كانوا بحاجة ماسة إلى معرفة هوية القاتل، واعتقدوا أنهم فعلوا ذلك».

رفع نظره إليها وأردف: «من واقع خبرتي، العقل البشري لا يحب التعامل مع الغموض».

أخبرها بعدها ما لم يخبرها به من قبل، وهي الطريقة التي انقلبوا بها على إيان، فقالت وهي تتخيل الموقف: «يا إلهي».

- لقد هدؤوا بعدها، لن أنسى أبدًا كيف بدا إيان مرتاحًا.

- قد تكون أنقذت حياته.

- لا أعتقد أن الأمر كان سيصل إلى هذا الحد حقًا.

هز كتفيه ونظر إليها على نحو ساخر وتابع: «لكن هذا أنا، المحامي المدافع عن المتهم، مهما كانت الجريمة شنيعة».

***

دعت الرقيبة سورنسن بيفرلي سوليفان بعدها إلى غرفة الطعام. عرض الضابط لاكلان، الذي تمتع بمهارات ممتازة في رعاية المرضى، على المرأة الثكلى كوبًا من الماء. تقبلته وأخذت رشفة منه ثم بدأت سورنسن الاستجواب بعدما أخبرتها بحقوقها وسألتها: «سيدة سوليفان، هل لي أن أناديكِ بيفرلي؟».

أومأت بيفرلي، فقالت الرقيبة لها: «أنا آسفة للغاية بشأن زوجك».

قالت بهدوء والدموع مجتمعة في عينيها: «شكرًا لك».

دفع لاكلان علبة مناديل نحوها بحذر، وكان قد وجدها في المطبخ، ثم أخبرتها الرقيبة سورنسن: «لا نعلم سبب الوفاة بعد. يبدو أن وفاته طبيعية، لكن يجب تشريح الجثة».

أومأت بيفرلي ومسحت عينيها بمنديل بعنف، لتقول سورنسن بعدها: «أعلم أن هذا صعب للغاية حتمًا، لكن أنا متأكدة أنك تتفهمين أنني عليَّ التحدث إلى جميع من كانوا هنا خلال هذه العطلة الأسبوعية، وأن أحاول تحديد ما حدث بالضبط ولماذا».

أومأت بيفرلي مرة أخرى ونظفت أنفها وأردفت: «بالطبع».

طلبت من بيفرلي أن تسرد لها ما حدث خلال العطلة الأسبوعية. مالت بيفرلي إلى الأمام قليلًا، وعندما وصلت في سردها إلى الجزء المتعلق بإدخال جثة برادلي إلى الردهة قالت: «ثم حدث شيء غريب».

- ماذا تعنين؟

علمت سلفًا ما ستقوله؛ لقد سمعت بهذا من ديفيد بالفعل.

نظرت إليها بيفرلي للحظة، ثم شرحت قائلة: «إنه إيان، ظل ينظر إلى برادلي...».

ترددت، وكأنها لا تعلم كيف تصف الأمر، لذا سألتها: «كيف كان ينظر إليه؟».

- ظهرت على وجهه هذه النظرة، لكن حدث هذا للحظة فقط ثم اختفت. جعلني هذا أقشعر رعبًا ولم أثق به بعدها. همست إلى زوجي أنني أظن إيان هو القاتل بعدما رأيت هذه النظرة على وجهه مباشرة.

عادت للوراء لتستند إلى مقعدها ثم تابعت: «لم يرَها هنري، ثم قالت لورين الحقيقة وهي أنها كانت تحميه وأنه لم يكن معها طوال فترة ما بعد الظهيرة...».

قالت لها عندما صمتت: «تابعي».

- عندما قالت إنها تسترت عليه، بدأ كل شيء يبدو منطقيًّا. لقد أنكر الأمر بالطبع وكان في حاجة ماسة إلى تصديقنا له. كان موقفًا يفوق الوصف.

- وما كان رأيك؟

- أنا واثقة مما رأيت. أعتقد أن إيان هو القاتل، رغم أنه قام بعمل مقنع في إنكار الأمر، لكنه على الأرجح ممثل جيد.

مالت إلى الأمام باهتمام وقالت: «لقد كذب على والديه طوال هذه السنوات بشأن شقيقه الصغير. من بإمكانه فعل هذا؟ لا بد أنه مختل عقليًّا».

صمتت وأخذت نفسًا عميقًا لتتابع: «لم أقابل مختلًّا عقليًّا من قبل وكنت خائفة منه وقتها، كنا جميعًا كذلك».

***

استجوبت سورنسن جوين بعدها. كانت مصدومة بشدة مما حدث على ما يبدو، ومضطربة للغاية من موت صديقتها. سألت جوين الرقيبة بعدما انتهت من سرد روايتها: «إذن رايلي لم تُقتل؟ ماتت من شدة البرد؟».

أجابتها سورنسن: «لن نعرف على وجه اليقين حتى يصل الفريق الجنائي إلى هنا، لكن هذا ما يبدو عليه الأمر».

همست جوين: «لذا، ما كان عليها أن تموت على الإطلاق».

واسَتها سورنسن قدر المستطاع، وعندما أرسلت جوين أخيرًا إلى الردهة شعرت للحظة بالإرهاق قليلًا من الموقف الذي وجدت نفسها فيه، لكنها دفعت مشاعرها جانبًا وعادت لتركز على المهمة التي أمامها.

***

عندما نادت ماثيو هاتشينسون للاستجواب شاهدته ينهض بتصلب من مقعده ويشق طريقه إلى غرفة الطعام.

عادة ما يفصلون الشهود في غرف مختلفة، لكن من الأسهل أن تتركهم جالسين حول النار، وتعتمد على يقظة ضباطها، بيريز وويلكوكس، لتتأكد من أنهم لا يتحدثون فيما بينهم.

أخذت سورنسن وقتها لتعلم ما حدث على مدار العطلة الأسبوعية مع ماثيو بعدما أخبرته بحقوقه. يمكنها أن تعلم كم هو مستاء. لقد ماتت خطيبته، لكنه أجاب كل أسئلتها عن طيب خاطر. لم يقل شيئًا يتناقض مع ما أخبرها به الآخرون ثم سألته: «ألم يكن لديك سبب لقتل خطيبتك؟».

نظر إليها الآن بحذر وانتابه الخوف ثم تعجب: «ماذا؟».

- قالت بيفرلي إنها سمعتكما تتجادلان في وقت سابق من تلك الليلة. أخبرني عن ذلك.

خفض رأسه، ولم ينكر الأمر، رغم أنها اعتقدت أنه قد ينكر، فكلمة بيفرلي فقط أمام كلمته، لكنه قال: «أجل، لقد تجادلنا في تلك الليلة، لكنه لم يكن جدالًا جادًا. كان بسبب القليل من التوتر فحسب، توتر الزفاف، كما تعلمين. كانت تجد الأمر مرهقًا».

- ما الذي كانت تجده مرهقًا بالضبط؟

- تحضيرات الزفاف، التعامل مع عائلتي. فالتعامل معهم قد يكون به شيء من... الصعوبة، والرهبة.

- ألم تكن عائلتك راضية عن الزفاف؟

- لم أكن لأقول هذا بالضبط.

أشاح بنظره بعيدًا ثم أردف: «لم تكن والدتي راضية بنسبة مائة بالمائة، لكنني أحببت دانا، وكانت تعلم أنني سأتزوجها».

- حسنًا.

قال بعدوانية: «لم أقتلها، أو أقتل أي شخص آخر».

- لكن كان بإمكانك قتلهم.

- ماذا؟

- كان بإمكانك أن ترتكب كل الجرائم. لا يوجد من يستطيع أن يشهد على وجوده معك وقت قتل أي ضحية.

- ولماذا قد أفعل هذا حقًّا؟

- لا أعلم، أنت من عليك أن تخبرني.

حدَّق إليها في ذهول قبل أن تسأله: «لماذا قد تغادر خطيبتك غرفتكما في منتصف الليل؟».

- أنا... أنا لا أعلم.

- لقد اعترفت أنكما تشاجرتما، ألم تذهب خلفها، وفي لحظة غضب دفعتها ربما من أعلى الدرج؟ بعدها -ولأن عليك إنهاء ما بدأته مهما كلف الأمر- عندما رأيت أنها لم تمُت بعد، ألم تجز على أسنانك وتحطم رأسها في الدرجة الأخيرة.

علمت أنها قاسية نوعًا ما، لكنها أرادت أن ترى رد فعله. بدا مرعوبًا وقال: «يا إلهي... لا! أنا لم أقتلها!».

- وبعدها ربما علم أحدهم هنا، ربما اكتشف أحد ما. قد تكون كانديس علمت ما فعلته، أو شكَّت في الأمر على الأقل، أو ربما برادلي رأى شيئًا. هل حاول أحدهما ابتزازك؟ هل حاول كلاهما ابتزازك؟

استطاع أن يقول بانفعال: «لا! هذا فظيع!».

- أهو كذلك؟

- إنه كذلك بالطبع! أنا لم أقتل خطيبتي! لقد أحببتها.

استغرقت في تفكيرها ونظرت إليه نظرة طويلة، فنظر إليها بقلق لتقول بعدها: «كانت كانديس تؤلف كتابًا. هل كان كتابًا عنك؟ أم كان عن دانا ربما؟ عن شيء من شأنه أن يضرك؟».

- لا، أنا لم أسمع عنها من قبل. لم نعلم أي شيء عن الكتاب. لا أنا ولا دانا كان لدينا ما نخفيه. لماذا قد يؤلف أي أحد كتابًا عنًّا؟

انتظرت وتركته يرتبك ثم قالت: «حسنًا، هذا كل شيء إلى الآن».

نهضت وفتحت أبواب غرفة الطعام الزجاجية ثم أردفت: «يمكنك أن تعود إلى الردهة».

الفصل الثالث والثلاثون



الأحد، الساعة الواحدة إلا الربع ظهرًا

أعادت الرقيبة سورنسن ماثيو إلى الردهة، وطلبت من لورين أن تأتي. شاهدت لورين وهي تنهض وتسير أمامها لتدلف إلى غرفة الطعام.

جلست على الطاولة ثم جلست سورنسن أمامها وحذرتها، ثم بدأتا.

توجهت إليها سورنسن بابتسامة بسيطة وسألتها: «هل أنتِ بخير؟».

أومأت لورين وأجابت: «أعتقد ذلك، ما زلت أفكر في الأمر».

قبلت كوب ماء من لاكلان وارتشفت رشفة واحدة منه ثم أضافت: «على الأغلب سيظهر تأثير كل هذا عليَّ لاحقًا».

أومأت سورنسن وقالت: «إنها الصدمة».

أومأت لورين لها وبدت متوترة. بدا الجميع متوترًا فسألتها: «هل أنتِ من اكتشفتِ دانا؟».

- أجل، توجهت إلى الأسفل في وقت مبكر لأرى إن كان بإمكاني الحصول على بعض القهوة. لم أعلم حتى إن كان هناك من استيقظ بعد.
- تابعي.
- عندما وصلت إلى بسطة الدرج رأيت دانا مستلقية على الأرض عند نهايته.

نظرت إلى لاكلان كأنها محرجة ثم تابعت: «أخشى أنني صرخت، كان بإمكاني معرفة أنها ميتة. لقد بدت هامدة تمامًا. ركضت إليها بالأسفل ثم أتى الآخرون».

- هل لمستِها بأي شكل؟

- أجل، لقد تفقدت نبضها.

ترددت قبل أن تواصل وتقول: «ثم أتى الآخرون، كُنَّا جميعًا مستائين للغاية. لا يتوقع أحد حدوث شيء كهذا. ظننا أنها سقطت من أعلى الدرج. ثم قال ديفيد... لاحقًا، إنه لا يعتقده حادثًا».

- متى قال ذلك؟

- بعد تناول الغداء. قال إنها يجب أن تبقى في مكانها حتى تصل الشرطة، وأن هذا قد يصبح مسرح جريمة.

رفعت نظرها إليها وأردفت: «لا أعتقد أن هناك من صدقه في البداية... ظننا أنه حادث، وأنه يبالغ في رد فعله حتى قُتلت كانديس».

تركتها سورنسن تتحدث عمًا حدث بقية اليوم، واكتشاف جثة كانديس، وما حدث في أثناء الليل، ثم قالت عندما انتهت لورين من سردها لروايتها: «يعتقد البعض أن إيان قد يكون هو من ارتكب جرائم القتل».

قالت لورين بقوة وهي تخفض بصرها إلى الطاولة: «لا أعلم».

- هل تظنين هذا ممكنًا؟

ترددت قبل أن تجيب ثم نظرت إليها وبدت غير مرتاحة تمامًا وقالت: «هذا ممكن، لقد قضيت بعض الوقت في فترة ما بعد الظهيرة في غرفة جلوس الطابق الثالث لأقرأ. لم أكن معه لذا أفترض... أفترض أنه كان بإمكانه فعل هذا».

عادت لتنظر إلى الطاولة فسألتها سورنسن: «ماذا عنكِ؟».

- عذرًا؟

- كان بإمكانك أنتِ أن تقتلي كانديس فأنت أيضًا لا تملكين حجة غياب. لقد كنتِ بمفردك في غرفة المعيشة. لذا كان بإمكانك أن تقتلي دانا وبعدها تقتلين برادلي في وقت لاحق.

- آه، حسنًا. يمكنني أن أؤكد لكِ أنني لم أفعل هذا. ما السبب الممكن الذي قد يدفعني إلى ذلك؟

- لا أعلم. هل قابلتِ دانا هارت أو كانديس وايت من قبل؟

أجابت لورين بحزم: «لا، بالطبع لا».

مالت لورين إلى الأمام بجدية عندما لم تقل سورنسن شيئًا، وقالت: «ليست لديكِ فكرة كيف كان الأمر، أن تكوني محاصرة هنا مع كل ما يحدث. عندما ركض الجميع في الظلام الليلة الماضية، ركض ديفيد خلف ماثيو وبقيتنا ركضنا إلى الخارج وراء رايلي...».

هزت رأسها كأنها لا تصدق أن هذا حدث حقًّا، وتابعت: «كان الظلام دامسًا ولا يمكن أن تحددي أين أي شخص آخر، لكني سمعتُ جوين بعدها... لا بد أنها كانت على مقربة مني. كان بإمكاني سماع أنفاسها وانزلاقها على الجليد. بدت كأنها في حالة ذعر، كأنها تظن أن هناك من يلاحقها».

صمتت كأنها تعيش ذكرى هذه اللحظات الفظيعة عندما انهار كل شيء، ثم همست: «سمعتها تناديني لكنني لم أجب. اعتقدتُ أنه ربما، إذا كان القاتل هناك، فسوف يتبعها هي، بدلًا مني. لذا بقيت هادئة للغاية».

غلب البكاء على صوتها، ثم بدأت تبكي بشدة.

أعطتها سورنسن وقتها لتستعيد هدوءها. كانت صبورة وقدمت لها علبة المناديل، بينما انتظرها الضابط وهو مستعد بقلمه فوق دفتر ملاحظاته.

قالت لورين في النهاية: «أنا لست فخورة بهذا».

ثم نظرت إليها وأضافت: «لكني بالطبع لم أقتل أحدًا».

مدت يدها إلى الماء لتشرب، فلاحظت سورنسن أن يدها ترتجف وهي ترفع الكوب إلى شفتيها لذا قالت لها: «خذي وقتكِ».

تابعت لورين حديثها: «حاولتُ أن أفكر في أي علامات قد أكون غفلتُ عنها، علامات قد تدل على أن إيان ربما يكون مجنونًا، لكني بصراحة لم أجد أيًّا منها».

حدَّقت بعينين داكنتين بهما نظرة إنكار إلى سورنسن التي تجلس أمامها على الطاولة، وقالت: «لقد بدا طبيعيًّا تمامًا في نظري. لقد سحر الجميع

وكان... محبوبًا للغاية. أعجب به من قابلوه مثلما أعجبت أنا به بالضبط. إنه لأمر مخيف للغاية، أن تعتقد أنك قد تكون مخطئًا جدًّا بشأن شخص ما، أن تشعر أنك... مخدوع للغاية. أنا لم أرَ أي قسوة في طبعه بالتأكيد. اعتقدتُ... اعتقدتُ أنه شخص يمكنني أن أفكر في علاقتي به بشكل جدي».

- يمكن للمضطربين عقليًا بحق أن يكونوا مقنعين للغاية.

نظرت إليها لورين بوجه بائس وقالت: «لا أعتقد أن لديكِ أي فكرة كم كان الأمر مخيفًا، أن تجلسي في تلك الغرفة طوال الليل وأنت تعلمين أن هناك قاتلًا على مقربة منكِ، وتنتظرين رؤية ما سيحدث بعد ذلك».

- لا يمكنني تخيل هذا.

طرق بيريز باب غرفة الطعام وقت مغادرة لورين. التفتت سورنسن له وسألته: «ما الأمر؟».

دلف بيريز إلى الغرفة وتحدث إليها بصوت منخفض: «لقد تذكرت شيئًا للتو وقد يكون مهمًّا».

أومأت له فتابع:

- أردتِ أن تعلمي إن كنت أنا أو ويلكوكس سبق أن سمعنا عن المؤلفة كانديس وايت. ظننت أن اسمها بدا مألوفًا لكني لم أعلم أين رأيته. اعتقدتُ أنها ربما كاتبة تقرأ لها زوجتي فهي تقرأ الكثير من الكتب.

أومأت سورنسن مرة أخرى بنفاد صبر وقالت: «أجل؟».

- لكن في الواقع لقد قرأتُ أحد كتبها. لقد كتبت كتابًا عن جريمة حقيقية قبل بضع سنوات وقد استمتعت بها للغاية. هذا تقريبًا كل ما قرأته.

- حقًّا؟ وما كان اسمه؟

- لا أتذكر بالضبط، لكنه كان عن مدير المدرسة هذا الذي قتل أحد طلابه.

غادر بيريز غرفة الطعام ونظرت سورنسن إلى لاكلان الذي كان قد زم شفتيه بعد هذه المعلومة الجديدة.

فركت سورنسن يديها معًا وسارت إلى نوافذ غرفة الطعام لتنظر عبرها إلى الغابة. فكرت فيما كان يختبئ في الغابة المظلمة من دببة وذئاب وأشياء قد تقتل. فكرت في القاتل البشري الموجود معها في الفندق نفسه.

سمعت أحدهم يدخل غرفة الطعام. ابتعدت عن النافذة لترى جيمس يحمل صينية عليها قهوة وشطائر. رؤية جيمس يفعل ما كان يفعله برادلي عادةً حطمت فؤادها تقريبًا. لا بد أنه وقت الغداء بالفعل. أرادت أن تشكره لكنها لم تثق بنبرة صوتها. وضع الصينية على طاولة المائدة المفتوحة الجانبية ثم أومأ برأسه وغادر الغرفة.

سارت إلى الطاولة وسكبت كوبًا من القهوة الساخنة، ثم أخذت شطيرة وكوب قهوتها، وعادت إلى النافذة، لتنظر إلى الغابة وهي مستغرقة في تفكيرها.

***

عاد ديفيد إلى غرفة الطعام بعدما استدعته الرقيبة سورنسن مرة أخرى. تساءل بضجر ما الذي تريده منه. لقد أخبرها بكل ما يعرفه ويريد الآن أن ينام. قالت سورنسن بعد صمت طويل: «سيد بايلي».

تغير صوتها، لم يعد ودودًا تمامًا كما كان من قبل فتصلب جسده بشكل تلقائي كأنه يتوقع ضربة لتقول: «أنا أعلم من أنت».

تلقى الضربة التي كان يتوقعها تمامًا فأجاب ببرود: «لقد أخبرتك من أنا».

أومأت وقالت: «لقد أخبرتني باسمك أجل، لكنك لم تخبرني بكل شيء، أليس كذلك؟».

- ولماذا أفعل هذا بينما لا علاقة لذلك بالجرائم؟

- ربما له علاقة.

- أنا لا أرى هذه العلاقة.

- لقد كانت كانديس وايت تؤلف كتابًا.

اعترف ديفيد: «أجل هذا ما قالته».

- هل تعلم عمَّا تحدث الكتاب؟

قال وهو يشعر بالقلق: «ليست لديَّ فكرة».

ثم أضاف: «لم تقل لنا ولم يسمع أحد منَّا عنها من قبل».

شعر بقلبه يعتصر وقال لنفسه (ها هي ستقولها) ليجدها تقول: «أنت ما زلت مشتبهًا بك في قتل زوجتك، أليس كذلك؟».

- لا.

فاستفزته: «هذا ليس صحيحًا بالضبط، أليس كذلك؟».

نظر إليها بغضب وقال: «لا أعرف ما الذي تتوقعين مني قوله. لقد ألقت الشرطة القبض عليَّ ثم أسقطت التهم عني، وأنا متأكد أنك تعلمين هذا. لم تكن هناك أدلة كافية ليواصلوا اتهامي. على حد علمي، كانت هذه نهاية الأمر. لم أعد أعتبر نفسي رهن التحقيق بعد الآن».

- آه، ولكنك كذلك بالتأكيد، فهذه التحقيقات لا تتوقف فقط، أليس كذلك؟ كونهم لا يمتلكون ما يكفي من الأدلة للقبض عليك الآن فقط، لا يعني أنهم لن يجدوا ما يكفي للقبض عليك في المستقبل.

صمتت قليلًا وأردفت: «ضابط الشرطة الجيد لا يستسلم أبدًا. يجب أن تعرف ذلك، فهم يواصلون عملهم بهدوء أكبر فحسب».

سألها ديفيد بغضب: «ماذا تقصدين من هذا؟».

- أتساءل فحسب إن كنت في خوف مميت، ربما من أن يكتب أحدهم كتابًا عنك... وما كانت قد تقوله كانديس عن مقتل زوجتك.

- هذا سخيف. لقد أخبرتك، أنا لم أسمع بها من قبل ولم تكن تؤلف كتابًا عني.

أصابه الدوار وخفق قلبه بسرعة كبيرة للغاية. يعلم أنه لم يقتل كانديس أو أي شخص آخر. إنها تسير في الاتجاه الخاطئ.

أضافت سورنسن: «أنا لا آمل هذا، لكن نما إلى علمي أن كانديس كانت معروفة بكتابة كتب الجريمة الحقيقية».

شعر ديفيد أن وجهه صار شاحبًا قبل أن تتابع: «على أي حال، إنها مسألة وقت فحسب حتى نصل إلى حاسوبها المحمول، وبعدها سنرى. هذا كل شيء إلى الآن، يمكنك الذهاب».

الفصل الرابع والثلاثون

الأحد، الساعة الثانية إلا الربع ظهرًا

ارتمت الرقيبة سورنسن على الكرسي. لا تعلم كم سيمضي من الوقت حتى يصل فريق البحث الجنائي. نظرت بنفاد صبر إلى ساعتها. بدأت بعد قضاء ساعات في الغرف الباردة، وشرب القهوة الساخنة التي لا تنتهي، تقدِّر ما يجب أن يكون عليه الأمر عندما تكون محاصرًا في هذا الفندق المهجور خلال العطلة الأسبوعية بلا كهرباء، لكنها لا يمكنها أن تتخيل بقية الأمر حتى.

رغم هذا يوجد دليل هنا، لقد قُتل ثلاثة أشخاص على الأقل. ماتت أخرى من التعرض للبرد الشديد بعدما هربت من الفندق في حالة رعب، وهناك شخص خامس مات في ظروف مريبة، ومن الواضح أن الناجين مصابون بالصدمة.

دعت إيان بيتون للدخول، هذا الشخص الذي يخافون منه ويعتقد بعضهم أنه القاتل. بدا إيان شاحبًا قلقًا عند دخوله إلى غرفة الطعام. نظر إليها بحذر فتساءلت عما يظنه أسوأ... أن يتهمه الآخرون في منتصف الليل وقتما بلغ مستوى خوفهم وارتيابهم أقصاه، أم أن تستجوبه الشرطة في ضوء النهار البارد.

اعتقدت أنه تحت وطأة أقصى جهد فقالت له: «اجلس من فضلك».

جلس ونظر إليها كأنه يتوقع أن تلقي القبض عليه. تساءلت إن كان سيصبح أول من يرفض التحدث بعدما تخبره بحقوقه، لكنه وافق بإيماءة ونظر بتوتر نحو الردهة التي تجمع بها الآخرون، بينما كانت الأبواب الزجاجية مغلقة. أخبرها في تردد بروايته لما حدث في العطلة الأسبوعية بعدما وجَّهته بأسئلتها. أنكر مقابلته لدانا هارت أو كانديس وايت أو سماعه عنهما من قبل. أخبرها أنه كان مصدومًا بجرائم القتل مثل الجميع، فعلَّقت: «يظن الآخرون أنك من فعلتها».

قال دفاعًا عن نفسه: «إنهم مجانين، أنا لم أقتل أحدًا. قد يكون أي واحد منهم».

- من فعلها باعتقادك؟

صمت للحظة ثم قال: «لا أعلم».

رفعت حاجبيها عمدًا وسألته: «لا تملك فكرة على الإطلاق؟».

فأجاب بعناد: «أنا لست محققًا، لكن أيًا كان من فعلها فلا بد أنه مجنون. الموقف برمته جنوني».

لعق شفتيه بتوتر وأضاف: «بصراحة لقد كنت خائفًا على حياتي بالأمس. لولا ديفيد لكنت قد قُتلت ربما. هذا الأحمق هنري اقترح قتلي، لكن نجح ديفيد في تهدئته».

نظرت إليه بلا تأثر ثم قالت: «والآن هنري أيضًا ميت».

رفع نظره إليها وقال: «ليس لي علاقة بهذا الأمر أيضًا، أقسم لك!».

- لا نعلم كيف مات بعد. سيُجرى تشريحٌ للجثة بالطبع. هذا كل شيء إلى الآن. يمكنك العودة إلى الردهة.

الأحد، الثالثة والنصف مساءً

انتقلت الرقيبة سورنسن مع الضابط لاكلان إلى غرفة معيشة الطابق الأول حيث أشعل جيمس النار لهما، وكانت مريحة أكثر من غرفة الطعام. ظل الآخرون في الردهة تحت حراسة ويلكوكس وبيريز، وقد أبلغها بيريز أنهم تناولوا الطعام لكنهم صاروا متململين.

علمت سورنسن أنه لا يوجد بيدها الكثير لتفعله حيال هذا الأمر. لقد شعرت بصبرها ينفد أيضًا، وكل من رئيس الشرطة، والطبيب الشرعي، والفريق الجنائي -والمحققين- سيأتون عندما تصبح الطرق صالحة للسير وليس قبلها.

لقد تفقدت الأدلة المادية قدر استطاعتها ولا يوجد ما تستطيع فعله في هذا الجانب إلى أن يصل الفريق الجنائي. استجوبت جميع الحضور بقدر ما تجرأت دون أن يلتزموا جميعًا الصمت ويبدؤوا طلب مستشار قانوني. لم تكن سعيدة بأنها في هذا الفندق المعزول دون خبراء فنيين لتأمين الأدلة بسرعة وخبرة على النحو الواجب. تمنت لو يسرعون حقًّا في إزاحة الثلوج من الطرق.

لا يوجد ما تفعله سوى أن تراقب المشتبه بهم وتبقيهم في أمان، وتتأكد من عدم عبث أي أحد بالأدلة. صارت مُحاصرة هنا من دون الفريق الجنائي وليس لديها إلا ذكاؤها لتعمل به.

قالت للضابط لاكلان الذي يجلس أمامها بجانب النار: «لا يبدو للوهلة الأولى أن أيًّا من هذه الجرائم مرتبطة ببعضها بعضًا. لم يتعرف الضحايا على بعضهم إلا عندما وصلوا إلى هذا الفندق. هذا على حد علمنا على الأقل. قد يظهر للعلن شيء في أثناء تعمقنا في التحقيق. ما لا نعلمه الآن هو...».

ثم أضافت: «دافع من أي نوع».

علَّق لاكلان بإحباط واضح: «أكره الجلوس هنا في هدوء ونحن عاجزون عن فعل شيء».

تنهدت وأردفت: «ما يزعجني هو ما حدث لبرادلي».

تابعت وهي تفكر بصوت عالٍ، لكنها تحدثت بنبرة منخفضة: «أنا أعرف برادلي. دائمًا ما كان يتطلع إلى شيء ما، كان مغامرًا للغاية، ولديه دائمًا مخطط قيد التنفيذ. إنه متورط في هذا بشكل ما وأنا متأكدة من ذلك. لقد رأى شيئًا أو علم بشيء وهذا ما تسبب في مقتله. ما الذي علمه؟».

اقترح لاكلان: «كان يتطلع إلى قليل من الابتزاز ربما؟».

نظرت إليه وأومأت ثم قالت: «هذا ما أفكر فيه. هذا لن يفاجئني على الإطلاق، لكن من الذي كان يبتزه؟ من منهم هو قاتلنا؟ أم هل لدينا أكثر من قاتل؟».

نظرت إلى النار للحظة ثم أردفت: «كان بإمكان أي أحد منهم أن يقتل دانا، وأي أحد منهم كان يمكنه أن يقتل كانديس أيضًا، وكذلك أي أحد بينهم كان باستطاعته أن يقتل برادلي باستثناء هنري وبيفرلي، فهما فقط من لم يذهبا إلى الخارج وقت قتل برادلي».

اتفق معها لاكلان بقوله: «أجل».

- وكان يمكن لأي منهم أن يدس شيئًا في شراب هنري سوليفان مثلًا إن كان في الحقيقة مات مقتولًا بطريقة ما ولم يمت لأسباب طبيعية. لقد اعترفوا جميعًا أنهم دفَّؤوا أنفسهم أمام النار من حين لآخر، وهنري كان يجلس هناك.

ثم أضافت: «ناهيك بأن هنري كان يجعل نفسه شخصًا مزعجًا نوعًا ما بتطفله ونظرياته على ما يبدو، ولا بد أن قاتلنا شعر بالتوتر».

***

تألم جسد ديفيد بالكامل من الجلوس على المقعد بعضلات مشدودة طوال الليل. تتوق للعودة إلى المنزل، ولكنه يعلم أن الأمر سيستغرق بعض الوقت قبل أن يستطيع أي أحد المغادرة.

قضى الوقت في مشاهدة جوين وتساءل إن كانت على استعداد لرؤيته بأي طريقة ممكنة بعد انتهاء كل هذا، وفكر في هوية القاتل. يبدو أن بقيتهم مقتنعون –أو بدوا مقتنعين الليلة الماضية على الأقل- بأن إيان هو القاتل، لكنه لا يعتقد هذا. يعتقد أن شخصًا واحدًا فقط الذي يعرف الحقيقة، وهو

القاتل. كانت لديه فكرة جيدة عن هوية القاتل لكنه ليس لديه أي دليل، ولا يريد أن يشارك نظريته مع سورنسن. ليس الآن على الأقل.

***

أرادت جوين أن تعلم من هو القاتل بشدة. فكرت بقلق فيما حدث خلال الساعات الأولى من النهار عندما اقترح هنري قتل إيان. فكرت كم يمكن للناس أن يصبحوا خطيرين عندما يصيبهم الخوف. شعرت بالامتنان لديفيد لأنه وضع نهاية للأمر. بالطبع رجل يُحكِّم عقله بينما فقد من حوله عقلهم... رجل كهذا لا يمكنه أبدًا أن يقتل زوجته أو أي أحد آخر، أليس كذلك؟

أرادت أن تعلم من هو القاتل لأنها عليها أن تعلم يقينًا أن ديفيد لم يفعلها.

***

سار إيان ذهابًا وإيابًا أمام نوافذ الردهة متجاهلًا الآخرين قدر المستطاع، لكنه يمكنه الشعور بهم وهم يشاهدونه. إنه سعيد لأن هناك ضابطًا في الغرفة ليراقب الجميع ويحميه، لكنه خائف رغم ذلك. لقد أكد لهم جميعًا أنه لم يقتل أي أحد وهم لا يصدقونه على ما يبدو. ما يهم هو ما تصدقه الشرطة. قد يحتاج إلى محامٍ جيد للغاية. فكر في ديفيد بايلي الجالس هناك مع بقيتهم. لقد أنقذ ديفيد حياته تقريبًا. ربما سيمثله إن وصل الأمر إلى هذا الحد. إن ألقت الشرطة القبض عليه.

الفصل الخامس والثلاثون

الأحد، الساعة الرابعة وعشر دقائق مساءً

هدأت النار في المدفأة ووصل جيمس إلى غرفة المعيشة ليضرمها مرة أخرى. كانت لا تزال الرقيبة سورنسن مع الضابط لاكلان أمام النار، عندما سمعت صوتًا قادمًا من مسافة بعيدة. صوت معدات ثقيلة قادمًا من ممر السيارات بالخارج.

قال لاكلان وهو يقف بفارغ الصبر: «لا بد أنهم فرق تنظيف الطرق أتوا في الخارج».

قالت سورنسن بشعور من الراحة وهي تنهض من مقعدها: «حمدًا لله، لن يمضي وقتٌ طويلٌ قبل أن يصل البقية إلى هنا أيضًا».

غادرا غرفة المعيشة ووصلا إلى الردهة حيث توجه انتباه الجميع نحو النوافذ. كان الصوت أكثر صخبًا هنا. رأت عبر النوافذ كاسحة ثلج صفراء كبيرة تتقدم في ممر السيارات ببطء وجهد كبير.

التفتت بعيدًا عن النافذة ونظرت إلى الناجين في الردهة. خرج جيمس من المطبخ بسبب صوت الكاسحة، بينما ظل الآخرون بلا حراك كما لو كانوا متجمدين في أماكنهم. نظرت سورنسن إلى كل منهم على حدة: جيمس، وبيفرلي، وماثيو، وجوين، وديفيد، وإيان، ولورين.

ألقت نظرة سورنسن عبر النافذة مرة أخرى لترى بعدها أن هناك شاحنة آتية خلف كاسحة الثلج. تعرَّفت على الفريق الجنائي وشعرت بابتسامة ارتياح ترتسم على وجهها.

***

شاهدت جوين الفريق الجنائي وهو ينتشر ويبدأ عمله. ظل الضابطان ويلكوكس وبيريز في الردهة كأنهما يخشيان أن يحاول أحدهم الهروب منهما.

تساءلت عمَّا سيجده الفريق الجنائي.

قضت الكثير من الوقت مع هؤلاء الناس طوال هذه العطلة الأسبوعية المروعة. عرفت أسرارهم أو على الأقل بعضًا منها. لقد كشفهم تمامًا ما مروا به. رغم ذلك، ما زالت تشعر أنها تقريبًا لا تعرفهم على الإطلاق. لقد نجت من هذه العطلة الأسبوعية فقط لتأخذ شيئًا قبيحًا معها... لقد تعلمت أنك لن تعرف أبدًا أي شخص آخر **بحق**. يا له من أمر مروع لأنك لا يمكنك أن تعرف حقيقته، أليس كذلك؟ عندما تغادر هذا المكان وتعود إلى العالم ستفكر في جميع من تقابلهم على أنهم أشخاص لديهم شر كامن في أعماقهم.

***

تلقت الرقيبة سورنسن مكالمة بأن المحقق سيتأخر في الوصول. ما زالت المسؤولة هنا إلى الآن. شاهدت الخبراء الفنيين يعملون بسرعة وكفاءة. تعلم أنه مهما كان أحدهم حريصًا، فمن الصعب هذه الأيام أن يغادر دون أن يترك أي أثر لدليل عمَّا فعل.

تابعت الخبراء في أنحاء الفندق وهم يضعون علامات الأدلة الصغيرة بحذر ويلتقطون صورهم المبالغ فيها. راقبتهم من كثب وهم يفحصون الجثث واحدة تلو الأخرى ويتمتمون لبعضهم بعضًا في أثناء عملهم. سيستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن يتمكنوا من نقل الجثث، رغم أنهم يعملون بأسرع ما يمكن.

صارت في الخارج الآن تشاهدهم عاكفين على العمل بالمنطقة في الثلج الذي مات عليه برادلي. كانوا قد ثبَّتوا أضواء كاشفة ساطعة في وقت متأخر من فترة ما بعد الظهر وتأثيرها كان مسببًا للعمى تقريبًا. قال أحد الخبراء:

«يبدو أنه تعرض لضربة واحدة على مؤخرة رأسه وكانت الضربة قوية وثقيلة بما يكفي لقتله».

لوَّح لها أحد الخبراء الآخرين لتقترب ثم قال: «انظري إلى هذا».

نظرت من كثب وهو ينحني ويشير إلى شيء في الثلج، لكنها لم ترَ أي شيء. رفعت نظارتها قليلًا لتحصل على تأثير كامل من عدساتها ثلاثية البؤر، ثم أردفت: «أنا لا أرى أي شيء».

مال الخبير إلى الأمام مرة أخرى واستخدم الملاقط ليأخذ شيئًا صغيرًا للغاية من أعماق الثلج ثم حمله أمامها. إنه قرط ماسيٌّ صغير، لا عجب أنها لم تستطِع رؤيته. سألته سورنسن: «هل تقول لي إن هذا كان أسفل الجثة؟».

أومأ الخبير وقال: «لقد كان مجمدًا في الثلج، فلا بد أنه لم يكن هنا لوقت طويل، بل كان موجودًا منذ سقوط الثلج في ليلة الجمعة وهذا قرط للآذان المثقوبة، لذا نستطيع أن نحصل منه على قدرٍ مُرضٍ من الحمض النووي».

قالت سورنسن وهي عاجزة عن إخفاء دهشتها: «إذن، إنها امرأة».

- هذا ما يبدو عليه الأمر.

- أحسنت صنعًا.

***

عادت سورنسن إلى الداخل وطلبت من إيان بيتون أن يأتي معها إلى غرفة الطعام للإجابة عن مزيد من الأسئلة. لم تنظر إليه وهي تطلب منه ذلك، ولاحظت أن الآخرين يتحركون في ترقب. ترنح إيان الشاحب المرتجف في طريقه إلى غرفة الطعام.

طلبت منه الجلوس وذكَّرته أنه ما زال تحت طائلة التحذير، فهبط جسده كأن قوة ساقيه قد خارت. قالت وهو ينظر إليها بعينين متسعتين من الخوف: «لديَّ بعض بضعة أسئلة أخرى لك يا إيان».

رفعت كيس أدلة بلاستيكيًّا صغيرًا وشفافًا ووضعته على مفرش الكتان الأبيض فوق طاولة الطعام ثم سألته: «هل رأيت هذا القرط من قبل؟».

نظر إليه كأنه فقد قدرته على النطق من الدهشة. أيًّا كان ما توقعه، فمن الواضح أنه لم يكن ما يحدث الآن. سألته سورنسن: «هل تعرَّفت عليه؟».

أومأ ببطء ثم أجاب: «إنه قرط لورين. أنا أعني، إنه يبدو كالذي ترتديه».

- متى كانت آخر مرة رأيتها ترتديه فيها؟

عاد للوراء في مقعده وصار يدرك الآن ما الذي تسأله عنه فسألها: «أين وجدتموه؟».

لم تُجِب وانتظرته يجيبها، فقال: «كانت ترتدي هذين الزوجين البارحة على ما أعتقد».

- على ما تعتقد؟

- لقد ارتدتهما بالأمس.

- حسنًا.

حرصت سورنسن وهي تمر عبر الردهة الآن على ملاحظة أن لورين لا ترتدي أي أقراطًا. في حين أن جوين وبيفرلي ارتدتا أقراطًا. كانت تعلم أنه ما من واحدة منهن قد تجد أمامها الفرصة لتعود إلى غرفتها وتحضر قرطًا جديدًا إن أضاعت أحد قرطيها فسألته: «هل لاحظت متى لم تعد ترتديهما؟».

هز رأسه وهمس: «لا».

***

شاهدت الرقيبة سورنسن الجميع بحذر وهي تعود إلى الردهة. لقد كانوا على أحَرٍّ من الجمر منذ أن عاد إيان إلى الردهة في شحوب وصمت ليجلس وهو يرتجف بوضوح.

وقف لاكلان بجانب سورنسن في حالة استعداد ومعه أصفاد.

لاحظ ديفيد كيف كان الجميع ساكنًا يقظًا. شعر بنبض قلبه يتسارع وهما يقفان أمام لورين ثم قالت لها الرقيبة: «قفي من فضلك».

نهضت لورين وهي ترتجف بوضوح فقالت الرقيبة بنبرة حازمة: «لورين داي، أنتِ رهن الاعتقال لقتل برادلي هاروود».

تجاهل ديفيد الباقي وشاهدهما وهما يخبرانها بتحذير ميراندا[1]. فتحت فمها للاعتراض، لكن بدا وكأنها يمكنها بالكاد أن تتنفس. نظرت نظرة ذعر سريعة إلى إيان، لكنه لم يستجب، بدا مصدومًا للغاية على أن يستجيب.

---

(1) تحذير ميراندا أو حقوق ميراندا هي مجموعة حقوق يجب على الشرطة أن تخبر المتهم بها قبل اعتقاله ومنها حقه في التزام الصمت.

التفتت لورين بعدها إلى ديفيد بعينين مملوءتين بالذعر. احتاجت إلى أحد في صفها، احتاجت إلى مُحامٍ. رغم ذلك عندما نظرت إليه والتقت أعينهما بسرعة، أشاح بنظره بعيدًا عنها ونظر إلى وجوه الآخرين الذين صدمهم تحول الأحداث.

***

شعر إيان أن جسده قد اعتل عندما سمع صوت نقرة الأصفاد وهي تُغلق حول رسغَيْ لورين.

اعتقد أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا. خفق قلبه بشدة داخل صدره. لا يمكنه أن يصدق الأمر. لا يمكن لهذا أن يحدث. مرر أصابعه في شعره باضطراب.

لقد بدت طبيعية للغاية.

ظن أن ماثيو هو من قتل الجميع، فقد ولد وفي فمه ملعقة من ذهب وربما قتل خطيبته بعد شجار ثم حاول التستر على الأمر بالغطرسة الطبيعية التي يتسم بها من وُلدوا أثرياء. ربما علم برادلي وكانديس شيئًا وكان عليه إسكاتهما. رغم هذا لم يكن ماثيو على الإطلاق. ماثيو ضحية، لقد فقد المرأة التي يحبها. نظر إيان إليه الآن وشعر بالأسى تجاهه، فهو لن يعود كما كان أبدًا.

إيان لن يعود كما كان أيضًا، ولا أي أحد منهم سيعود لحاله الأولى.

شعر بنوبة مفاجئة من الدوار، وقاوم نوبة أخرى من الغثيان. قد تكون الشرطة مخطئة، لورين لم تقتل كل هؤلاء الناس بالتأكيد. **ما السبب المقنع الذي دفعها لذلك؟**

نظر إليها مرة أخرى ليجدها تزم شفتيها بشدة وتغمض عينيها. علم فجأة أن هذه هي الحقيقة. لا يمكنه التوقف عن التحديق إليها، وتساءل عما يدور وراء هذين الجفنين المغمضين. أدرك أنه لا يعرفها على الإطلاق.

قال لنفسه إنه نجا بأعجوبة وارتجف خوفًا. لقد قضيا شهورًا معًا وظن أنه وقع في حبها.

***

شاهد ماثيو الشرطة وهي تلقي القبض على لورين. لا يعلم ما الدليل الذي بحوزتهم، لكنه يثق بالشرطة. لا بد أن لديهم سببًا جيدًا لاعتقالها. يملؤه حزن وغضب لا يوصف، لكن ملأته الراحة أيضًا. راحة من أنه لم يعد مشتبهًا به في قتل خطيبته. تقدم خطوة تجاه لورين على نحو غريزي ووقف. إنها من قتلت دانا! كانت **هي**! لا يكاد يصدق هذا. **هي** من دفعت دانا إلى أسفل الدرج وضربت رأسها في الدرجة الأخيرة لتتأكد أنها ماتت ثم تركت الجميع بعدها يعتقدون لبعض الوقت أنه هو ربما من فعل هذا. أراد أن ينهي حياته تقريبًا من اليأس والخوف.

سألها بنبرة عالية تحمل ألمًا: «لماذا قتلِتها؟».

فقالت الرقيبة: «تراجع من فضلك يا سيدي».

فتحت لورين عينيها فجأة ونظرت إلى ماثيو بيأس وصرخت: «أنا لم أقتلها! أنا لم أقتل أي أحد! لقد فهموا الأمر بشكل خاطئ. هذا كله خطأ، لم تكن أنا!».

التفتت إلى إيان على نحو مجنون فهو سيساعدها بالتأكيد، وقالت له: «أخبرهم يا إيان! أخبرهم أنها ليست أنا!».

لكنه نظر إليها بطريقة غريبة كأنه خائف منها. ما الذي قاله للشرطة قبل بضع دقائق عندما كان في غرفة الطعام؟ ما الذي يعرفه؟ لا يمكنه أن يعرف أي شيء!

تقدم ديفيد وحذرها: «لا تقولي أي شيء، لا تنطقي بكلمة واحدة».

الفصل السادس والثلاثون



الأحد، الساعة السادسة إلا الربع مساءً

نظرت لورين إلى عينَيْ ديفيد ولم تكن عينَيْ شخص يصدقها، ولا شخص سيحميها. انهارت على الأرض مكبلة اليدين وأغلقت عينيها مرة أخرى. تركوها تبقى على الأرض متكئة على الأريكة، وسمعتهم يتحدثون بصوت منخفض في الخلفية.

لن تخبرهم بأي شيء، لديها الحق أن تلزم الصمت وهي ستستخدم هذا الحق.

عندما دعاها إيان إلى هنا لقضاء عطلة أسبوعية مثيرة، لم يكن لديها أي فكرة عمًّا سيحدث، لم تخطط لأي شيء من هذا.

عادت بذاكرتها إلى الليلة الأولى. لم ترُقها دانا من البداية. ظنت أن هذا لأنها ذكرتها بشخص ما، لكنها لا تتذكر من. لم تدرك من التي ذكَّرتها بها دانا إلا بعد ساعة الكوكتيل عندما كانوا يتناولون العشاء. لم تتذكر حتى علقت دانا بقولها **بدا الأمر كأن هناك شخصًا سقط من فوق السطح!** ثم ضحكت على الأمر لتدرك بعدها من هي دانا بالضبط. بدأ قلب لورين بعدها يخفق بقوة وشعرت بحرارة وبرودة وتصببت عرقًا. دانا -التي كانت تُدعى داني

عندما عرفتها لورين– لم تُبدِ أي إشارة تدل على معرفتها بها. ليس قبل ذلك التعليق الذي علمت بعده أن داني تعرفت عليها، لكنها تظاهرت بالعكس. دائمًا ما كانت داني ممثلة جيدة، لكن من الواضح أنها أرادت لورين أن تعرف أنها تعرفها.

لقد تغير كل منهما، من الخارج على الأقل.

كان هذا قبل وقت طويل، منذ خمسة عشر عامًا.. أي نصف عمرها. كانت لورين وقتها مراهقة بدينة عبوسة وعادية، وقد سخرت داني منها بلا هوادة، لكنها تعرفت عليها.

بدت داني مختلفة الآن أيضًا. كان شعرها قصيرًا للغاية في سن الخامسة عشرة ولديها نظرة قاسية ولئيمة. كانت فتاة قاسية ولئيمة. بدت مختلفة تمامًا الآن بعد خمسة عشر عامًا. بدت هذه النسخة الجديدة –دانا- أنثوية للغاية، متألقة، وثرية المظهر. لا عجب أن لورين لم تتعرف عليها في البداية، لكنها متأكدة أن داني المشاكسة ما زالت موجودة وأن دانا مزيفة. لم تبدُ **دانا** وكأنها سبق وقضت ليلة واحدة في دار رعاية بائسة لتُخرج إحباطها، وغضبها، وخوفها على آخرين أكثر ضعفًا منها.

وضعت لورين ماضيها خلف ظهرها أيضًا، ولم ترده أن يظهر إلى العلن، فهي لديها إيان الآن. لا يمكنها أن تترك دانا تدمر كل شيء. كان عليها أن تتأكد أنها لن تقول أي شيء. كان بالها في حالة اضطراب لبقية المساء. ظل بالها مشغولًا بأمور أخرى، حتى وهي مع إيان في بئر الدرج الخلفي. **هل ستبوح دانا بالأمر؟**

قالت لنفسها إن دانا لديها أيضًا الكثير لتخسره. إنها على وشك الزواج، ومن الواضح أنها مهتمة بالمال. كانت لورين متأكدة أن ماثيو لا يعرف شيئًا عن ماضي دانا، فدانا ستخفي هذا عنه بالتأكيد. لن تريد رجلًا مثل ماثيو أن يعرف من أين أتت، لكن دانا علمت شيئًا عن لورين لن تسمح بخروجه إلى العلن.

يا له من حظ سيئ.

كم كان من السهل أن تتذكر كل شيء في تلك الليلة. كان يملؤها الغضب في هذا الوقت الفظيع من حياتها. ابتعدت عن منزل عائلتها وأُرسلت إلى

دار الرعاية البائسة هذه على الجانب الآخر من المدينة. رأى والداها أنهما لا يمكنهما السيطرة عليها واعتقدت أنهما أرادا أن يلقناها درسًا وقد كرهتهما بسبب هذا. سئم والدها منها، بينما والدتها... والدتها اعتقدت أنها لم تكن سعيدة فحسب. لم تفهم والدتها المسكينة التي طالت معاناتها من هي لورين حقًّا قط!

كانت دار الرعاية مروعة. لم تكن لديها غرفة نومها الخاصة حتى، بل تعين عليها مشاركة الغرفة مع فتاتين أخريين واحدة منهما هي داني الطويلة النحيفة الشريرة. لم تعرف ما كانت مشكلة داني قط، فهم لم يتحدثوا مطلقًا عن منزلهم وكيف انتهى بهم الحال في هذا المكان القذر. كان الحمام مشتركًا بين ستة منهم، ولم يبدُ أن هناك من ينظفه وكان الطعام بالكاد صالحًا للأكل، لكنها تناولته على أي حال. كرهت نفسها وهي تلتهم الطعام وتبحث عن الراحة في أي مكان يمكنها أن تجدها فيه.

كانتا تصعدان إلى السطح. يبدو الآن من المستبعد أو غير المعقول أنهما في فترة مكوثهما بدار الرعاية كانتا تتسلقان برج هوائي التلفزيون في الفناء الخلفي لتصعدا إلى السطح. وقعت دار الرعاية في نهاية الشارع، وإن بقيتا في الجزء الخلفي من السطح فلن يراهما أحد.

كانتا تقضيان الوقت بالأعلى هناك وتدخنان السجائر التي سرقتها داني من السيدة بورسيل، السيدة التي كان من المفترض أن تعتني بهم.

صعد خلفهما ذات مساء أحد الأطفال يدعى لوكاس –كان في الثالثة عشرة، لكنه بدا أصغر من ذلك- وطلب من داني سيجارة فأمرته أن يغرب عن وجهها.

بقي، وظل يضايقهما حتى أخبرته داني أن والديه كانا مدمنين على المخدرات، ولن يعودا أبدًا من أجله لأنها سمعت الإخصائي الاجتماعي يخبر السيدة بورسيل أنهما ماتا بجرعة زائدة، وأنه يتيم الآن. كان بإمكانها أن تصبح لعينة متحجرة القلب. صاح ودموع الغضب تنهمر على وجهه: «أنتِ تكذبين! أنا سأخبرهم عنك!».

قالت داني وهي تنفض غبار السيجارة: «افعل هذا».

ثم أضافت: «يا إلهي، يا لك من طفل».

لم يصل إلى أي نتيجة مع داني، وصار مكتويًا بنار الحزن، واحتاج إلى إيذاء شخص آخر فانقلب على لورين وقال لها بازدراء يفوق عمره: «أنتِ بدينة وقبيحة!».

نهضت لورين فجأة، ودفعته من فوق السطح بمنتهى البساطة. التفتت داني لها في صدمة وقالت: «يا إلهي! ما الذي فعلتِه لتوك؟».

نظرتا إلى الأسفل إلى الصبي الذي أصبح على أحجار الفناء بالأسفل. لم يكن يتحرك وانفتح رأسه ليتدفق منه الدم.

هربتا بسرعة إلى المركز التجاري ولم تعودا إلا وقت العشاء.

افترضوا أنه سقط أو قفز، فقد كان صبيًّا مضطربًا وابن مدمنين على المخدرات ومن المحتمل أنه كان مصابًا بمتلازمة الكحول الجنينية وضعف في التحكم بالانفعالات. لم يسأل أحد حتى أين كانتا، لكن داني علمت ما فعلته لورين وظلت تهددها بفضحها كلما راقها الأمر.

غادرت داني بعد مدة لا تزيد على أسبوع من دفع لورين للصبي من فوق السطح. عبأت أغراضها في كيس قمامة وقالت لها: «إلى اللقاء يا فاشلة». غادرت الدار بعدها وأغلقت الباب بقوة خلفها. لم تعلم لورين إن كانت قد عادت لوالديها أم ذهبت إلى دار رعاية أخرى.

أرادت لورين أن تعود إلى المنزل. لم تظن أنها ستظل هنا لوقت طويل، لكن فترة مكوثها طالت أسبوعًا تلو الآخر حتى تساءلت إن كان والداها سيطلبان أخذها مرة أخرى يومًا ما. لم يخبرها أي أحد بأي شيء وازداد غضب لورين أكثر فأكثر.

عندما خرجت لورين من دار الرعاية أخيرًا، جاءت والدتها لاستعادتها بمفردها. رحل والدها ولم ترَه ثانيةً. أخذتها والدتها للمنزل وعادت الأمور إلى طبيعتها لتفعل لورين ما يحلو لها. تزوجت والدتها مرة أخرى بعد عامين، وتبناها زوج والدتها فغيرت اسم عائلتها لاسمه.

ثم ظهرت داني في فندق ميتشل.

لم تأخذ لورين حبوبها المنومة حقًّا هذه الليلة. انتظرت حتى نام إيان ثم تسللت من غرفتها عندما هدأ كل شيء باستثناء صخب الرياح وجلبتها. سارت

بهدوء إلى الطابق الثاني وطرقت باب دانا برفق. كانت بمفردها في الممر والجميع نيام بينما أثارت العاصفة ضجة قوية خارج النوافذ. لذا لم يتعين عليها أن تطرق الباب مرتين.

فتحت دانا الباب ونظرت إليها بحذر. قالت لورين أنهما ينبغي لهما أن تتحدثا. نظرت دانا إلى خطيبها النائم ثم وضعت مفتاح الغرفة في جيب ملابس نومها وخرجت إلى الممر دون أن تنطق ببنت شفة. تبعت لورين لتنزل الدرج حتى بلغت البسطة ثم توقفت، وقالت بصوت منخفض: «انتظري، يمكننا أن نتحدث هنا».

وقفت كأنها لن تذهب إلى أبعد من ذلك. لذا نظرت لورين إلى عيني دانا وهما أعلى الدرج، ثم قالت: «يجب أن نوضِّح بعض الأشياء».

حدَّقت إليها دانا بعينين متسعتين وبنفس الطريقة التي حدَّقت إلى لورين بها في غرفة الطعام عندما مزحت بشأن سقوط أحدهم من فوق السطح.

لديهما تاريخٌ متوترٌ مشتركٌ والسؤال الوحيد كان: **ما الذي حدث الآن؟**

اعتلى وجه دانا تعبيرٌ هادئٌ خالٍ من الانفعالات وسألتها: «ما هي بالضبط تلك الأشياء التي تريدين توضيحها؟».

ثم ابتسمت ابتسامة متكلفة وأردفت: «آه، مهلًا! أنا أعلم. تريدين أن تتأكدي من أنني لن أخبر أي أحد أنكِ **قاتلة**».

قالت لورين في غضب بصوت منخفض: «اصمتي يا داني. لا تعتقدي أنك يمكنك السيطرة عليَّ بعد الآن. لقد تغيرت الأمور».

ضحكت دانا وقالت: «آه، لا أعتقد أنها تغيرت إلى هذه الدرجة. أظن أنني ما زلت الشخص المسيطر هنا بالنظر إلى ما أعرفه عنكِ».

- لكني لا أعتقد أنك تريدين ماثيو أن يكتشف ماضيكِ أيضًا، أليس كذلك؟
- أوه، لا أعرف. ماضِيَّ قد يكون حزينًا، لكنه ليس إجراميًا.

مدت لورين يدها وأمسكت رداء دانا لتنتزعه. ظهر هناك أسفل كتفها اليسرى وشم صغير لأفعى. ضحكت لورين تقريبًا وسألتها: «ألم تتخلصي من هذا؟ يمكنكِ إزالة هذه الوشوم كما تعلمين».

نظرت دانا إليها وتشاجرت معها بصوتها المنخفض المألوف، لتقول: **«دائمًا ما كنتِ صغيرة معتلة اجتماعيًّا. ما الذي ستفعلينه... هل ستدفعينني أنا أيضًا؟».**

فدفعت لورين دانا إلى أسفل الدرج دفعة مفاجئة عنيفة. سقطت دانا على نحو أخرق إلى أسفل الدرج وكتمت السجادة السميكة صوت سقوطها. صرخت صرخة قصيرة بعثت الذعر في نفس لورين وتجمدت في مكانها، لكنها ارتكبت هذا الآن.

استلقت دانا بلا حراك أسفل الدرج. كانت أمام لورين لحظات فقط قبل أن يأتي الآخرون ركضًا. ركضت بهدوء إلى أسفل الدرج وهناك شعرت أن نبض دانا ما زال موجودًا في منحنى رقبتها الناعم. أمسكت ببعض من شعر دانا اللامع في قبضتها وسحبت رأسها لتهشمه –بأقوى ما لديها وبكل ما داخلها من غضب– في حافة الدرجة. ظل قلب لورين يخفق بقوة. نظرت إلى أعلى الدرج وهي تتوقع أن يأتي أحدهم في أي لحظة، لا بد أن يكون سمع أحدهم الصرخة. أخذت تحضر قصتها، لكن ما من أحد أتى. تفقدت نبض دانا مرة ثانية لتجدها قد ماتت. ألقت نظرة سريعة حولها ثم بعد أن تأكدت أنه ما من أحد قد رآها، ولأنها لم ترغب في مقابلة أي أحد قد يكون سمع شيئًا، ركضت بهدوء إلى الممر الخلفي وشقت طريقها عبر الدرج الخلفي إلى الطابق الثالث ثم دلفت إلى غرفتها مرة أخرى حيث بدا إيان نائمًا.

لقد قتلتها، لقد قتلت داني، الشخص الوحيد الذي علم ما فعلته قبل كل تلك السنين. كل ما شعرت به هو الراحة. معرفتها بأنها قتلتها قبل أن تتزوج رجلًا غنيًّا وتحصل على كل ما تمنته يومًا منحها شعورًا مرضيًا على نحو خاص.

سيظنون جميعًا أنها سقطت من أعلى الدرج.

زحفت إلى السرير من جديد. استلقت عليه مستيقظة طوال الليل لتفكر فيما فعلته، ولم تشعر بأي ندم.

مع ذلك بدأت تقلق والليل الطويل آخذٌ في سدل أستاره. حدث كل شيء بسرعة بالغة. قلقت من أن تكون دانا قد قالت شيئًا لماثيو عنها بالفعل، من

أنهم قد يستطيعون معرفة أنه لم يكن حادثًا، ومن ألا تكون دانا قد ماتت بالفعل.

نهضت في وقت مبكر للغاية في النهاية –بعدما لم تنَم على الإطلاق– وتسللت إلى الأسفل قبل أي أحد. ذهبت بهدوء وحرص على ألا توقظ أحدًا. خفق قلبها كأنه تضخَّم ليملأ صدرها بالكامل. وقفت على البسطة أعلى الدرج ونظرت بارتياح وبرود إلى دانا التي بدت ميتة بوضوح في الأسفل. نزلت الدرج بسرعة وانحنت عليها لتتأكد أنها ميتة حتمًا. شعرت براحة كبيرة لدرجة أنها ضحكت تقريبًا، ثم صرخت صرختها الشيطانية.

جاء النزلاء ركضًا إليها بعدها، وتأكدت من أن يجدوها وهي تتفقد نبضها تحسبًا لعثور الشرطة على بصمات لمستها. تمنت أن يبدو الأمر حادثًا، وإن لم يعتقد أحدهم أنه حادث فهناك ماثيو... المشتبه به الرئيسي، فظنت أنها في أمان.

لكن بعدها اقترح ديفيد المحامي أن هذا لم يكن حادثًا على الإطلاق وأنها جريمة قتل. اعتقدت أنها قد تكون بخير رغم ذلك. اعتقدت أنهم قد يظنون ماثيو هو من فعلها، وحتى إن لم يفعلوا، فلا يوجد ما يلصق التهمة بها. كانت متأكدة أنهم لن يجدوا الصلة بينها وبين داني.

لكنها وجدت الملحوظة في كتابها بعد الغداء، الكتاب الذي تركته في الردهة بعد الإفطار. أخذت الكتاب معها إلى الأعلى بعد الغداء وفتحته لترى داخله قصاصة الورق الصغيرة غير المطوية مع إشارتها المرجعية. كُتب عليها في محاولة واضحة لتغيير خط اليد بحروف كبيرة منفصلة الآتي: **لقد رأيت ما فعلتِه بدانا.**

شعرت بقلبها يقفز داخل صدرها كأن هناك من صعقه بالكهرباء. هناك من رآها! لم تكن الملحوظة موقّعة، لكنها رأت كانديس في الردهة تمسك الكتاب وتركته بعدها بسرعة. لا بد أنها هي، هل ستحاول ابتزازها؟ فكرت لورين بقلق في الفندق، وفكرت كيف كان يمكن لأحدهم أن يختبئ، خلف كرسي، أو في تجويف داخل الجدار، وكيف تمكن أحدهم ربما من رؤيتها، أو سماعها، بعد كل شيء. كم كانت متهورة، وكم كانت مغرورة لتلقي نظرة سريعة في الأرجاء وتفترض عدم وجود أحد هناك! لكن كانديس كانت

تراقبها، لا بد أنها فعلت هذا والآن ستحاول ابتزازها، تلك اللعينة، لكن لورين لم تكن من النوع الذي يمكن ابتزازه.

علمت ما توجب عليها فعله. لم يزعجها أن تقتل، ليس إذا كان الأمر ضروريًا. دائمًا ما كانت قادرة على القيام بما هو ضروري. إنها تختلف عن الآخرين. دائمًا ما علمت هذا منذ أن كانت طفلة صغيرة.

علمت أيضًا أهمية إخفاء مثل هذه الحقيقة. تمتعت بذكاءٍ كافٍ حتى لا يكتشفها أحد، وهذا يعطيها بعض الحرية التي بدا أن الآخرين يفتقرون إليها. يمكنها أن تفعل أشياء لا يمكنهم القيام بها، لكنها تعلمت كيف تخفي هذا بمشاهدة ما يفعله الآخرون لتدعي أنها مثلهم.

أخبرت إيان أنها تريد قضاء بعض الوقت بمفردها بعد أن وجدت الملحوظة وذهبت إلى غرفة المعيشة الصغيرة التي في الطابق الثالث مع كتابها. علمت أنها لا يمكنها مواجهة كانديس في المكتبة، فهذه مخاطرة كبيرة للغاية. ستصعد إلى غرفتها في وقت ما على الأغلب، وقد لاحظت بالفعل أنها ترتدي وشاحًا حريريًا حول عنقها هذا الصباح.

سمعت صوتًا في الممر بعدها بفترة. نهضت من مقعدها المجاور للنافذة حيث يوجد ضوء كافٍ للقراءة، وتحركت بهدوء نحو الباب ونظرت إلى الخارج. كانت كانديس تفتح باب غرفتها التي في الجانب الآخر من الممر. فتحت كانديس الباب ودلفت إلى الغرفة تاركة الباب خلفها مفتوحًا. تسللت لورين إلى نهاية الممر نحو الباب المفتوح. نظرت سريعًا إلى أول الممر وآخره فلم تجد أحدًا. وقفت كانديس أمام المكتب وأدارت ظهرها للباب. لم تكن لورين ستتفاوض معها فهي لديها طريقة واحدة فقط للتعامل مع المبتز. كان من السهل أن تتسلل خلف كانديس وغاصت قدماها في السجادة دون أن تصدر أي ضوضاء. أمسكت بسرعة بطرفي الوشاح الذي حول عنقها وجذبتهما بكل ما أوتيت من قوة. لم تتركهما إلا عندما صارت متأكدة. تركت كانديس لتنهار على الأرض وبمجرد أن أصبحت متيقنة تمامًا من موتها غادرت الغرفة واستخدمت كمها لتغلق الباب خلفها. اتبعت خطواتها مرة أخرى إلى غرفة المعيشة حيث أخذت كتابها من جديد.

لقد حُلت المشكلة.

خطر ببالها فكرة أخرى بعدها. تأكدت من عدم قدوم أحد ثم تسللت إلى الجانب الآخر من الممر وفتحت القفل -وهي مهارة تعلمتها كمراهقة مثيرة للمشكلات- ثم تسللت بهدوء إلى غرفة فارغة في نهاية الممر أمام غرفة جوين ورايلي. تعين عليها أن تكون هادئة للغاية حتى لا تسمعانها. أفسدت ترتيب الفراش قليلًا وجعلته يبدو كأن هناك من نام عليه، ثم ذهبت إلى الحمام وأخذت المنشفة لتفتح الصنبور وتنثر بعض الماء في الحوض. تسللت بعدها بحذر خارج الغرفة وعادت لتجلس في غرفة المعيشة وهي تشعر أنها ذكية نوعًا ما. كانت متأكدة أنه ما من أحد رآها هذه المرة.

ظنت أن الأمر سينتهي عند هذا الحد.

كان من السهل عليها وقت اكتشاف جثة كانديس أن تتخفى وتدعي رعبًا وخوفًا لم تشعر به. تصرفت مثل الآخرين، قلدت مشاعرهم مثل الحرباء. لقد فعلت هذا طوال حياتها فكان الأمر سهلًا. تجمعوا كلهم في أنحاء غرفة كانديس ليفسدوا مسرح الجريمة. تعمدت أن تنحني على كانديس وتفتعل مشهدًا لتلمسها أمام الجميع وهي تحاول إرخاء الوشاح من باب الاحتياط. لذا، لم تجد داعيًا للقلق بشأن تتبع الأدلة، ولكنها أدركت حينها بالفعل أنها اقترفت خطأً فظيعًا.

حدث هذا عندما عادوا من منزل الجليد قبل اكتشاف جثة كانديس. ذهب برادلي إلى المكتبة بحثًا عن كانديس بينما وقفت لورين أمام مكتب الاستقبال ومالت عليه مستخدمة هاتفها الآيفون بحثًا عن قلم. أرادت أن تحل الكلمات المتقاطعة على ضوء المصباح الزيتي. وقعت عيناها على مفكرة بيضاء صغيرة حجم أوراقها هو نفسه حجم الملحوظة المزعجة التي كانت في كتابها. قرَّبت الضوء منها وتمكنت من رؤية أثر باهت لحروف منفصلة. تمكنت من تمييز الكلمتين.. «رأيت» و«دانا» بوضوح كافٍ، والمفكرة مقلوبة رأسًا على عقب.

لقد كان مكتب برادلي، وهي لم ترَ والده -أو أي أحد آخر- خلف هذا المكتب قط. ربما كتب برادلي هذه الملحوظة ووضعها في كتابها، وربما كانديس لم تكن لها علاقة بالأمر. قد يكون برادلي هو من رآها تقتل دانا. أخذت القلم بسرعة وابتعدت عن المكتب بقلب يخفق بشدة في صدرها.

رغم ذلك فكرت، بعد أن هدأت وتظاهرت أنها تحل الكلمات المتقاطعة، أن كانديس ربما رأت الملحوظة -التي كُتب فيها لقد رأيت ما فعلتِه بدانا- داخل الكتاب الذي كان في يدها. لقد أخبرتها لورين أنه كتابها. ربما كان من الأفضل أن تموت كانديس. يا لها من لعينة متطفلة، لكن برادلي... لا بد أنه من رآها.

أدركت لاحقًا بعد اكتشاف جثة كانديس أن برادلي خائف حتمًا من أنها قتلتها أيضًا. ظنت أنه ربما فقد أعصابه وصار خائفًا للغاية الآن على أن يقترب منها ويطلب المال. لقد علم ما فعلته، وعلم أنها سيتعين عليها قتله.

رأت فرصتها عندما ركضت رايلي إلى الخارج في الظلام وتبعها برادلي. أخذت معطفها الذي بداخل جيوبه قفازاها الجلديان. خرج إيان معها، لكنها حثَّته على اللحاق برايلي بسرعة، وتظاهرت أنها تجد صعوبة في انتعال حذائها. التقطت ممسحة الأحذية بعدما صارت بمفردها على الشرفة في الظلام وتسللت بهدوء في الاتجاه الذي رأت برادلي يسلكه. تركت غضبها يسيطر عليها عندما وصلت إليه أخيرًا وضربته بكامل قوتها. تجمدت بعدها في الليل وأصغت في قلق من أن يكون سمع أحدهم صوت سقوطه، لكن الطقس كان عاصفًا للغاية على أن يسمعوا أي شيء. لم يأتِ أحد وتمكنت من سماع صوت جوين الخافت وهي تنادي رايلي بنبرة ذعر فقط. ظلت جاثية وتحركت بعيدًا عن برادلي تاركة ممسحة الأحذية بجانب جثته. اتجهت إلى الجانب الآخر من الفندق بعيدًا عن الجثة. رأت الضوء يظهر عند الباب الأمامي بعد فترة وجيزة ثم رأت ديفيد وماثيو قادمين من الداخل للانضمام إليهم.

عندما سمعت الصراخ، تحركت إلى المكان الذي تركت فيه برادلي ميتًا، لكن الأمر لم يسِر كما افترضت. كان ديفيد هناك يحمل الكشاف ذا الضوء الباهت وجوين بجانبه. رأت جيمس يحوم فوق برادلي وحاولت أن تذهب إليه لتعرض المساعدة وتتفقد نبضه وترى إن كان ميتًا حقًا، لكن ديفيد لم يدعها تقترب منه. منعها ولم يسمح لها بالذهاب إلى برادلي حتى عندما ضربت صدره بيديها وبكت. اعتقدت أنها بدت مقنعة للغاية، لكنها لم تستطع الاقتراب من الجثة. لم يتركها تساعد في حمل برادلي إلى الداخل أيضًا.

تساءلت إن كان ديفيد اكتشف أمرها.

من المؤسف أنها اضطرت إلى الكشف عن حقيقة أنها هي وإيان لم يكونا معًا ذلك المساء بعد كل شيء. لقد حطمته واقترحت أنه القاتل دون أن تبدو أنها القاتلة. حالفها الحظ لأنه كذب بشأن شقيقه. أحبت إيان قدر ما تستطيع أن تحب أي شخص، لكنه كان في النهاية شخصًا مؤقتًا يمكن التخلص منه. لقد كان أمرًا ضروريًّا. ستجد شخصًا آخر.

لم يكن لديهم دافع بالطبع، وهي لم تشعر بالقلق من أنهم سيتمكنون من إيجاد الصلة التي تجمعها بدانا. لقد جمعتهم دار الرعاية نفسها لأسبوعين فقط. ذهب الناس منها وإليها في مسيرة مستمرة وحزينة حاملين أكياس قمامة بلاستيكية مثيرة للشفقة تجمع كل أغراضهم الدنيوية. لقد كانوا في دار رعاية وليس دار أحداث، وقد حدث هذا في ولاية أخرى أيضًا. أصبحت حياة لورين كالصفحة البيضاء من وقتها، ولم يُقبض عليها بسبب أي شيء فعلته قط.

لقد كانت حذرة للغاية. لمست دانا أمام الجميع ولهذا سيجدون حمضها النووي عليها غالبًا. ينطبق الحال نفسه على كانديس أيضًا. إن وجدوا دليلًا عليها فسيكون بلا معنى. كما أنها ارتدت قفازين مع برادلي وتجمع الكثير منهم من حوله، ونقلوه من مكانه. لا بد أن الأدلة قد تلوثت على نحو ميؤوس منه.

فكرت بقلق أنهم حتمًا يملكون شيئًا ضدها، شيئًا قاطعًا. قد يكونون وجدوا قرطها ولهذا لا بد أنهم استدعوا إيان مرة أخرى ليتعرف عليه. شعرت بوخز بسيط من قطرات العرق على جلدها. لاحظت، في الظلام خلال الساعات الأولى من هذا الصباح، أنها فقدت أحد قرطيها. قد تكون أضاعته في أي مكان وقبل وقت طويل من خروجها للحاق ببرادلي. لم تحدث مقاومة بينهما، لقد رفعت ممسحة الأحذية وهوت بها على رأسه ليسقط دون صوت. مع ذلك راودها القلق، ماذا لو **فقدت** القرط وهي تقتل برادلي؟

لقد خلعت القرط المتبقي من باب الاحتياط بينما لا يشاهدها أحد، ووضعته خلسة على حافة الطاولة بجانبها.

صارت سعيدة الآن لأنها فكرت في الأمر سابقًا. إن وجدوا قرطها حقًّا – وإن وجدوه بالقرب من برادلي- فستصر على أنها خلعتهما قبل أن تركض

رايلي إلى الخارج ووضعتهما على حافة الطاولة. لا بد أن القاتل قد رآها تفعل هذا وأخذ واحدًا منهما ليضعه عمدًا بجانب جثة برادلي.

سيبدو هذا معقولًا تمامًا، بخاصة أنهم لن يملكوا أي دليل آخر ضدها. هذا سيكون كافيًا لإثارة شك منطقي، ولن يحصلوا على أي شيء منها.

الفصل السابع والثلاثون

الأحد، الساعة السادسة مساءً

انتشرت فرق تنظيف الطرق في الخارج بأعداد كبيرة، ليحرثوا الطريق وينشروا بها الرمل والملح. سيتمكنون قريبًا من السماح للناجين بقيادة سيارتهم إلى مركز الشرطة في البلدة للإدلاء بأقوالهم. تلقت الرقيبة مكالمة هاتفية تبلغها أن هناك محققًا سيصل في أي دقيقة. اعتقدت أنهم أبلوا بلاءً حسنًا للغاية حتى الآن من دون محقق.

اقترب منها أحد المختصين حاملًا حاسوبًا نقالًا وقال: «تمكنت من اجتياز كلمة مرور كانديس وايت وتوصلت إلى ما كانت تعمل عليه».

رفعت سورنسن حاجبيها وتساءلت: «و...؟».

- يبدو أنها رواية رومانسية عن شخصين يقعان في الحب ويتبنيان طفلًا.

تساءلت سورنسن باندهاش: «حقًّا؟».

أومأ وأجابها: «أجل، ألقي نظرة».

الأحد، الساعة السادسة والنصف مساءً

ظل إيان بالخارج خلال النصف ساعة الماضية، يشغِّل السيارات، ويحمِّي محركاتها، ويحاول كشط الجليد عن النوافذ. حل الظلام في الخارج بالفعل، لكن الفندق مُضاء بسطوع.

وقفت جوين في الشرفة الأمامية، ونظرت إلى الخارج. لقد أُخرجت سيارتها من المصرف للتو وأُحضرت إلى فندق ميتشل.

بدت لها العودة إلى السيارة من دون رايلي أمرًا خاطئًا. من الفظيع للغاية أن تغادر من دونها وتتخلى عنها هنا. ما زالت في الغابة حيث يصورها الكثير من الناس ويفحصونها تحت الأضواء الكاشفة. كانت جوين متأكدة أنها لن تسامح نفسها أبدًا.

أدركت أن ديفيد قادم للوقوف بجانبها. لا تعرف ماذا تقول له. هل هناك أي مستقبل لهما معًا؟

شعرت على الفور أنها ليست وفية لرايلي ولذكراها. كم كانت ستشعر بالاستياء.

قال لها ديفيد وهما يقفان بمفردهما في الشرفة: «جوين، هل أنتِ بخير؟».

كاد اهتمامه الصادق أن يجعلها تنهار. أرادت أن تدفع وجهها في صدره، لكنها لم تفعل. أومأت له بسرعة بدلًا من هذا ورمشت بعينيها لتحبس دموعها.

التفتت إليه فجأة وسألته: «هل كنت تشتبه بلورين؟».

اعترف ديفيد: «أجل، لقد لمست دانا أمام الجميع، وكانديس كذلك. إنها حركة ذكية إن كنت قلقًا من احتمالية تركك لدليل خلفك. من الصعب للغاية ألا تترك أدلة جنائية، وهي حاولت أن تصل إلى برادلي أيضًا، لكني أوقفتها. منعتها بجسدي عندما اشتبهتُ بها، لكني لم أكن أعلم بشكل مؤكد».

- لم تكن لديَّ فكرة أنها لورين.

لقد صُدِمَت باعتقال لورين. همس إيان إليها وإلى ديفيد في وقت لاحق أنهم وجدوا قرط لورين في الخارج، وقد خمن أنهم وجدوه قرب مسرح

الجريمة لأنهم ألقوا القبض عليها بسرعة. قال ديفيد لجوين: «لم تقترب من برادلي بعد أن وجدناه، لذا إن وجدوا قرطها بالقرب منه...».

- لقد أحببتها ووثقت بها.

نظرت إليه في عدم تصديق وسألته: «لماذا قد تفعل هذا؟».

- ليست لدي فكرة ما كانت دوافعها. أعتقد أنها ستتَّضِح في التحقيق. أظن أن برادلي علم ما كان يحدث ولهذا قُتل.

نظر إليها بوجه جاد ثم أردف: «أعتقد أن لورين مختلة عقليًّا على الأغلب، وأنها بارعة للغاية في ادعاء العكس».

تردد وأضاف: «نحن مختلفون كما تعلمين... إنها ليست مثلك ومثلي».

نظرت إليه من كثب. كان مختلفًا عمَّا بدا عليه في أول ليلة وصلوا بها. بدا أكثر إرهاقًا وأقل ثقة بنفسه. لقد اختلفوا جميعًا. تساءلت كيف تبدو أمامه الآن وكيف تغيرت. تعلم أنها عندما تركب سيارتها، ستكون رايلي في المقعد المجاور لها لتقول: «**لقد قتل زوجته، ابتعدي عنه**».

***

سارت بيفرلي ببطء وحزن لتخرج من الباب الأمامي وتمر أمام ديفيد وجوين ثم تنزل الدرج. لكن هنري ما زال في الفندق في كرسيه بجانب النار كأنه لن يغادر أبدًا. كان شعورًا غريبًا عليها أن تغادر من دونه، أن تتركه عالقًا هنا. سيأخذه الطبيب الشرعي للتشريح بالطبع. لا بد أن تخضع الجثة للتشريح. أمامها ترتيبات لتقوم بها وجنازة لتحضرها. فكرت كيف ستخبر طفليها أن والدهما قد مات. سيصدمهما الأمر، فأنت لا تتوقع أن يذهب والداك معًا لقضاء العطلة الأسبوعية ثم يعود واحد منهما فقط.

يجب أن تتوقف عند مركز الشرطة لتدلي بأقوالها أولًا. أخبروهم أنهم سيسمحون لهم جميعًا بالعودة إلى المنزل بعدها، كلهم باستثناء لورين.

ركب ماثيو سيارته وهو مثقل بحزنه، بينما ما زال ديفيد يتحدث مع جوين في الشرفة الأمامية. ركبت بيفرلي سيارتها، وعادت بها إلى الوراء، ثم انعطفت ببطء عند نهاية ممر السيارات، لتتجه إلى البلدة ومركز الشرطة.

يا له من فرق يمكن لعطلة أسبوعية أن تحدثه. أتت إلى هنا على أمل تحسين علاقتها بزوجها مرة أخرى وهي الآن عائدة إلى المنزل أرملة.

تفقدت مرآة الرؤية الخلفية لتعرف إن كان هناك من يراقبها. لا يوجد أحد خلفها، ولا يوجد من يستطيع رؤيتها في الظلام. مع ذلك، انتظرت حتى مرت من المنعطف الأول في ممر السيارات قبل أن تبتسم.

شعرت أنها خفيفة للغاية كأنها تطفو.

عادت بذاكرتها مرة ثانية إلى وقت تفتيشهم للفندق، عندما ساعدت في تفتيش حقائب الآخرين. رأت العقاقير التي مع لورين، تلك الحبوب المنومة. وجدت زجاجة كاملة وممتلئة منهما. رفعتها ليراها الجميع، ثم سكبت بعضها في يدها داخل الحقيبة الليلية دون أن يلاحظ أحد. وضعت الحبوب في جيبها بسرعة بينما كان المكان مظلمًا ولم يولِّ لها أحد الكثير من الاهتمام. لم تكن متيقنة من أنها ستفعلها، ليس قبل مقتل برادلي أيضًا. لم تعلم على وجه اليقين كذلك إن كان هذا المقدار كافيًا، لكنها دست الحبوب في شراب زوجها في الظلام وتمنت حدوث ما هو أفضل. ظنت أن خلط كل هذا المشروب مع الحبوب قد يكون كافيًا، وقد كان. تعلم أن تشريح الجثة سيُظهر وجود الحبوب المنومة، وسيُظهر أنه قُتل. لكنه سيكون واحدًا من أربعة أشخاص قُتلوا في فندق ميتشل خلال هذه العطلة الأسبوعية، كما أن لورين، قاتلة الثلاثة الآخرين، لن يمكنها قول أي شيء على وجه الخصوص دون أن تورط نفسها. لا يمكنها أن تقول: «**لكنني لم أقتل هنري!**».

لا يمكنها أن تنطق ببنت شفة.



شكر وتقدير

سأظل ممتنة بشدة لأنني أعمل مع مجموعة من أفضل الناس في هذا المجال. أتوجه بالشكر مرة أخرى للناشرين الذين أعمل معهم في الولايات المتحدة الأمريكية: بريان تارت، باميلا دورمان، والفريق الرائع في «فايكينج بنجوين» (Viking Penguin) على عملهم المدهش. شكرًا للاري فنلاي وفرانكي جراي من دار نشر «ترانس ورلد» بالمملكة المتحدة (Transworld UK)، وفريقهم المذهل هناك، أنتم جميعًا رائعون. كريستين كوتشران، إيمي بلاك، بهافنا تشوهان وفريق دار «دابل دابي كندا» (Doubleday Canada) الرائع أشكركم مرةً ثانيةً على كل شيء. أنا محظوظة للغاية ليساندني الكثير من الموهوبين والملتزمين والمتحمسين حقًّا. لم أكن لأستطيع القيام بهذا من دونكم جميعًا.

أود أن أشكر هيلين هيلر من جديد، أنا أقدرك أكثر مما قد تعبِّر كلماتي. شكرًا لجميع من في وكالة «مارش أجينسي» (Marsh Agency) على تمثيلكم الدائم الممتاز في جميع أنحاء العالم. أُرسِلُ شكرًا خاصًّا مني إلى جين كافولينا، لكونها مدققة لغوية رائعة. شكرًا أيضًا للملازم بول براتي مأمور مكتب مقاطعة سوليفان على المساعدة السخية. أود أن أقول إن أي أخطاء في هذا النص، هي أخطائي بالكامل. أخيرًا ودائمًا، شكرًا لزوجي مانويل وأطفالنا كريستوفر وجوليا، دعمكم وحماسكم يعني لي الكثير.

ضيف غير مرغوب فيه

من المفترض أن تكون العطلة الأسبوعية في فندق مريح بالجبال هي الملاذ المثالي... ولكن عندما تهبُّ عاصفةٌ قوية، لا يجد أحدٌ ملاذًا منها.

تدور الأحداث في فصل الشتاء على جبال" كاتسكيل" داخل فندق ميتشيل القابع في أعماق الغابة وهو المكان المثالي لعطلة أسبوعية هادئة -أو رومانسية- بعيدًا عن المدينة. ضمَّ الفندق غُرفًا قديمة واسعة بها مدافئ موقدة بالخشب، وقبوًا مُجهزًا جيدًا بالنبيذ. حيث تُتاح لك فرصٌ للتزلُّج الريفي والتزلُّج بالأحذية الثلجية، أو الاستكانة في مكانك مع رواية جريمة قتل غامضة للغاية.

لذا عندما يزداد الطقس سوءًا وتنقطع الكهرباء بسبب العاصفة الثلجية -وينقطع معها أي اتصال بالعالم الخارجي- يظل النزلاء في الفندق مدةً طويلةً.



سرعان ما يكتشفون موتَ أحدهم ويبدو الأمر كحادث، لكن عندما يموت نزيلٌ ثانٍ يتسلل إليهم الذعر.

داخل هذا المكان المثالي المُحاصر بالثلوج هناك شيءٌ ما -أو شخصٌ ما- يقتل النزلاء واحدًا تلو الآخر وما مِن شيء يمكنهم فعله إلَّا أن يستعدوا لمواجهة الخطر ويتمنُّوا النجاة من العاصفة.

غلاف: عبد الرحمن الصواف






aseeralkotb.com

contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb